

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

النسبة: ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م

تشرقي دمشق مرقى اشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٧ م

صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق

كنوز الاجداد

- ١ -

الصولي (ابوبكر محمد بن يحيى)

نشأ في بغداد وأخذ العلم عن أئمة عصره وتأدب به ناس وروى عنه الحديث بعض المشاهير وكانت محاضراته أجمل من شعره ونثره . ومن قويت فيه ملكة من الملكات قد تضعف فيه الملكات الأخرى . وتأليفه كثيرة . ساعده على التوسع في أخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم وعلى « ذكر غرائب لم تقع الى غيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه » كونه نادم الراضي ، وكان أولاً يعلمه ، ونادم المكتفي ، ثم المقتدر دفعة واحدة .

قالوا : « كان مخطوظاً من العلم ، مجدوداً من المعرفة ، مرزوقاً من التصنيف ، حسن التأليف » و « حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول القول » كان زينة المجالس موصوفاً بظرفه البغدادي ، رغب الخلفاء في منادته ، لسمعة فضله ولطف عشرته . استبطن أخبار الناس ودون كل ظريف روي عنهم ، فهو الى الطرافة فيما دونه من طريف وتالد ، يحسن الغناء وسائر فنون الأدب الرفيع وكان لعب اهل زمانه بالشطرنج ويمتاز بعلمه وفقهه وبعد نظره . وجميع ادواته هذه تجعله بين أفراد قلائل صلحوا للمنادمة من كبار هذه الأمة فهو أديب يحسن الكلام والحوار وليس سلك المنادمة بالشيء السهل لما يحتاج اليه من آداب تؤيدها حافظه وذاكرة وتزينها طلاقة لسان وفضل بيان وكانت له يد باسطة في نقد الشعر ونظر ثاقب في تقدير مراتب الشعراء الاسلاميين والجاهليين فهو نقادة راوية تقرأ امثلة من نقاداته في كتاب الموشح لتلميذه المرزباني . اما فيما ينظم فلم يوفق التوفيق كله وما نشره له بعض اهل الأدب في كتبهم فانما كانت

اجادته نسبة بالقياس الى بقية شعره . وما كان من النوع الذي يرضون عنه .
وهو نديم . متكلم لا اديب يخلد أدبه . حاول في كتابه الأوراق ان يأتي بقصائد
ذات قوافٍ مستغربة فأبهم وعمى وظهر التكلف على ما قرض .

وفي الصولي شيء من الضعف ظهر من مبالغته في محامد الراضي لأجل عطاياه
له ، وما كان الراضي بالخليفة التي تهوي اليه النفوس اذا جرى التنظير بينه وبين
الممتازين من اسلافه ، وملكه لا يتجاوز اسوار مدينة بغداد وحكمه ايضاً غير نافذ
فيها . وقد رأينا الصولي يستجدي الخليفة ويشكو الزمان والحرمات ولا يفتأ يقول
فلان منخي وفلان حرمني . 'خلق لا يليق ان يتخلق به من يدعي انه من نسل
ملوك وهو على اي حال يعاشر ملوكاً وأمراء ولا يجوع في قريتهم مهما عدا عليه الزمان .
تدور موضوعات كتب الصولي على اخبار الطبقات الراقية في عصره وعلى
شعرهم وادبهم وظرفهم . وكتابته « الأوراق » مثال جميل من ذلك . وكذلك
أدب الكتاب « الفه فيما يحتاج اليه اعلى الكتاب درجة واقلمهم منزلة » وهو
هنا اذا كتب بدأ ضعفه واذا روى جود النقل فخلق به ان يدعي راوية . وما خلا
الصولي من أناس بهرجوا علمه واستصغروا تأليفه ومنهم ابن النديم قال ان الصولي
عوّّل عند تأليفه « الأوراق » على كتاب المرندي في الشعر والشعراء او على كتاب
اشعار قريش وانه نقله نقلاً وانتحله . وزعم ابن النديم انه رأى دستور الرجل
في خزانة الصولي بخط المرندي فافتضح به .

قد يكون الصولي اقتبس اموراً كثيرة من كتاب الشعر والشعراء او شعراء
قريش أو غيره لكن ما أتى به من عنده ظاهر وتعمد ابن النديم في الطعن عليه
يستنتج من وصفه اياه بأنه « جماعة للكتب » ولعل ذلك أتى من تنافس الرجلين
في اقتناء الأسفار ، وابن النديم وراق قبل كل شيء . وذكروا انه كان للصولي
بيت عظيم مملوء بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان كل صف من
الكتب لون : فصف أحمر وآخر اخضر وآخر اصفر وغير ذلك . كان الصولي
يقول هذه الكتب كلها سماعي .

مات الصولي بالبصرة مستتراً لأنه روى خبراً في علي بن ابي طالب فطلبته اخلاصة
والعامة لتقتله وذلك سنة خمس وثلاثين وثلثمائة على الأرجح .

لعل قاري هذا يعترض علي سلكنا الصولي في عظماء المؤلفين وهو في الواقع
منهم لأنه أتى بجديد ولأنه صورة غريبة من رجال تلك الأيام فقد جاء حتى
في عصره اعظم منه في الحديث واكبر منه في الأدب ولكن العبرة بمن يجمع
هذه الأدوات في ثقافة ذاك العصر ويحظى في قصور الخلفاء بتلك المكانة ولا يضيع
ما مر به من الفوائد فيقيدها ويخلفها للأجيال بعده تنتفع بها . اما نقلة
المؤلفين عن غيرهم ولا سيما في الحديث والفقه فأني حزينة لهم اذا لم ينفردوا
بأشياء لم يسبقوا اليها فما أكثر عدد هؤلاء وما أقل من جمعوا الى فقههم ادباً
رفيعاً ارتاحوا اليه وأراحوا وانتفعوا به ونفعوا وكان له على الأيام صدى يتناقل
فيطرب ويعجب .

قصة من مروياته : عن العتابي قال : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي
اربعة آلاف ما بين شاعر وزائر ، وفيما فتي يحدثنا ونجتمع اليه . فيينا هو ذات
يوم قاعد اذا قبل اليه غلام له كأجل الغلمان فقال له : يا مولاي اخرجتني من
بين ابوي وزعمت ان لك وصلة بالملك فقد صرنا الى اسوأ ما يكون من
الحال وقال : انت رأيت ان تأذن لي فأصرف الى ابوي فقلت ، قال
فاغرو رقت عيننا الفتى ثم قال : انتني بدواة وقرطاس ، فأتاه بهما فقعد حجرة فكتب
رقعة ، ثم عاد الى مجلسه ثم قال للغلام : انصرف الى وقت رجوعي اليك . فيينا
نحن كذلك اذا جاء رجل ليسأذنك على الفضل ، فقام اليه الفتى فقال : توصل
رقعتي هذه الى الأمير قال : وما في رقعتك قال : امدح نفسي واحث الأمير على
قبولي . قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فان رأيت ان تعفيني فعلت . قال :
قد فعلت . فعاد الى مجلسه فخرج الحاجب فقام اليه فقال له مثل مقالته الأولى
فاستظرفه الحاجب وقال : ان رجلاً يتصل بمثل الفضل يمدح نفسه لا يمدح الفضل
عجيب . فأخذ منه الرقعة ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق

على فراشه ، ثم استوى قاعداً وتناول الرقعة فقرأها فلما فرغ من الرقعة قال للحاجب :
أين صاحب الرقعة ؟ قال : أعز الله الأمير ، لا والله لا أعرفه لكثرة من بالباب .
فقال الفضل انا انبذه اليك الساعة ، يا غلام اصعد القصر فناد : اين مادم نفسه ؟
فقام الغلام فصاح ، فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء ، فلما مثل بين يدي
الفضل قال له : انت القائل ما فيها ؟ قال : نعم قال انشدني فأشده الفتى بقول :

انا من بغية الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو ارباح
كاتب حاسب خطيب بليغ ناصح زائد على الناصح
شاعر مفلق اخف من الريشة مما يكون تحت الجناح

الى ان قال في قصيدته انه يري شعراً عن ابن هرمة وعلماً عن ابن سيرين
وله في النحر نفاذ ، وانه قادر على منادمة الخلفاء يضطلع بالمهمات ، ويعرف ادب
المجالسة ، وانه ابصر الناس بالجوارح والخيال والنساء ، وان فيه دعابة وهو غير ماجن
الى آخر ما وصف به نفسه فقال له الفضل :

كاتب حاسب خطيب اديب ناصح زائد على الناصح

قال : نعم ، اصلح الله الأمير . فقال الفضل : يا غلام الكتب التي وردت من
فارس ، فأتي بها ، فقال للفتى : خذها فاقراها وأجب عنها . فجلس بين يدي الفضل
يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل يكن اذهن لك فقال : ههنا الرأي اجمع
بحيث الرغبة والرغبة . فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأنما شق عن قلبه .
فقال الفضل يا غلام : بدرة بدرة بدرة فقال الفتى للغلام : اعز الله الأمير
دنابير او دراهم . قال : دنابير يا غلام . فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل :
احملها بارك الله لك فيها قال الفتى : والله ايها الأمير ما انا بجمال ، وما للحمل
خلقت ، فان رأى الأمير ان يأمر بعض غلمانه بحملها على ان الغلام لي . فأشار
الفضل الى بعض الغلمان فأشار الفتى اليه مكانك . فقال : ان رأى الأمير ، أيده
الله ، ان يجعل الخيار الي في الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر ،

فاختار اجملهم غلاماً فقال : احمل . فلما صارت البدره على منكب الغلام بكى
الفتى ، فاستفزع الفضل ذلك وقال : وبلك استقلالاً قال : لا والله ، ابدك الله ،
ولقد اكثر ، ولكن اسفاً ان الأرض تواري مثلك ، قال الفضل : هذا أجود
من الأول ، يا غلام زده كسوة وحملاتاً . قال العتابي : فلقد كنت أرى ركاب
الفتى تحت ركاب الفضل .

طيفوز (احمد بن أبي طاهر)

٢٨٠

كان ابوه طيفوز من مرو الروز من ابناء خراسان ومن اولاد الدولة ، وولد
ابنه احمد في بغداد سنة اربع ومائتين واخذ الأدب والحديث عن رجال عصره
وروى عنه جماعة ، وانصرف الى الرواية والأخبار . وكان لأول نشأته مؤدب
صبيان ثم جلس في سوق الوراقين ، واشتهر بالشعر والكتابة ، قال فيه صاحب
تاريخ بغداد انه احد البلغاء الشعراء والرواة ، من اهل الفضل المذكورين في العلم ،
ووصفه المسعودي بالشاعر ، وأورد له قصيدة رثى بها يحيى بن عمر وكانت ظهر
بالكوفة سنة ثمان واربعين ومائتين جاء فيها :

سلام على الاسلام فهو مودع اذا ما قفى آل النبي فودعوا

الى ان يقول :

وبي طاهر واللوم فيكم سجيبة	وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواضيبكم في الترك غير قواطع	ولكنها في آل احمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم	وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم اللطالين شرع	وفيكمرماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع في دار آل محمد	وداركم للترك والحبش مرتع

وأشدد بعض اهل الأدب قوله في عييد الله بن عبد الله بن طاهر الذي قاله :

اذا ابراحمد جادت لنا يده لم يحمد الاجودان البحر والمطر

ويختصها بقوله :

الجود منه عيان لا ارتياب به اذ جود كل جواد عنده خبر
قالوا لو استعمل الانصاف لكان هذا احسن مدح قاله متقدم ومتأخر . وليست
مكانة ابن طيفور بشعره ، ولا بما روى من حديثه ، فالشعر كان آلة من آلاته ،
والمحدثون كثار ، ومنصرفون اليه في الليل والنهار ، ولكن ابن طيفور كان عظيماً
بروايته ، فان ما تركه من كتبه يبلغ خزانة صغيرة . ولقد وصفه ابو بكر الصولي
وقال فيه انه صحفي ، اي يروي الخطأ عن الصحف ولم يأخذ عن الشيوخ ، وانه
حاطب ليل ، وانه يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد وبأقي بالردى . ويزعم
انه يقال فيكثر ، وفي إكثاره يسي ، ثم يحكي الكذب ، ويخطئ في التاريخ ،
وفي نسب الشعر ، هذا ما روي عنه انه قاله فيه . ومن من المؤلفين بالترى خلا
من نقد ؟ وهل خلا الصولي نفسه منه فارتضى النقد تدوينه ؟ وهل كان ذوقه
عالياً كما اراد اختيار شعر وثر . والاجتهاد ما زال يختلف في الرجل الواحد ،
وفي العام الواحد ، فما بالك في الرجال وفي العصور . وان راوية كثيراً مثل
طيفور لا تكاد تجد كتاباً من الأمهات التي ألفت بعد عصره الا وينقل
او يكثر من النقل من كتبه ، لا يقدح في مروياته ولا يسقطه بأنها من بضاعته ،
ثم أي عالم خلا من لحن وتصحيف ؟ وذكروا ان بعضهم قال فيه انه كان بليداً
في علمه وانه يلحن ، وانه قال ذلك للبحري فأقره عليه . وعرفنا انه كانت
بين البحري وطيفور أمور تراخت بينهما صلاتهما ، فألف طيفور كتاباً في
سركات البحري من أبي تمام ، فبالطبع يحكى انف البحري منه فيطعن في علمه
وادبه . أما هو فقد طعن البحري في اخلاقه طعنة نجلاء حرام رأبها على وجه
الدمر ، قال فيه : مارأيت اقل وفاء من البحري ولا اسقط : رأيت قائماً بفنشد احمد
ابن الخصيب مدحاً له فيه ، فخلف عليه ليجلس ، ثم وصله واسترضى له المنتصر ،
وكان غضبان عليه ، ثم أوصل له مديحاً اليه واخذ له منه مالاً فدفعه اليه . ثم

نكب المستعين احمد بن الخصيب بعد فعله هذا بشهور ، فلهدي به قائماً ينشده :

لا بن الخصيب الويل كيف انبرى بإفكه المردى وإبطاله
كاد أمين الله في نفسه وفي مواليه وفي ماله
ورام في الملك الذي رامه بنشه فيه وادغاله

الى ان قال وكلها طعن في ابن الخصيب :

فيو حلال الدم والمال ان نظرت في ظاهر احواله

قال ابن ابي طاهر : كان ابن العليجة فقيهاً ، يفتي الخلفاء في قتل الناس نزعاً
الله ، ثم ختم القصيدة بقوله :

والرأي كل الرأي في قتله بالسيف واستصفاء أمواله

وهذا اعظم هجو بهجني به البحري ، وقد هجاه طيفور بقصيدة أيضاً ، فلا غرو
ان يسقطه البحري ويرذل ادبه .

وقال الذين صفروا شأن طيفور في الأدب انه كان مع هذا جميل
الأخلاق خريف المعاشرة خلواً من الكهوب اي لا يتغير لونه ثابت في خلقه ،
وهو الى هذا معروف بمرحته ، يتدع النكات ويحسن التقاطها ويراها للناس ،
وكتابه بلاغات النساء نموذج من منزعه وكثرة تتبعه . والف في المزاح والمعاتبات
وفي أمور فيها دعابة وأدب واقعي .

وقصيدته ليلة بات في «دير السوسن» في عودته من «سر من رأى» وقد
زار بعض كتابها ومدحه فأحسن صلاته ، ووهب له غلاماً رومياً حسن الوجه ،
واعترافه بأنه بات والغلام يسقيه ، والراهب ندمه حتى مات سكراناً ، وطلبه المغفرة
عما أتى من ربه — كل هذه أمور اذا صحت تصف جانباً ظاهرياً من مرحته
وتبذله . ومن هذه الأمور ما اقترفه في صباه ، ومنها ما أتاه في الكهولة ، وشعره
لا يخلو من نكتة ، وربما قال بعض شعره من اجل نكتة فأعقبته نكتة ، كما
حدث عن نفسه قال : خرجت من منزل ابي الصقر نصف النهار في تموز فقلت :
ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد ، اذ كنت لا أقدر أصل الى منزلي يباب
الشم ، فبحثته فأدخلني الى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ،

وسقاني ماءً بارداً ، وقال لي : أحدثك الى ان تنام ، فجعل يحدثني احسن حديث .
فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان فقلت : قد حضرني بيتان أنشد هما ؟ فقال :
ذاك اليك ، وهو يظن اني قد مدحته فأنشدته :

وبوم كحر الشوق في صدر عاشق على انه منه أحر وأرمد

ظلمت به عند المبرد فائلاً فما زلت في الفاظه اتبرد

فقال لي : قد كان يسعك اذا لم تحمد ألا تدم ، ومالك عندي جزاء إلا إخراجك ،
والله لا جلست عندي بعد هذا . فأخرجني فمضيت الى منزلي بياب الشام ،
فمضت من الحر الذي نالني مدة ، فعدت باللوم على نفسي . وقد روى انه قال
في المبرد ، وحسبك من عالم محقق .

مكمت في المبرد الآداب واستقلت في عقله الأبواب

غير أن الفتى كما زعم النا س دعي مصحف كذاب

ربما زعم زاعم انه ليس من الانصاف ان يقرن هذا العيار من الرجال الى
عظماء العلماء المعروفين في علوم الدنيا والدين فالجواب ان في الحق ان يجعل هذا
الرجل في الصف الأول بين الرجال لأن أدبه اثر ما لم يثر غيره مثله والعبرة
بمن يسد ثلثة صغيرة من بناء الآداب كانت لولاه خالية ومن يجود فناً واحداً
من فنونه بامتاع وابداع .

القاضي الترخي

أبو علي المحسن بن علي

٣٨٤

اخذ القاضي عن أئمة البصرة ، ونزل بغداد وتقلد القضاء زمناً طويلاً
وعرف رجال السياسة في عصره ، ودرس مذاهبيهم واهواءهم ، ورأى مشاكل
الناس ومتاعبيهم فانسع أفقه وكثرت آدابه وتجاربه . وهو من بيت كل اهله
فضلاء وادباء كان ابوه عالماً وأديباً ، وهو عالم وأديب . وكان سماعه صحيحاً
ويميل للأدب والشعر والأخبار .

أتم ما بدأ به استاذ الصولي من تدوين اخبار المجتمع العباسي واقتصر الصولي على اخبار الخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء ودون التوخي الاخبار على اختلاف مصادرها واشكأها . وقد يروي القصة بأكثر الفاظها وان كانت مولدة او عامية لئلا يضيع من روتقها فهو من هذا النظر ناقل صحيح النقل يجود تصوير ما وقع بأمانة ولا يخرم شيئاً مما يبلغه عن الثقات او يرى فيه نكتة وعبرة وتسلية . من مصنفات القاضي التوخي « الفرج بعد الشدة » و « نشوار المحاضر » او جامع التواريخ والمستجد من فعلات الأجواد . ألف كتاب الفرج ليفزع اليه من اناخ الدهر بمكروهه عليه فيقرأ من الأخبار فيه ما يسليه ويتعظ به . وكان سبقه الى مثل هذا الموضوع ثلاثة من المؤلفين كتبوا فيه أوراقاً اما هو فاقصر على احسن ما روي من الأخبار مخالفاً مذهب من تقدمه في التأليف . نوع الأخبار وجعلها ابواباً وعزاً ما اخرجته من الكتب الثلاثة الى مؤلفيه تأدية للأمانة واستيثاقاً في الرواية وتبييناً لما أتى به من الزيادة فأوجز ، وأسقط الحشو وترك الاكثار اي انه جمع ما هب ودب أولاً ثم اسقط ما اسقط وابقى ما أبقى . وحمل كتابه مع هذا من انواع الخرافات صنوفاً ، ومن الأمور النابية عن حد المعقول ضرورياً ، ومن اخبار الفساق والمجان ما نقله على علاته ارادة الترويح عن النفوس وجاء بحكايات ونكات وبعضها مما دخل في كتابه نشوار المحاضرة . وفي الفرج بعد الشدة يقول الثعالبي في الينيمة : وله كتاب الفرج بعد الشدة وناهيك بحسنه وامتناع فنه ، وما جرى من الغال يمينه ، لا جرم انه أسير من الأمثال ، واجرى من الخيال .

ومعنى « النشوار » جرة الحيوانات المحتررة استعمالها بمعنى الحديث وهو حكايات منقحة منسجمة كتبت بقلم كاتب تحتذى كتاباته متى ترك التكلف ، وتكلفه كان ظاهراً في مقدمة كتابه الفرج والنشوار . وقد قال في مقدمة النشوار ولعل قارئها ان يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروف في الأخبار الراتبة في الكتب وذكر اصناف الناس الذين دون اخبارهم حتى قطاع الطريق

والملتصمين والخراب والتخريين واصحاب العصية والسكاكين واهل الخسارة والعيارين . ولا تكاد تخطر بالبال طبقة من طبقات الخلق الا ويعرض لذكر اخبارها فأثبت من ذلك ما سمعه منذ وعى على نفسه واعتقد اثبات كل ما سمعه من هذا الجنس مما يحث على قراءته من شعر لتأخر من المحدثين او مجيد من الكتاب والمتأدين او كلام منشور لرجل من اهل العصر او رسالة او كتاب بديع المعنى او حسن النظم والنثر الى ما شا كل ذلك من مثل طري او حكمة جديدة او نادرة حديثة او فائدة قريبة المولد ليعلم ان الزمان قد ابقى من القرائح والألباب في ضروب العلوم والآداب اكثر مما كان قديماً او مثله ، ولكن تقبل ارباب تلك الدول للأدب اظهره ونشره وزهد هؤلاء الأئمة في هذا الأدب غمره وستره ، قال والا فقد خرج من اعمارنا وما قاربها من السنين من مكنوت اسرار العلم ما لعله كان معتصماً على الماضين وجرى من الحوادث الكبار والاتقلابات العجيبة التي لا يوجد مثله سالفاً في اضعاف هذه السنين ما لو قيد بتأليف الكتب لا وفي على ما سلف وتقدم في علو الرتب .

وزاد ان هذه المدونات نوع لم يسبق الى كتبه لأنها مقصورة في الأكثر على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي تنظم عندي بأن لا تكتب وهي تصلح لمن قد فرغ من أكثر العلوم واشتهى قراءة ما يبدله على اخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين ما نحن فيه وما مضى ليعلم كيف مانت الدنيا وانقلبت الأهواء وانعكست الآراء وفقدت المكارم قال : « وحقاً لو باشر حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه ودفننا اليه ما شك في قيام الساعة او ان الناس بدّلوا بهائم مهملّة او جعلوا آلات غير مستعملة لفقد الأحرار وشدة الأعاسر ولطول المتاعب وتواتر النوائب » . وفي الكتاب ذكر معتقدات الناس واوهامهم وكثير من الشعر الرائق والنثر الفائق . ولا ننالي اذا قلنا ان كتاب النشوار افاد في الكشف عن احوال القرن

الرابع ما لا يستفاد من عشرات من الكتب ومنها ما لا يستبين منه حال العصر الذي كتبه فيه إلا بشيء من الفرضيات والاستنتاجات ولو سلم «النشوار» كله وانتقل إلى أبناء هذا الجيل كما كتبه مؤلفه لكان اصدق صورة عن ذلك الزمن وعدّ في فنه من الأُمّيات .

ومن لم يكتب له مطالعة النشوار يحتاج إلى مثال منه يعطيه فكرة في جلال موضوعه وأسلوبه قال التنوخي : حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله قال حدثني مكرم بن أبي بكر عمر أبي الحسن بن مكرم القاضي قال : كنت خصيصاً بأبي الحسن علي بن عيسى (من اعظم وزراء بني العباس واعفهم واعلمهم) وربما شاورني في شيء من أمره قال : دخلت عليه يوماً وهو مغدوم جداً فقدرت أنه بلغه عن المقتدر امر كرهه فقلت : هل حدث شيء واومأت إلى الخليفة ، فقال : ليس غمي من هذا الجنس ولكن مما اشد منه ، فقلت : ان جاز ان اقف عليه فلعلني اقول شيئاً ، فقال : نعم كتب إليّ عاملنا بالشعر ان اسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق وصيانة الى ان وليّ آنفاً ملك الروم حدثان فعسفا الاسارى وأجاعاهم وأعرباهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر ، وانهم في جهد جهيد وبلاء شديد ، وليس هذا مما لي فيه صلة لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا ولا الخليفة يطاوعني . فكننت انفق الأموال واجتهد واجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية . فقلت : ايها الأمير ها هنا رأي اسهل مما وقع لك يزول به هذا . فقال : قل يا مبارك ، فقلت : إن بأنطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك ويبيت المقدس آخر يقال له القائلق (الجائلق ؟) وامرهما بنفذ على ملك الروم ، حتى أنهار بما حرما الملك فيحرم عندهم ويحلاّنه فيجل ، وعند الروم ان من خالف منهم هذين كفر ، وانه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم الا برأي هذين ، وان يكون الملك قد دخل إلى بيعتها وتقرب بها . والبلدان في سلطاننا والرجلان في ذمتنا فيأمر الوزير بأن يكتب إلى عاملي البلدين باحضارهما وتعريفهما ما يجري على الأسارى وان هذا خارج عن

الملة ، وانهما ان لم يزيلوا هذا لم يطالب بحريته غيرهما وينظر ما يكون الجواب .
قال فاستدعى كاتباً واملى عليه كتابين في ذلك واتقدهما في الحال ، وقال
سريت عني قليلاً . واقتربنا فلما كان بعد شهرين وايام ، وقد أنسيت الحديث
جاءني 'فرائق'^(١) من جيته يطلبني فركبت وانا مشغول القلب بمعرفة السبب في
ذلك حتى وصلت اليه ، فوجدته مسروراً فحين رآني قال : يا هذا احسن الله
جزاءك عن نفسك ودينك وعني فقلت : ما الخبر ؟ فقال : كان رأبك في أمر
الأسارى أبرك رأي واصححه وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر (وأوماً الى رجل
كان بمحضرتة) وقال له : خبرنا بما جرى فقال الرجل : انفذني العامل مع رسول
البطرك والقائليق برسالتها الى قسطنطينية وكتبنا الى ملكيهما : انكما قد خرجتما عن
ملة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك فانه حرام عليكما ، ومخالف لما
امرنا به المسيح من كذا وكذا وعدد اشياء من دينهما ، فاما زلتما عن هذا واستأنفتما
الاحسان الى الأسارى وتركتما مطالبتهما بالتنصر والا لعناكما على هذين الكرسيين
وحرمانكما . قال فمضيت مع الرسول فلما صرنا بقسطنطينية حجت عن الملكين
اياماً ، وخلياً بالرسول ثم استدعياني اليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجمانهما : يقول
لك الملكان ان الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع وقد
أذنا في ادخالك دار البلاط لتشاهد اسارا كم فترى احوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع
من شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم . قال : ثم حملت الى دار البلاط فرأيت الأسارى
وكأن وجوههم قد أخرجت من القبور تشهد بالضرر وما كانوا فيه من العذاب
الا أنهم صرفهون في ذلك الوقت وتأملت الى ثيابهم فاذا جميعها جدد فعلمت
اني منعت من الوصول تلك الايام حتى غيّرزي الأسارى . وقال لي الأسرى :
نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع ، واوماًوا اليّ ان الأمر كما كان
بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن إلينا بعد حصولك هاهنا . وقالوا لي : كيف

(١) الذي يدل صاحب البريد على الطريق ممرب بروانك

عرفت حالنا ومن تنبه علينا وأنقذك بسببنا : فقلت لهم : ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه ذلك فأنقذ من بغداد وفعل كذا وكذا قال : فليجروا بالدعاء الى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول : مر يا علي بن عيسى لا نسي الله لك هذا الفعل . قال : فلما سمع ذلك علي بن عيسى اجش بالبكاء ومجد حمداً لله سبحانه وتعالى ويرى الرسول وصرفه ، فقلت له : ايها الوزير اسمعك دائماً تتبرم بالوزارة وتنتي الانصراف عنها في خلواتك خوفاً من آثامها فلو كنت في بيتك هل كنب تقدر ان تحصل هذا الثواب ولو أنققت فيه اكثر مالك ولا تفعل ولا تتبرم بهذا الأمر فلعل الله يمكنك ويجري على يدك امثال هذا الفعل فتفوز بثوابه في الآخرة كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا .

والكتاب الثالث من تأليف القاضي التنوخي « المستجاد من فعلات الأجواد » اورد فيه مئة وخمسين قصة في كرماء الجاهلية والاسلام الى عهده التقطها من اصدق المصادر فجاءت صحيفة حكمة وادب واجتماع وأخلاق ذكر فيها من تقدموا عصره كما ذكر في النشوار من كانوا فيه او قبله بقليل ، ورسم به صورة من الكرم قل ان اجتمع مثلاً في مصحف واحد ، حمل اطياب الشعر وأزاهير جميلة من النثر ومنها ما كان من نسجه ومنها ما نسجه من قبله فكأن هذا المؤلف العظيم احب ان يهذب الناس بحكايات جود ايرادها حتى تقع من نفوسهم موقعها . وهاكم الآن قصة من قصصه في المستجاد وهي مما يجب على كل من يتعاطى الحكم والادارة ان يجعلها نصب عينه ودليل حكمه :

قال عبد الله بن سليمان : كنت بحضرة والدي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو بثولاه اذ دخل عليه احمد بن ابي خالد [الصريفيني] الكاتب فقام له ابي من مجلسه وأقعده في صدره ، وتشاغل به ، فلم ينظر في عمل حتى نهض ، ثم قام معه وامر غلمانه بالخروج - بين يديه ، فاستعظمت انا وكل من في المجلس هذا ، لأن رسم اصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد

من يدخل اليهم ، وتبين ابي ذلك في وجهي فقال لي : يا بني اذا خلونا فسلني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل .

قال : وكان ابي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيًا الحسابات فلما جلسنا نأكل لم أذكره الى ان كاد الطعام ينقضي ، فقال لي هو مبتدئاً : يا بني شغلك الطعام عما قلت لك تذكرني به ؟ فقلت : لا ، ولكن أردت ان يكون ذلك على خلوة فقال : هذا وقت خلوة ثم قال : ألسنت انكسرت والحاضرون قيامي لأحمد بن ابي خالد في دخوله وخروجه وعما عملته معه ؟ فقلت : بلى قال : كان هذا بتقليد مصر سنين ، فوليت اعمالها وصرفته عنها ، وقد كانت مدته فيها طالت فتبعته ، فرأيت آثار رجل لم أر أجمل آثاراً منه ، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ، ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له ، وكانت الحسين الخادم المعروف بمرق الموت صاحب البريد بمصر أصدق الناس له مع هذا ، وكان من أبغض الناس [الى] وأشدهم اضطراباً في اخلاقه ، فلم أعلق عليه بحجة ، ووجدته قد أخرج رفع الحسابات لسنة متقدمة وسنته التي هو فيها ولم يستتمها لصرفي له عنها ، ولم ينفذه الى الديوان فسمته ان يحط من الدخل ويزيد من النفقات والأرزاق ، ويكسر من البقايا في كل سنة مائة الف دينار لآخذها لنفسه ، فامتنع من ذلك ، فاغلظت له وترعدته ، ونزلت معه الى مائة الف دينار واحدة للسنتين وحلفت له ايماناً مغلظة مؤكدة أنني لا أفتح منه بأقل منها ، فأقام على امتناعه وقال : لا اخون نفسي فكيف أخون لغيري وازيل ما قام به جاهي من العفاف ؟ فخبسته وقيدته فلم يجب ، وأقام مقيداً في الحبس شهوراً . وكتب عرق الموت صاحب البريد الى المتوكل ، وحلف له ان أموال مصر لا تنفق بنفقتي ومؤنتي ، ويصف احمد بن ابي خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته ، فأرسل المتوكل بتوليته . فأنا ذات يوم على المائدة آكل اذ وردت علي رقعة أحمد بن ابي خالد يسألني استدعاءهم بلقيه الي فلم أشك انه قد استنصر بالحبس والقيد ، وفد عزم على الاستجابة لمرادي ، فلما غسلت يدي دعوته فاستجلااني فأخيلته ، فقال :

اما آن لك يا سيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك [ولا جرم ولا قديم ذحل] ولا عداوة ؟ فقلت أنت اخترت لنفسك ذلك ، وقد سمعت يميني وليس منها مخرج ، فاستجب لما أريده منك [واخرج] فأخذ يستعطفني [ويخدمني ويخضعني] [فجاءني ضد ما قدرته فيه] فغاضني فشتته وقلت له هذا الأمر المهم الذي ذكرت لي في رقعتك أنك أردت القاء الي هو ان تستعطفني وتستجيرني ويخضعني ؟ فقال : يا سيدي وليس الآن عندك غير هذا ؟ فقلت : لا فقال : اذا كان ليس عندك غير هذا ، فاقرا يا سيدي هذا ، وأخرج الي كتابا لطيفاً مختماً في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذي أعرفه [بأمرني فيه] بالانصراف وتسليم ما أتولاه الى احمد بن ابي خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب اليه والامتنال لأمره وطاعته والمسير عن مصر بعد ذلك فورد على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتي له والاساءة اليه ، وانه في الحال تحت حديدي وسكاري ، فأمسكت مبهوتاً ، ولم ألبث ان دخل أمير مصر اذ ذاك في اصحابه وغلماؤه فوكل بداري وجميع ما املكه وأصحابي وغلماي وجهايدي وكتابي . وجعلت ازحف من الصدر حتى صرت بين يدي احمد بن أبي خالد ، ولست استطيع القيام وهو في قيوده بعد . فدعا امير البلد بجداد فحل قيوده ، فمددت رجلاي ليوضع فيها القيد ، فقال لي : يا أبا أيوب 'ضم' أقدامك ، فوثب قائماً ثم قال لي : يا أبا أيوب : أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ولا صديق ، ومعك حرم وحاشية ، وليس يسمعك الا هذه الدار ، وكانت دار العمالة ، وأما انا فأجد عدة مواضع [غيرها] وليس لي كبير حاشية ، ومن نكبة وقيد خرجت ، فأقم مكانك ، وخرج عني وصرف التوكيل عني وعن الدار ، واخذ كتابي واشياعي اليه ، فلما انصرف قلت لغلماي : هذا الذي أراه في النوم ؟ انظروا من وكل بنا فقالوا : ما وكل بنا احداً ، فمجبت من ذلك عجباً شديداً ، وما صليت العصر حتى عاد الي من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهاينة مطلقين . وقالوا : أخذ خطوطنا ورفع الحساب ، وأمرنا بالملازمة وأطلقنا ، فازداد عجبني ، فلما كان

من غد باكرني مسلماً ورحت اليه في عشية ذلك اليوم ، فأقمت ثلاثين يوماً ان
سبقتني الى المحبيء والارحت اليه ، وان راح اليّ والا باكرته ، وكل يوم تهيئني
هداياهم [والطافه] من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى والطيب ، فلما كان بعد
ثلاثين يوماً جاءني فقال لي : قد عشقت مصر يا أبا ايوب ، والله ما هي طيبة
الهواء ولا عذبة ، وانما تطيب لغير اهلها بالولاية فيها والا كنتساب ، ولو قد رحلت
الى بغداد وُسِرَّ من رأى لما أقمت الا شهراً ، ثم تتقلد أجل الأعمال ، فقلت :
والله ما أقمت الا متوقفاً لأمرك في الخروج ، فقال : أعطني خط كاتبك بأن عليه
القيام بالحساب ، واخرج في حفظ الله ، فأحضرت كاتبني وأخذت خطه كما أراد ،
وسلمتُ الخط اليه ، فقال لي : اخرج أيّ وقت شئت ، فخرج [من غد] هو
وامير مصر وقاضيه ووجوهها وأهلها وشيعوني الى ظاهر مصر . وقال لي : تقيم
في اول منزل على خمسة فراسخ الى ان ازيح علة قائد يصحبك برجاله الى الرملة
فان الطريق فاسد ، فاستوحشت من ذلك وقلت : هذا انما غرني حتى أخرج كل
ما أملكه وجميع ما كسبت فيتمكن منه في ظاهر البلد فيقبضه ثم يردني الى
الحبس والتوكيل والمطالبة ، ويحتج علي بكتاب ثاب ، يذكر انه «صك»
فخرجت واقمت بالمرحلة التي ذكر متسلماً للقضاء متوقفاً للشر ، الى ان رأيت
اوائل عسكره مقبل من مصر ، فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبني او
لعله يريد ان يقبض علي به ، فأمرت غلماني بمعرفة ذلك وما الخبر ؟ فقالوا : العامل
احمد ابن ابن خالد قد جاء ، فلم أشك في انه قد ورد البلاء بوروده ، فخرجت
من مضربي فلقيته وسلمت علة ، فلما جلس قال : أدخلونا ، فلم أشك [أنه] للقبض
عليّ فطار عقلي ، وقام من كان عندي فلما لم يبق عندي احد قال : انا اعلم
ان ايامك لم تطل بمصر ، ولا حظيت فيها بكبير فائدة ، وذلك الباب الذي
سألتني في ولايتك لم استجب اليك ، وأخرت الاذن لك في الانصراف منذ
اول الأمر الى الآن ، لأنني تشاغل بالفراغ لك منه ، وقد حطت من
الارتفاع وزدت في النفقات في كل سنة خمسة عشر الف دينار [تكون]

للسنتين ثلاثين الف دينار وهو يقرب ولا يظهر ، ويكون أيسر مما اردته مني
في ذلك الوقت ، وقد [تشاغلث به حتى] جمعت لك ، وهذا المال على البغال ،
وقد جئتك به فتقدم الى من يتسلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده ، وقلت قد
والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة ، فأنكر ذلك مني وتقبض عنه وقبل
يدي ورجلي وقال : ههنا شيء آخر أريد أن تقبله فقلت : ما هو قال : خمسة
آلاف دينار وقد استحققتها من رزقي ، فامتنعت من ذلك ، وقلت : فيما قد تفضلت
به كفاية ، فحلف بالطلاق أن أقبلها منه فقبلتها ، فقال : وههنا الطاف من
هدايا مصر أحبت أن أصحبك اياها ، فانك تمضي الى كتاب الدواوين ورؤساء
الحضرة فيقولون لك : وليت مصر فأين نصيبنا من هداياها ؟ ولم تطل أيامك
فتعد ذلك لهم ، وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت وأخرج درجاً فيه
ثبت جامع لكل شيء ، في الدنيا حسن طريف جليل القدر من كل جنس من
ثياب ديق وقصب وخدم وبغال ودواب وحمير وفرش وطيب حتى اقلام ومداد
ما يكون قيمته مالا كثيراً ، فأمرت بتسلمه وزدت في شكره ، فقال لي : يا سيدي
أنا مغرى بحب الفرش وقد استعملت لي بيتاً ارمينياً بارمينية وهو عشر مصليات
بمخادتها ومساندها ومساورها ومطارحها وبسطها وهو بطور مذهب قد قام علي بخمسة
آلاف دينار على شدة احتياطي ، وقد أهديته لك ، فان أهديته الى الوزير عبدك
وان أهديته الى الخليفة ملكته به ، وان أبقيته لنفسك وتجمعت به كان أحب الي ،
قال : وحمله فما رأيت مثله قط ، ولم تسمح نفسي بإهدائه لأحد ولا باستعماله ،
فما ابتذلت منه شيئاً يا بني الا يوم اعذارك ، فاني اتخذت منه الصدر ومسانده
ومخاده ، أفتلوني يا بني على أن أقوم لهذا الرجل ؟ فقلت : لا والله يا أبي ، ولا على
ما هو أكثر من القيام ، لو كان مستطاعاً . قال : فكان أبي بعد ذلك اذا صرف
رجلاً عن عمل ، عامله بكل جميل ، ويقول : علمنا ابن أبي خالد أحسن الله جزاءه
حسن الصرف .

اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية^(١)

- ٢ -

في بلاد الترك والهند

أصلفتُ القول في مكانة اللغة العربية في إيران قبل أن نصير الفارسية الحديثة لغة علم ، ثم بينت كيف سبّرت العربية الفارسية بعد استعمالها ، في الشعر والكتابة وكيف بقيت غالبية في التأليف .

وأبين اليوم حال اللغة العربية في بلاد الترك والهند . وليس غريباً ان يتناول الكلام بلاد الترك والهند في بحث واحد . فكلاهما تتجاور إيران ، وكلاهما أثرت فيها العربية مباشرة وبتوسط الفارسية ، ثم العربية أثرت في الفارسية ، وهذه أثرت في التركية ، وثلاث اللغات أثرت في الأردية . فكان القول في بلاد الترك والهند متشابهاً متشابكاً .

١ - بلاد الترك

اعني تركستان الشرقية والغربية وموطن الترك العثمانيين .
فأما تركستان الغربية فهي التي سماها جغرافيو العرب ما وراء النهر وتسمى اليوم تركستان الروسية لاستيلاء الروس عليها .
وكان نهر جيحون في العصور المختلفة يمدّ حدّاً بينها وبين إيران . وأما تركستان الشرقية فتسمى كشغر وتسمى اليوم تركستان الصينية .
وفي الاقليمين ذهاء مئة ملايين يعيشون في أكثر من مليونين من الكيالات المربعة . ونهر جيحون قد عدّ في أساطير الفرس وتاريخهم حدّاً بين إيران وتوران ،

(١) محاضرة ألقيت في الجامعة السورية بدمشق من المجمع العلمي العربي ١٥٤١ المجلد سنة ١٩٤٦

ودارت على ضفافه الممارك المتبادية بين الايرانيين والتورانيين ، الممارك الهائلة التي صورتها الشاهنامة . ولكنه لم يكن في الحق فاصلاً بين الأمتين اللتين تعيشان شماليه وجنوبيه على مرّ الزمان . فقد عاش الفرس شماليّ النهر منذ عصور بعيدة ، وعبر الترك النهر ، ولا سيما في العصور الاسلامية ، وانتشروا في ايران . وفيما وراء النهر اليوم قري كثيرة لغتها الفارسية ، ومعظم القرى التي لغتها التركية تعرف الفارسية .

ومن اللهجات الفارسية اللهجة الصفدية وهي لهجة الصفد في تركستان . وقد قامت الدولة السامانية فيما وراء النهر وكانت حاضرتها بخارى فنشأت في عهدها الفارسية الحديثة وترعرعت في ظلها فصارت لغة كتابة وعلم . ولو كانت هذه البلاد خالصة للغة التركية ما كانت لغة الدولة السامانية ولغة شعرائها الفارسية دون التركية .

وأول شاعر فارسي كبير هو أبو جعفر الرودكي السمرقندي ، فقد ترعرع الشعر الفارسي اول ما ترعرع شمالي نهر جيحون . وقد الف جار الله الزمخشري مقدمة الأدب ليعلم أهل تركستان الأدب العربي فجعلنا معجماً من العربية الى الفارسية . ولم يحاول تعليم اهل البلاد باللغة التركية وانما صارت التركية لغة ادبية في بعض أقطارها في عصور متأخرة . فاذا تعرفنا حال العربية في تركستان ومكانتها في العلم والأدب ، وقسنا عليها لغة البلاد الأدبية ، وجدنا أحوالاً تشابه ما بيننا في ايران ، من احوال العربية والفارسية . فحال الشعر الفارسي في تركستان كحال في ايران ، ومسايرة العربية للفارسية في الشعر هنا كما سيرتها اياها هناك فلا نحتاج الى اعادة القول . وغلبة النثر العربي في ايران تقاس بها غلبته فيما وراء النهر ايضاً . وقد نشأ هناك من كتاب العربية أبو بكر الخوارزمي الكاتب المعروف (توفي سنة ٣٨٢) والعميد والد أبي الفضل ابن العميد ، والزمخشري (توفي سنة ٥٣٨) ورشيد الدين الوطواط المصري (توفي سنة ٥٧٣) .

وأما لغة التأليف في العلم والأدب فكانت العربية إلا قليلاً . وحسبنا أن نذكر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح ، وخاله اسحق بن ابراهيم ، والفارابي والقفال الشاشي (توفي سنة ٣٦٦) والخوارزمي سنة ٤٣٥ ، وأبا الريحان البيروني . ولا بد من وقفة عند الزمخشري لنستدل على مكانة العربية ، بما ألف فيها وبما بين من مكانتها في مقدمة كتايبه المفصل ومقدمة الأدب . فالزمخشري قد عاش بين منتصف القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن السادس في تلك البلاد ، وكان من أئمة العربية في اللغة والنحو والأدب ولم يؤثر عنه انه كتب بالفارسية او التركية . وقال في مقدمة الفصل :

«ولعل الذين يفضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا مافزع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربيه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيفاً عن سواء المنهج» . ويظهر من تضاعيف كلام الزمخشري أن هؤلاء الذين يفضون من العربية كانت كراهيتهم في صميمها للنحو واللغة العربية نفسها . ثم قال الزمخشري عن هؤلاء :

«وبهذا اللسان (يعني العربية) مناقضتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم وبه تقطع في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكاهم . فهم ملتبسون بالعربية أبة ملكوا ، غير منفكين عنها أبنا وجهوا ، كل عليها حيثما سيروا . ثم انهم في تضاعيف ذلك ييحدون فضلها ، ويدفعون خصلها ، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزقون أديمها ، ويمضغون لحمها . فهم في ذلك على المثل السائر «الشعير يؤكل ويذم» ويدعون الاستغناء عنها وأنهم ليسوا في شيء منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلقون اللغة رأساً والأعراب ، ولا يقطعون بينها وبينهم الأسباب ، فيطمسوا من تفسير القرآن آثارهما وينقضوا من أصول الفقه غبارهما» الى ابن يقول :

«وما لم لم يتراطنوا في مجالس التدريس وحلق المناظرة ، ثم نظروا هل تركوا

للعلم جمالاََ وأبهة ، وهل أصبحت الخاصة بالعامّة مشبهة ، وهل اتقلّبوا هزّاةَ
للساخرين وضحكةَ الناظرين » .

أبان الزمخشري في هذه الكلمات عن تبرّم قوم بالعربية وبيّن أنها ، على
هذا ، لغةُ العلم ولغة القضاء ولغة التعليم والمناظرة ولغة الأدب وان التدريس
بغيرها يذهب بجمال العلم ، ويجعل الخاصة كالعامّة . فلهذا الخاصة العربيةُ ولغة
العامّة الرطانة العجمية .

وألّف الزمخشري مقدمة الأدب ووضعها على نسق كتاب الثعالب ، فقه اللغة ،
وجعله عدّةً لطالب الأدب العربي وفسر الكلمات العربية بالفارسية فتلقاه الناس
بالقبول كما قال :

« لأن هذا الكتاب قد أصاب قبولاََ من القلوب ، وهب في البلاد مهب
الصبا والجنوب » وقال المؤلف في فاتحة الكتاب عن اللغة العربية :

« ولجلالة هذا اللسان ، وما جعل الله له من نباهة الشأن ، وأن الحاجة اليه
سائجة في الملة الاسلامية في أنواع علومها وفنون آدابها كان المتعاطون لاتقانه
واتبحر فيه معدودين في علماء هذه الأمة ، المذكورين في طبقات الأئمة : ومن
صنع الله لهذه الطبقة ان الملوك لم تمطر سمائمهم ، ولا فاضت عطياتهم ومواهبهم ،
على أحد فيضها على هؤلاء من أدبائهم وخطبائهم ومرسلاتهم وشعرائهم » .

ولم يغفل بعد انتضاء دولة العرب عصر من الأعصار من ملك فاضل جواد
يرغب فيهم ويكفلهم ويكفيهم ، ويتعصب لصناعتهم ويحرص على تنفيق بضاعتهم .
واما الذي اصطفاه الله في زماننا لنصرة الأدب ، وقذف في قلبه الرغبة في
كلام العرب الأميرُ الأجل الأسفهار بهاء الدين علاء الدولة الأمير ابو المظفر
آتسز ابن خوارزمشاه » ا هـ .

. وآتسز هذا احد ملوك خوارزم تولى الملك من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٥١ هـ وقد
تولى رشيد الدين الوطواط العمري الكاتب المعروف ديوان الرسائل لهذا الملك .

ثلاثين سنة وله رسائل عربية ذائعة تدل على متانة أسلوب العربية في ذلك العصر .
وقد عرفت محاولات للكتابة بالتركية بلهجات مختلفة منذ القرن الخامس
الهجري فنظم يوسف خاص حاجب في بلاساغوث و كشر منظومة باللهجة
الأيفورية اسمها قوداتفويليك .

ونظم ادیب احمد رباعیات سماها « عیة الحقائق » في القرن السادس الهجري .
وفي هذا القرن نظم الصوفي الكبير احمد یسوی دیوان الحکمة .
وكذلك نظم بعض الأدباء من بعد غارات التتار في صحراء القفجاق وغيرها ،
فنظم الشاعر قطب قصة خسرو وشیرین في القرن الثامن الهجري . ونظم في
هذا القرن أيضاً الخوارزمي منظومته المسماة « محبت نامه » .
وانشئت منظومات وكتب قليلة بلهجات مختلفة ولكنها لم تبلغ ، قبل نشوء
الأدب العثماني في رعاية الدولة العثمانية ، أن تنافس العربية او الفارسية في
النظم او النثر او التأليف .

واعظم ما وعته اللغة التركية الشرقية « لغة جغتای » منظومات علي شیرنوائی
وبابرنامه وهي سيرة السلطان بابر التي كتبها بنفسه .
فأما علي شیرنوائی فكان وزيراً او مشيراً للسلطان حسين یقرا احد الملوك من
سلالة تیمورلنك وله في العذل والبر آياد بیضاء . وله في الآداب العربية
والفارسية والتركية مكانة . وقد حاول ان يذل التركية للنظم الأدبي فنظم
قصصاً خمساً من القصص المعروفة في الأدب الفارسي وتبع سنة نظامي الشاعر
في خمسته . وكتب في القياس بين التركية والفارسية كتاباً سماه « محاكمة
اللغتين » بآن فيه فضل التركية على الفارسية في بعض الخصائص .
وكتب في اللغة العربية معجماً جمع فيه بين سبعة من معاجم العربية وسماه
« سبعة أبحر » .

ولكن هذا الشاعر القدير سلك طريقاً وعرّاً كان فيها فريداً لم يسبقه مثله
ولم يلحقه ، ونبئت منظوماته مقطعة النظير في لغة جغتای .

وعلي شير توفي سنة ٩٠٦ هـ فتاريخه يرجع الى عصر متأخر ولكن اللغة التركية الشرقية لم تكن قد مهدت للأدب فلم تجدد عليها عبقرية هذا الشاعر الكبير كثيراً . وكتب محمد ظهير الدين بابر كتابه (بابر نامه) في العصر الذي أنشأ فيه نوائى منظوماته ؛ كتبه في لغة طبيعية خالصة لا تكلف فيها ولا زينة لكنها كانت منظومات علي شير ، مثلاً فربداً في لغة جفتاي .

التركية العثمانية

لم تتخذ التركية الغربية لسان أدب وعلم قبل قيام الدولة العثمانية الا في النادرة . اتخذها امراء قرمان لغة ديوان في ثورتهم القصيرة الأمد ، قبل نهاية الدولة السلجوقية وأثر فيها نظم لجلال الدين الرومي المتوفى سنة ٦٧٢ ولابنه سلطان ولد . وكانت سلاجقة الروم — أي سلاجقة آسيا الصغرى — يلقبون بالألقاب الفارسية ويزينون قصورهم بأبيات من الشاهنامه ، وهي منظومة الفرس التي تروي جلالاد ايران وتوران وتنتصر للايرانيين على التورانيين اي الترك . وكانت العربية والفارسية لغتي العلم والأدب في تلك الأقطار أيام السلاجقة . ولما قامت الدولة العثمانية شرعت تستعمل التركية في رسائلها مع استعمال الفارسية والعربية .

وفي منشآت السلاطين — وهي الرسائل التي جمعها في القرن الحادي عشر الهجري احمد فريدون بك — نماذج من رسائل السلاطين العثمانيين باللغات الثلاث . ثم نظم شعراء باللغة التركية وكتب فيها كتاب . وتطورت الصناعتان تطورها . فنبع شعراء كثيرون وكتاب قليلون محاكاة للأدب الفارسي . وصيغت اوزان الشعر وقوافيه على غرار الشعر الفارسي . وقد اسلفنا القول فيه . واتخذ شعراء الترك موضوعات الشعر الفارسي وطرائقه . واكثروا من استعمال الألفاظ الفارسية والتركيبات والألفاظ العربية . حتى ليرتقاري الشعر التركي بأبيات فارسية ليس فيها من التركية الا حرف أو فعل . وبقي تسلط الفارسية واضحاً حتى عصر عبد الحق حامد واضرابه وقد توفي عبد الحق منذ بضعة عشر عاماً .

ويمكن ان يقال في صلة الأدب التركي بالأدب العربي ما قيل من قبل في الصلات بين الأديبين العربي والفارسي . إذ كان الشعر التركي ، كما قلت ، محاكاة للشعر الفارسي في الفاظه ومعانيه وموضوعاته .

وأكثر الترك من تسجيل تاريخهم بلغتهم فغشيت اللغة التركية بسلسلة من كتب التاريخ قيمة . والأسلوب القديم في النثر ينوء به التكلف والزينة اللفظية . وأما التأليف في العلوم العقلية والشرعية واللغوية فقد غلبت عليه اللغة العربية شأنها في ايران وتركستان .

وحسبنا ان نذكر من المؤلفين صدر الدين القونوي (توفي سنة ٦٧١ هـ) والكمال بن الهمام السيواسي (توفي سنة ٨٦١) ولطف الله بن حسن التوقاقي الذي ألف في موضوعات العلوم للسلطان بايزيد الثاني (توفي سنة ٩٠٠) . واحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا وهو من أكثر المؤلفين في العلوم الشرعية واللغوية .

وعصام الدين احمد بن مصطفى المعروف باسم طاشكيري زاده وهو مؤلف الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وله مؤلفات بالعربية تزيد على الثلاثين اجلها كتاب موضوعات العلوم المسمى مفتاح السعادة (توفي سنة ٥٦٨ هـ) وعبي الدين القونوي المتوفى سنة ٩٥١ ومصطفى بن شعبان صاحب الحاشية على تفسير اليبضاوي (توفي ٩٦٩) وحامد القونوي صاحب الفتاوى توفي سنة ٩٨٥ والاقروبي صاحب الفتاوى المتوفى ٩٩٨ هـ والحاج خليفة صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٧ ولم يخل عصر من التأليف بالعربية في بلاد الترك العثمانيين على اختلاف اطوار العربية والتركية في التأليف على مر العصور .

ولم يخل اديب او شاعر من معرفة العربية قليلاً او كثيراً حتى عصرنا هذا .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزازم

معجم مصطلحات امراض الجلد

المقالة التي أُلقيت في المؤتمر الطبي العربي بحلب

لم يعتنَ الى الآن عندنا العناية اللائقة بمصطلحات امراض الجلد التي اتسعت في الأعصر الأخيرة اتساعاً كبيراً . ولم ينشر كتاب بالعربية في هذه الأمراض ، حسب ما أعلم ، سوى كتاب « الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية » ألفه احمد بن حسن الرشيدى قبل مائة عام ونيف . اكتفى فيه مؤلفه باستعمال أسماء الأمراض الجلدية المعروفة منذ الدور العباسي كالدمل والسرطان والسعفة والقوباء والجدرى والحصبة والجذام والجرب والجمرة والحمرة والحصف والنملة والكلف والنمش والتآليل ونحو ذلك ولم يزد عليها سوى القرصية والوردية والحلي الفقاعية . أما الأمراض التي عرفها الافرنج فاكثرت بذكرها بأسمائها الفرنجية كالارتيميا والاستروفولوس والآكروودينيا والمتاكر والبتريازيس والبسوريازس والسودامينا والكوبيروز والمولوسكوم . . . الخ . ولم يسع قط لايجاد كلمات عربية لها وبقي الحال على هذا المتوال تقريباً الى الآن . وهذا ما حدا بي على شحذ الهمة للـ هذا الفراغ . فعزمت على تأليف معجم في مصطلحات أمراض الجلد .

تناولت في البدء كتاب امراض الجلد لشاتلان الفرنسي وتصفحته ثم نظرت في فهرسه وأحصيت الاسماء الواردة فيه فاذا هي (٣١٨١) اسماً فهالني الأمر فان هذا العدد الضخم من الأسماء وان يكن قسم كبير منها أسماء امراض مكررة الحقت بها صفات لتمييز انواع واشكال المرض الواحد ، الا انها تبقى جسيمة على كل حال . وخصوصاً وان كتب أسلافنا القدماء لا ذكر فيها لغير عدد نزر من امراض الجلد . فقد عدت في القانون لابن سينا ، وهو اضعفها ، خمسين مرضاً . أما الذين أتوا بعده فكلهم عالة عليه حتى داود الانطاكي فانه لم يزد على هذا

العدد من الأمراض في كتابه « تذكرة أولي الألباب » و « الغزوة المبهجة » سوى الشيلم والمأشرا وهي الحمرة الفلفمونية في الوجه والرأس ، والورشكين وهو الجدري التزفي . ووجدت . صالح الحلبي رئيس الأطباء باستنبول بوقته زاد في كتابه « غابة الاتقان في تدبير بدن الانسان » البليكا (تلبد الشعر) والاسكربوط (الحفر) باسميها الا فرنجييين فانه كان قد أدرك أوائل النهضة الطبية في أوروبا وأقتبس الطب الكيميائي لبراكلسوس على ان بين الأمراض الجلدية الخمسين في الكتب التي ذكرتها أسماء مبهمة لا يمكن معرفة الأمراض المقصودة بها ولا الاستفادة منها في الاصطلاحات بزماننا الحاضر ، كقولم البثور الصفار والبثور الصلبة وذات الرأس والغريبة والبيض وبثور الصدغ وبثور القفا فاذا طرحناها بقي لنا نحو من ٤٤ اسماً فقط ، فلما رأيت ذلك كدت أرجع عن عزمي لكنني وطدت نفسي وفكرت في الاستفادة من كتب اللغة وخاصة من شرح القاموس المسى بتاج العروس . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ وما يتعلق بالجلد والشعر وأمراضهما من الألفاظ منبثة في اجزائه العشرة الضخمة . وأخيراً قمت بعمل ندر من قام به وهو انني قرأت تاج العروس من أوله الى آخره والتقطت منه كل ما يخص الجلد وملحقاته من اوصاف وامراض واعراض وكتبتها على حدة . وقد كلفني هذا عناء كبيراً . ثم اني جعلت اختار الألفاظ الغريبة الموافقة لمرض مرض حتى انتهيت من وضع معجمي هذا وصميت « معجم مصطلحات أمراض الجلد » وهو يحتوي كما ذكرت على (٣١٨١) اسماً ليس فيها الفاظ غير عربية او مستعربة سوى خمسة أسماء للأمراض خاصة لا تكون الا في أقطار خاصة ممتها العلماء بأسمائها المحلية وهي: بيان ، بوس ، تو كيلو ، يادرا ، كراو كراو .

كل هذه الألفاظ التي التقطتها من شرح القاموس بقي نحو من خمسة اسماها زائداً لم احتج اليه . وهذا ما يظهر كون اللغة العربية من السعة بحيث تكفي إذا أضفنا اليها الاشتقاق والاستعارة ، لجنيح مصطلحات العلوم والفنون وتزيد .

وتكون هذه الزيادة ذخيرة لاحتياجات في المستقبل توجبها الاكتشافات والاختراعات . حقيقة لغتنا المحبوبة هذه لطمة على وجوه المتوانين الذين يصموننا بالقصور عن اداء المعاني المستحدثة ، وانما القصور في عدم معرفتهم اياها وفي قصر همهم عن التحري والتقيب .

ثم اني الحقت بالمعجم فصلاً فيه ايضاحات وتعليلات لبعض ماورد فيه من الألفاظ ، رتبها على حروف الهجاء ليطلعن اليها المراجع وهي الفاظ معلّم عليها بنجمة في أصل المعجم اذكر بعض هذه الايضاحات على سبيل الأمثلة كما يلي :

افرنجي Syphiliss — اول من ذكر الافرنجي من مؤلفي العرب هو داود الانطاكي ذكره باسم الحب الافرنجي في التذكرة (٢ — ٧١) وفي التزفة المبهجة المطبوعة في هامش التذكرة (٢ — ١٦٣) ولهذا المرض الآن اسماء كثيرة في مختلف الأقطار العربية مبارك وبلاء وتشويش وفرنجي بمصر ، مبروك على شواطي الفرات ، بجل بالحجاز وبادية الجزيرة بين التهرين ، غرائصي بالمغرب جمع كيل بالسودان ابو خصبان عند بعض عشائر الجزيرة ومنهم الجبور وكلها لاتصلح لاتخاذها مصطلحاً لهذا المرض فالمبارك والمبروك وان قيل على سبيل التفاؤل كقولهم للديغ سليم الا انها يخذعان جهة الناس فيحملون التداوي ظناً منهم انه سمي بهذين الاسمين لسلامته وعدم ضرره . والتشويش لا يفيد شيئاً معيناً والزهرى ليس خاصاً بهذا المرض بل يشمل القرحة والرخوة والتعقبة والورم اللنفوي الحبيبي ومثله البلاء اما البجل فمرض الخيل القريب الشبه من افرنجي البشر وليس منه وباقي الأسماء غريبة . اما الخلق فيلبس في الكتابة مع جمع حلقة ويظهر انه والبجل واحد والخلق هو وجع الخلق فلا مندوحة في تسميته بالافرنجي كما سماه داود الانطاكي .

باذشنام — سميت Lupus بالباذشنام تبعاً لابن سينا ومن أتى بعده فقد جاء في القانون (٣ — ٢٨١) الباذشنام حمرة منكورة تشبه حمرة من يتدى به الجذام .

يظهر على الوجه وعلى الأطراف في الشتاء والبرد وربما كان معها قروح (٥١٠) .
 ومثله في بحر الجواهر وجاء تعريف الباذنجان في غاية البيان اتقن واكثر انطباقاً
 على وصف هذا المرض في كتب امراض الجلد الحديثة قال انه حمرة في الوجه
 منكورة تشبه حمرة من يتدي به الجذام . وهو ثلاثة انواع النوع الأول يكون
 في الوجه حمرة فقط والثاني ان تكون تلك الحمرة مع بثور صفار والثالث ان
 يكون متقرحاً ٥١ . ولم يذكر كونه في الأطراف ولم يخصه بالشتاء والبرد .
 بطم — جاء في القانون (٣ - ٢٨٢) البطم قروح سوداوية تظهر في الساق
 من مادة الدوالي بعينها ٥١ . وجاء فيه أيضاً (٢ - ٤١٢) ان كثيراً من الناس
 الذين بهم طحات اذا عرضت لم رياضات عنيفة انحدرت المواد الى الساقين
 فتبثرت وتخرج بها البثور التي تسمى البطم ٥١ . اقول اذا صرفنا النظر عن
 تعليقات القدماء لحصول الأمراض علمنا ان ابن سينا قصد بالبطم *ecthyma*
 فان بثرة هذا المرض شبيهة بحبة البطم واكثر ظهورها في الساقين وبعد تقرحها
 تكون قمتها سوداء ثم يتكون عليها قشر اسود لذا سماها ابن سينا سوداوية
 لأنهم كانوا ينسبون الى السوداء كل ما يظهر اسود في الجسم وقال داود الانطاكي
 في النزهة المبهجة (٢ - ١٤٦) البثور والقروح هي ما يثر الجلد وطال تقريحه
 وتزف وجمع . ولها اسماء تارة بحسب هيئاتها فيقال البطم لما كان حبة . . . الخ . . .
 وجاء في بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الهروي والبطم ايضاً بثور صفار تعرض
 في الساق سوداوية كأنها ثمرة الطرفاء او الحبة الخضراء الكبيرة .
 بلخية — هذا اسم حبة الشرق في الكتب الطينية العربية .
 بنات الليل *epinictis pruriginosa* — حكة وخشونة تعرض ليلاً لبرد
 الهواء وتكاثف المسام وتفتقر نهاراً (غاية الاتقان) والقانون (٣ - ٢٩٤) .
 بوغ — الذي يكون في اجواف النقرة (تاج) يريد البزيرات التي تكون
 في الكأمة وهذا يطابق كلمة *sport* مطابقة تامة جمعه ابواغ .

- تبليغ - قابلت بها *hynerémie* جاء في التاج تبليغ به الدم هاج به وغلبه وذلك حين تظهر حمرة في البدن .
- تخزف *hyperkératose* - صيرورة الجلد كالخزف من فرط تقرن البشرة استعمل ابن سينا هذه الكلمة في القانون (٣ - ٢٨٢) .
- حاصة *pelade* - الحص ذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض والخاصة داء يتناثر منه الشعر وقال ابن الأثير هي العلة التي تحمص الشعر وتذهب (تاج) .
- حبو *pétéchie* - المحبر من اكل البراغيث جلده فبقي فيه حبر اي آثار ومن المعلوم ان المؤلفين عند تأليفهم وتعريفهم ال *pétéchie* يقولون انها تشبه اثر قرص البرغوث ترجمها بعضهم بالنمش غلطاً فان النمش هو *ephelides* .
- دقة الجسم *demodex* مركبة من كلمتين يونانيتين *demos* الجسم و *dex* دودة الخشب وهذه عريبتها دقة جاء في التاج قال ابن دريد الدقة بالضم دويبة صغيرة ويفتح او الصواب الفتح .
- سحل *flanelle* - ثوب لا يبرم غزله (تاج) .
- شيربنج - هو السعفة الرطبة *impetigo larvatis* وبال يونانية *achor* استعملها ابن سينا في (ق ٣ - ٢٨٢) وهي بكسر الشين واسكان الياء وضم الباء وفتح النون معربة عن الفارسية شيربنك شير اللبن وبنك اللطخة فيكون معناها لطخ اللبن وهذا يشبه تسمية اللاتين *orasta lactea* والفرنسيين *croûtes de lait* اي القشور اللبنية .
- ضباة *cretinisme* - الضبيس الثقيل البدن والروح الجبان الأحمق الضعيف البدن القليل الفطنة الذي لا يهتدي لحيلة ضبس الرجل ضباة قل خيره (التاج)
- طلوعات *efflorescences* - طلوعات تطلق على كل خراج سواء كان خشكريشة أولاً ومنها الديلة والحمرة والتملة وغيرها (التذكرة ٢ - ١٣٥) .
- ظلياً - يفتح فكسر فتشديد ياء قرحة شبيهة بالقوباء تخرج في جنب الانسان .

فيقال للرجل انما قوبا وليست بطليا يهوتون بذلك عليه (تاج) فقولته شبيهة بالقوباء
يمكننا من استعمالها مقابل rupia وما ندرى لعل طليا وريبا من أصل واحد
حرفت الأولى من الأخرى تحريفاً كبيراً .

عجرة وعجيرة - المعروف أن tubercule تترجم في هذا الزمان بـدرن لكن ليس
الدرن الا الوسخ لا غير وأظن ان التدرن اخذت من كتاب كامل الصناعتين
في البيطرة والزرطقة لأبي بكر البدر البيطار احد البيطرة باصطبل الملك الناصر
محمد بن قلاوون حيث سمى احد امراض الرئة في الخيل بالتدرن فظن انه يقصد
سل الرئة حين ان المفهوم من التدرن هناك هو توسخ الرئة اعني تغيرها
pneumakoniase وقد آن ان ترك الغلط ونرجع الى الصواب . ان tubercull
مصغر tuber وهذه معناها باللاتينية العقدة في الشجرة وبقابلها العجيرة بالعربية
فتكون tubercul عجيرة فأدعو الى استعمالها .

غدبة - بالضم scrofules عدلت عن داء الخنازير الى كلمة غدبة لانه لا يليق
القول لمن كان مصاباً بسل العقد المفوية في العنق ان بك داء الخنازير فهذا
يكون مساوياً لقولنا له انك خنزير او قد اصبحت تشبه الخنازير ان داء الخنازير
ترجمة للكلمة اليونانية خويرادس المشتقة من خوريوس وهو الخنوص اي ولد الخنزير
اما في العربية فيسمى هذا الداء بالغدبة والجوزة والخازباز والكنفشة اخترت منها
الأولى جاء في التاج الغدبة بالضم لجة غليظة شبيهة بالتدند تكون في لحازم
الانسان وغيره اما عن الالهزمة فقد قال عظم نائى في اللحم تحت الاذن يريد
بذلك زاوية الفك الأسفل .

غربالي - انتراكس كلمة يونانية معناها الجرة جاء في لاروس القرن العشرين
قوله انتقلت الينا هذه التسمية anthrax من الزمن الذي كانت هذه العلة لم تميز
بعد من ال charbon اي الجرة وقد آن لنا ان تدعي الاشتراك بين المرضين
بلفظ واحد وادى ان نسمي الانتراكس بالسل الغربالي او الغربالي مقتصرأ لأنه

لا شيء سوى دمايل مجتمعة يصير لها ثقب كثيرة كهيئة الغربال وهذا خير من تسميتها بالجمرة الحميدة وتترك الجمرة (للشاربون) دون ان نسميها جمرة خبيثة .
 فلسجة - جدير بنا ان نعرب كلمة فيزيولوجيا ونسميها فلسجة بحذف بعض حروف العلة فيها كما حذفنا بعض هذه الحروف من جيوغرافيا وقلنا جغرافيا وهذا خير من استعمالها كما هي بطولها ومن ترجمتها بعلم وظائف الأعضاء او مبحث الطبائع او علم الخلقة او علم الفرائز .

فقعي - fongoise نسبة الى الفقع بالفتح وبكسر وهو البيضاء الرخوة من الكماة (تاج) اقول بين لفظتي فقع و fungus قرابة لفظية تدل على وحدة الأصل .
 فلفحوني - كدت اسميها بالحنين بكسر الحاء واسكان الباء فهو ال Phlegmone بعينه لكنني تركته لالتباسه كتابة بالحنين المحركة وهو ال ascite جاء في التاج الحين بالكسر خراج كاللؤلؤ وهو أيضا ما يعتري في الجسد فيقيح ويرم .

قبرسية - جاء في معجم لاروس الكبير ان Coreperose مأخوذة من الانكليزية Copper ومعناه النحاس ولما كان النحاس يسمى بالعربية القبرس ايضا سميت هذا المرض بالقبرسية .

قروت - ecchymose قرت الدم كنصر وسمع قروتا بالضم ييس بعضه على بعض او مات في الجرح ودم قارت قد ييس بين الجلد واللحم وقرت الدم اخضر تحت الجلد من الضرب وقرت الظفر مات فيه الدم .

لمفوي - كتبوا في النسبة الى اللنفاء لنفوي ولنفاوي ولمفاوي ولمفي ولنفي والأصح ان يقال لمفوي قياما على دنيوي نسبة الى دنيا .

مث - ورد في التاج مث العظم : سال ما فيه من الودك ومث النحي بالكسر الزق يمث مثا رشح وقيل نتج جاء يمث اذا جاء سميئا يرى على سمخته وجلده مثل الدهن قال الفرزدق :

تقول كليب حيث مئت جلودها واخصب من مروتها كل جانب
فالمث اذاً هو seborrée :

مدش — محركة حمرة وخشونة في الوجه وهو امدش وهي مدشاء والمدش
رخاوة عصب اليد وقلة لحمها والأمدش المهزول الخفيف اللحم والأمدش الاصابع
المنتشر الأشاجع الرخو القبضة والمدش اللحم المدشاء الحقاء والذكر امدش .
والمدش ظلمة العين من جوع وتشقق في الرجل هذا ما جاء في التاج نقلته
مقدماً بعض عباراته على بعض حسب اطوار هذا المرض المعروف عند الافرنج
بال Pellagre ومنها يرى القاري المطابقة التامة في تعريف التاج للمدش
لاعراض المرض المذكور .

معروف — كلمة Cummun لها معان مختلفة فيجب ترجمتها حسب المعنى المقصود
بها فمن معانيها عام شامل ، مشترك ، مباح للجميع ، مشترك النفع : واذا وصف
بها حيوان او نبات او مرض يكون معناها المعروف كما اذا قيل le chien
Commun الكلب المعروف الذي تعرفه الناس وتشاهده أكثر من باقي انواعه .
منطلس — يقال بالفرنسية fruste للمرض الذي لا تظهر اعراضه الا قليلاً
او لا تكاد تظهر تشبيهاً بالسكة التي قد انمحت طغراؤها وكتابتها بالاحتكاك
والاستعمال ومثلها الرقم والثائيل التي اندرس ما عليها من الكتابات والنقوش
البارزة من تقادم العهد (راجع معجم لاروس الكبير) يقابل ذلك المنطلس بالعربية
جاء في التاج . طلس الكتاب محاء ليفسد خطه فاذا انعم محوه وصيره من
الفضول المستغنى عنها وصيره طرساً فقد طرسه (بالراء) والطلس بالكسر الصحيفة
كالطرس لغة فيه او المحووة لم ينعم محوها وبه فرق الأزدي بينهما والطلاسة
مشددة خرقه يمسح بها اللوح .

ناشئة — هي أحسن كلمة تترجم بها Neoplasme .

نخب — العض والقرص يقال نخب النملة تنخب عضت قال ابن سيدة نخبه .

النملة والقملة عضتها وفي النهاية النخب خوق الجلد (تاج) وقال عن الخوق
محركة الجرب وقيل هو مثل الجرب فيمكننا تشبيهه حطاط الـ Strophulus
بأثر عضه النملة والقملة وتسمية هذا المرض بالنخب .

نخرة - النخرة والـ necrose من اصل واحد لفظاً ومعنى فاما ان يكون
اللاتين اخذوها عن العرب او اخذها العرب عن اللاتين .

نسيج خاص - سمي علي بن عباس المجوسي في كتابه كامل الصناعة (١ - ٣٥٩)
الـ Parenchyme جوهر العضو وسماها ابن سينا (ق ٢ - ٣٥٣) الجوهر الخاص
ورجحت تسميتها بالنسيج الخاص .

نشر - Porrigs لها معنيان باللاتينية احدهما النشر والبسط والثاني الجرب
وكذلك النشر بالعربية هي البسط وهو الجرب أيضاً كذا في التاج فيظهر ان ليس
هنا مجرد مصادفة بل الواحد مترجم عن الآخر في زمان قديم لا نعلمه ثم سميت
Porrigs الامراض الجلدية المعروفة الآن بهذا الاسم فتسميها نحن ايضاً نشرأ مجازاً .
وحصى - Vorus اسم لنوع من امراض الجلد كالعدة وداء الدقن وغيرهما
استعمله Albet يقرب من هذا اللفظ الوحصى بالعربية فها متناظران لفظاً ومعنى
وقد جاء في التاج الوحصى البثرة تخرج في وجه الجارية المليحة فاذا حذفنا من
هذه الكلمة كلمتي الجارية المليحة لان هذه الأمراض لا تختص بالجواري
ولا بالمليحات منهن بقي عندنا ان الوحصى بثور تخرج في الوجه وهذا ما اراده
البير بكلمة وارس .

وذم - محركة الفصل والزيادة والثؤلول والحماة. الزوائد تكون في رحم الناقة
أمثال الثآليل (تاج) يفهم من هذا انه اراد الـ Polype وقد سماه ابن سينا
بيامور الأنف اذا لم يكن له ارجل والأريبان اذا كان له ارجل (ق ٢ - ١٧٢)
تشبيهاً بالحيوان البحري كثير. الأرجل المسمى بجراء البحر ايضاً وبالفرنسية
crevette أما أنا فأرجح الوزم .

- هرص - لا أشك في كون الهرص وال herpès من أصل واحد .
- هلاس - مهلوس جمع مهلوسون tabétique .
- اكتفي بهذا القدر خوف الاطالة وجلب السآمة وأقول ربما رأى بعض الاخوان ان بين الألفاظ في هذا المعجم الفاظاً غير مأنوسة : وجوابي على ذلك ان الاستعمال كفيف يجعلها مأنوسة .

اهراء الكتاب

وقد أهديت كتابي هذا الى روح «حنين بن اسحق العبادي» اكبر مترجم
 وواضع المصطلحات الطبية والعلمية باللغة العربية رحمه الله رحمة واسعة .

وأخيراً أذكر اني مستعد للاتفاق مع من يشاء من الأفراد او الجماعات
 على طبع ونشر هذا المعجم لأجل اطلاق جمهور الأطباء عليه عسى ان يكون
 في نشره فائدة .

(الموصل)

الدكتور داود الحلبي



شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لا للمكبري

لم يرزق ديوان شاعر من شعراء العرب من الشروح ما رزقه ديوان أبي الطيب المتنبي لأنه كان شاعر الناس لا شاعر نفسه ، وكان ينظم على حسب الأهواء البشرية والطبائع الانسانية فالجاد والمأزج والمادح والمهاجي والحكيم والمستهزي والحماسي والخيالي والثائر والزاهد وغير هؤلاء من أطوار الناس يجدون طلبتهم في شعره المتين الرصين المكتنز من المعاني والمضامين المكتظ بها أشد الاكتظاظ . قال الثعالبي في نعت شعره « وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديثه ^(١) » . وقال شمس الدين ابن خلكان « واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفت له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطوولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة ^(٢) » . وقد ذكر له الحاجي خليفة من الشروح شرح ^(٣) « أبي طالب سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد » المتوفى سنة (٣٨٥) هـ وشرح ابن أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة (٣٩٢) هـ وشرحاً لكمال الدين محمد بن آدم أبي المظفر الهروي المتوفى سنة (٤١٤) هـ وشرحاً لمشكل أبياته ألفه أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي المعروف بابن سيده المتوفى سنة (٤٢٨) هـ وشرحاً لأبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الهراسي الخوارزمي المتوفى سنة (٤٢٥) هـ ولأبي العلاء المعري وقد توفي (٤٤٧) هـ ولأبي الفتح

(١) قيمة الدهر « ج ١ ص ٩١ » من طبعة الصاوي ١٩٣٤ م — ١٣٥٢ هـ

(٢) وفيات الأعيان « ج ١ ص ٣٨ » من طبعة العجم (٣) ذكر اسماعيل باشا البغدادي

له ثلاثة شروح لأبي عبد الله اللخمي ولابن عصفور ولابن القويم « ذيل كشف الظنون ص ٥٢٧ طبعة وكالة المعارف التركية » .

محمد بن احمد المعروف بابن فورجة وكان حياً في سنة (٤٣٧) ولأبي القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بالافليلي النحوي المتوفى سنة (٤٤١) ولعبد الله بن احمد الشامي المتوفى سنة (٤٧٥) ولأبي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨) ولأبي زكريا المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة (٥٠٢) ولأبي محمد عبد الله ابن محمد المعروف بابن السيد البطلوسي المتوفى سنة (٥٢١) ولعبد القاهر بن عبد الله الحلبي المعروف بالوأواء المتوفى سنة (٥٥١) ولأبي البركات مبارك بن أبي الفتوح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي المتوفى سنة (٦٢٧) .

فهذه خمسة عشر شرحاً ذكرها مؤلف كشف الظنون في كشفه ، ولم يصل علمه الى الشروح الأخرى وقد ذكرنا ثلاثة منها في حاشية سابقة ، وبقية الشروح تحتاج الى استقراء عام لتراجم الأدياء فلعل العدد يتجاوز الأربعين . وفي سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) اخرج بار علي البادرناوي بكتككتة من الهند شرحاً لديوان المتنبي موسوماً بالتيبان منسوباً الى أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ ثم أعيد طبعه بيولاى سنة ١٢٨٧ بذلك الاسم ، إلا أن مؤلف كشف الظنون لم يذكر لأبي البقاء العكبري شرحاً لديوان المتنبي وإنما ذكر له تأليفاً في اعراب الديوان قال « وأبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري الحنبل النحوي ، المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة ومائة ، ألف في اعرابه كتاباً » . وكان ذكر أن « التبيان » إنما هو في اعراب القرآن ليس غير . إن مكوت الحاجي خليفة عن نسبة شرح لديوان المتنبي لا ينفيه نقياً باتاً ولا ضعيفاً فان ابن الديبني محمد بن سعيد الواسطي المؤرخ المقرئ المحدث أرخ أبا البقاء العكبري وكان معاصراً له ، وقال ^(١) « تفقه على مذهب الإمام أبي عبد الله احمد ابن حنبل — رحمه الله — . . . وأخذ النحو . . . وسمع الحديث . . . وكان جماعة لفنون من العلم والنحو واللغة العربية ، وشرح المقامات الحريية وشعر

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٠ ص ٢١٣ » قلاً من تاريخ بغداد لابن الديبني المذكور

ابي الطيب المتنبي وغير ذلك، سمعنا منه ونعم الشيخ كان». وقال ابن خلكان في ترجمته من الوفيات «وشرح كتاب الايضاح لأبي علي الفارسي وديوان المتنبي وله كتاب اعراب القرآن الكريم^(١)». وذكر شمس الدين الذهبي تصانيفه نقلاً عن ابن النجار في تاريخه وهي «تفسير القرآن، اعراب القرآن، اعراب الشواذ، متشابه القرآن، عدد الآتي، المرام في المذهب، ثلاثة مصنفات في الفرائض شرح الفصيح، شرح الحماسة، شرح المقامات، شرح خطب ابن نباتة». وقال: «ثم ذكر ابن النجار تصانيف كثيرة تركتها اختصاراً^(٢)». وقد سرد الصفدي تأليف المكبري فعدها بينها «شرح شعر المتنبي^(٣)»، وذكر السيوطي في البغية كثيراً من مؤلفاته إلا أنه لم يذكر شرح ديوان المتنبي بل قال «وأشياء كثيرة» وذكره ابن العماد في الشذرات. وكيف كان الأمر فإن من السهل أن يلتبس كتاب «اعراب شعر المتنبي» و«شرح شعر المتنبي» لأن الاعراب ربما يتناول المعنى والشرح ربما يتناول الاعراب، ولكن من قرأ من القدماء في شرح المكبري ومن نقل عنه؟ وهل اختلق طابع هذا الشرح النسبة اختلاقاً لترويج سوقه؟ فإن الأدلة ناطقة بأنه لغير ابي البقاء المكبري.

لا نظن أن ذا دين متين يفعل ذلك فضلاً عن المأمون في العلم والثقافة، ويجب علينا البحث عن نقل من هذا الديوان، فاعل نسبته الى المكبري كانت قديمة وإن عدت سقيمة، وقد بحثنا فوجدنا أن السيد علي خان المعروف بابن معصوم مؤلف سلافة العصر يقول في «باب التكرار» من كتابه الموسوم بأنوار الربيع في علم البديع بعد إirاده قول المتنبي:

العارض الهمتن ابن العارض الهمتن (م) ن العارض الهمتن ابن العارض الهمتن

ما هذا نصه «قال المكبري في شرحه: سمعت شيبني أبا الفتح يقول إن كان هذا من النبي فحديث رسول الله ﷺ أصله، فقد قال - ع - : الكريم ابن

(١) الوفيات «ج ١ ص ٢٨٨» من طبعة المعجم (٢) أصول التاريخ والأدب

«مج ٢٢ ص ٢٢١» (٣) نكت الهيمان «ص ١٧٨ - ١٨٠»

الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم^(١) .
 وهذا القول نفسه وارد في الشرح المعروف بشرح العكبري إلا أن ابن معصوم
 تصرف به بعض التصرف فأخر لفظة « يوسف » وحذف اسم الشيخ وهو « نصر الله
 ابن محمد الوزير المعروف بابن الأثير الجزري^(٢) » . وقد توفي ابن معصوم بشيراز
 سنة (١١٢٠) هـ وكان قد سافر الى الهند وأقام بها في كنف والده وبها تخرج
 على عدة من جهابذة الأدب ، فالظاهر أنه نقل من نسخة الشرح المنسوب الى
 العكبري وبقيت بعد ذلك حتى طبعت في سنة ١٢٦١ هـ في الهند نفسها أو أنه
 جاء بالنسخة الى الهند وحفظت هناك ثم أخرجت الى الناس مطبوعة في التاريخ
 المذكور . وأياً ما تكن الحال فانا لا نظن أن الذي نسب الشرح الى العكبري
 كان من الهنود لأن في دار الكتب الوطنية بباريس نسخة من هذا الشرح
 رقمها « ٣١٠٥ » من العرييات وهي غفل من اسم المؤلف أعني شارح الديوان ،
 وعلى هذا تكون النسخة الهندية في الأصل كهذه النسخة ولكن بائها أو
 أو مهديها أحب ان يجعل لها مؤلفاً ، فاختار لها عالماً كبيراً شهيراً هو ابو البقاء
 العكبري لأنه رأى في ترجمته أنه شرح شعر المتنبي .

كيف نسب الشرح الى العكبري ؟

إن فريقاً من المؤلفين على اختلاف تأليفهم كانوا يقصرون في اثبات اسمائهم
 في مؤلفاتهم ، كأنهم كانوا يجهلون أن في التأليف حظوظاً وقسماً كسائر شؤون
 الدنيا ، فكانوا يكتفون بالاعتماد على تلامذتهم في حفظ اسمائهم واثباتها في تلك
 التأليف أو يذكرونها في اول الكتاب أو في أثنائه فإن ذهب أول الكتاب
 من كتبهم مجهول اسم مؤلفه ، وهذا النجاس يكون أحياناً على يد منافس لهم
 أو مبغض ايهم ، وكانوا جديرين ان يذهبوا في ذلك مذهب المسعودي عالم القرن
 الرابع الأوحده ، ومؤرخه الفذ في التحقيق ، فانه كرّر اسمه في تأليفه على ما يرى

(١) أنوار الريم « ص ٧٠٣ » (٢) شرح ديوان المتنبي « ج ٢ ص ٢٢١ »

الرأي في مروج الذهب والتنبيه والاشراف حتى ليستطيع الواحد كراسة منها ان يعرف انها من تأليفه بإشارته الى اسمه في مواضع كثيرة ، أجل إن أولئك الفريق كأنهم ساعدوا الغير أو العدو على اضاءة اسمائهم فأورثوا من بعدهم علماً بتبياً ، وتراثاً نبياً لعلمهم كانوا - رحمهم الله - فيه من الزاهدين .

ومن تلك التأليف المضاعة أسماء مؤلفيها هذا الشرح العظيم الجسم الذي ذكرنا قبل هذا ان احد العلماء نسبه الى ابي البقاء العكبري بعد ان وجده غفلاً ، وما يحتمل أيضاً في هذا الأمر أنه وجد اسم المؤلف ناصلاً تقسّمه بالية حروفه أو مأروضة أرضه ، إلا ان وجود النسخة الباريسية 'غفلاً' من اسم المؤلف يدل على ان الورقة الأولى من شرح الديوان قد سقطت أو قطعت وان الشارح لم يقل في أوله « قال فلان » يعني نفسه ، كما هو عادة كثير من المؤلفين المنصفين لأنفسهم لأن من ألف فقد استهدف .

ولقد كنتُ أشرتُ الى أن هذا الشرح لم يكن من تأليف أبي البقاء العكبري في مجلة الثقافة المصرية ^(١) ، وذهبت بي الظنون المذاهب في معرفة المؤلف ، فاتخذت لمعرفة أسلوباً يتبادر الى الذهن الأخذ به قبل غيره وهو حسابان أن الاسم مصحف من « أبي عبد الله الحسين الاربلي » فهذا الاسم قريب من « عبد الله ابن الحسين العكبري » عند التصحيف أو التصحيف ، والسبب في اختياري اياه أنه كان معنياً بديوان المتنبي ، وكان من كبار أدباء الشام ، روى له فاضلي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكفائي « ٦٩٤ - ٧٦٧ » هـ بواسطة ، عدة أبيات أنشدها من نظمه بجامع دمشق وهي :

يقولون قد أوتيت علماً فبثته على مستحقه ثاب وتوَجَّرُ
فقلت صدقتم لو أصبت ولم أصب مع الجهل إلا من يفاد فيكفر
فضني بعلمي عذرهُ ما سمعتم فان شئتم لوموا وان شئتم اعذروا

ثم قال عن الدين الكناني « هو أبو عبد الله حسين بن ابراهيم بن الحسن بن يوسف الهذلي وقيل الكوراني الاربلي ، تزل دمشق الصوفي ، سمع الحديث من أبي طاهر الخشوعي ؛ روى عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي وغيره ، وكان أديباً فاضلاً عالماً بالمقامات والحامسة وخطب ابن نباتة و [ديوان] المتنبي ، مولده سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثالث ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق ودُفن من الغد — رحمه الله — (١) » .

وترجمه السيوطي بأبسط من هذا قال « قال ابن رافع في تاريخ بغداد : كان أديباً فاضلاً بارعاً مشهوراً بالفضل والرواية حسن السمعت عارفاً بكلام العرب ، صاحب مفاتيح وأخبار ومحاضرة ومعرفة جيدة باللغة ، سمع من الخشوعي وأبي الين الكندي وجماعة . وقال الذهبي : « عني عناية وافرة بالأدب وحفظ ديوان المتنبي وخطب ابن نباتة والمقامات ، وكان يعرف هذه الكتب ويحل مشكلها ، تخرج به جماعة من الفضلاء ، وكان ديناً ثقة جليلاً ، روى عنه الشرف الفزاري واخوه والدمياطي ، مولده في يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثاني ذو القعدة وقيل ذي الحجة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق (٢) » . وذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي وقال إنه ولد بابل . والاشارة الى مولده من الأمور المهمة ، إلا انه ذكر ان وفاته كانت سنة (٦٥٣) وهو وهم منه ، وكأنه أصلحه في النجوم الزاهرة فذكر الوفاة صحيحة (٣) ، وقد وجد سماع شرف الدين الاربلي لديوان المتنبي في نسخة « هـ » من الطبعة الجامعة التي أخرجها الدكتور عبد الوهاب عزام ، ولكنه ورد بصورة « شرف الدين بن الحسين بن ابراهيم الاربلي » (٤) . وله ترجمة قصيرة في شذرات الذهب هي تكرار بعض ما ذكره المؤرخون (٥) .

(١) أصول التاريخ والأدب من مجموعتنا الخطية « مج ٥ ص ٧٨ — ٩ » قلاً من تليقة

الشراء والنشدين للوسوم بترمة الألباء لمراد بن عبد العزيز بن جماعة الكناني .

(٢) السيوطي في « بنية الوفاة ص ٢٣١ » (٣) ج ٧ ص ٦٨ (٤) ديوان

أبي الطيب المتنبي المقدمة ص (٧) بمطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

(٥) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٤ —

نفي نسبة الشرح الى العكبري

كنا نفينا نسبة شرح الديوان المذكور الى العكبري نفياً مرسلاً ، فيه شبه دليل هو خلو النسخة الباريسية من اسم المؤلف ، على أن تكون نسخة منه غفلاً من اسمه لا يستلزم ان لا يكون في المخطوطات نسخة أخرى أو نسخ أخرى مكتوب عليهن اسم المؤلف ، فعدم اسم المؤلف لا يصح اتخاذ ذريعة الى نفي نسبته الى العكبري ، ولذلك وجب علينا ان نذكر أدلة النفي سلسلة فنقول :

(١) قال الشارح في أول الديوان « اما بعد فاني لما اتقنت الديوان الذي انتشر ذكره في سائر البلدان على الشيخ الامام ابي الحرم مكي بن ريان الماكسيني بالموصل سنة تسع وتسعين وخمسمائة وقرأته بالديار المصرية على الشيخ ابي محمد عبد المنعم بن صالح^(١) التيمي النحوي ٠٠٠ » وابو الحرم مكي الماكسيني هذا الذي ذكره نحوي ضرير مشهور توفي بالموصل سنة « ٦٠٣ » وترجمته مثبتة في معجم الأدباء ووفيات الأعيان وتاريخ الاسلام ونسكت الحسينان وبغية الوعاة وغيرها من الكتب ولا سيما التي تذكر الوفيات على حسب السنين^(٢) ، وكان معاصراً لأبي البقاء العكبري ، ذاك في الموصل وهذا ببغداد ، ولم يكن شيئاً للعكبري في علم من العلوم ولا مسعاً له .

والشيخ عبد المنعم بن صالح النحوي أديب مصري قال فيه الصفدي « عبد المنعم ابن صالح بن احمد بن محمد ابو محمد المصري المسكي النحوي المعروف بالاسكندراني ، كان علامة ديار مصر في النحو وأكثر عن ابن بري وروى ديوان ابن هاني المغربي بسند غريب وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وصنف كتاب « تقويم اليان » تحرير الأوزان » في العروض ، وضعه على بقية تقويم السنة كتقويم الصحة وغيره وملكت منه نسخة وخطه عليها سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وكتبه بالقاهرة ٠٠٠ »^(٣)

(١) في الطبعة الشرفية (صباح) وهو خطأ طبعي (٢) مثل كامل ابن الأثير والجامع المختصر وذيل الروضتين وتاريخ الاسلام . (٣) أصول التاريخ والأدب (مج ٦ ص ٨٧) نقلاً من الوافي بالوفيات .

وذكره الامام العلامة زكي الدين المنذري شيخ ابن خلكان قال في وفيات سنة (٦٣٣) مانصه « وفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشيخ الأجل الفاضل ابو محمد عبد المنعم بن أبي البقاء صالح بن احمد بن محمد النحوي المعروف بالاسكندراني بمصر، ودفن من الغد بقرب ضريح الامام الشافعي - رضي الله عنه - قرأ الأدب على العلامة ابي محمد عبد الله بن بري النحوي واتقطع اليه وبه تخرج ثم توجه الى الاسكندرية وأقام بها مدة يقريء العربية وسمع من ابي الشناء حماد بن حبة الله الحراني وحدثت بشيء من شعره وغير ذلك وكتب الخط الجيد، سمعت منه وسألته عن مولده فقال: يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة خمس واربعين وخمسمائة بمصر. وكان يقول: نحن من بني تيم من ولد أبي بكر الصديق وابي من مسكة وأمي كنانة صعيبة من عذراء. ومسكة هذه التي ذكرها قريبة بالساحل قريبة من عسقلان^(١)... »، وترجمه السيوطي في بغية الوعاة وفي ترجمته فوائد أخرى^(٢).

فيظهر مما ذكرنا من ترجمة ابي محمد عبد المنعم الاسكندراني أنه يدخل في باب الامكان التاريخي ان يكون تلميذاً لأبي البقاء العكبري لأنه ولد سنة « ٥٤٥ » وتوفي سنة « ٦٣٣ » والعكبري ولد سنة « ٥٣٨ » وتوفي سنة « ٦١٦ » فلا يجوز العكس ثم إنه - اعني الاسكندراني - لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر فكيف يكون شارح الديوان « ابا البقاء العكبري » وشيخه ابو محمد عبد المنعم الاسكندراني - اعني شيخ شارح الديوان - ؟ هذا من الأمور المستحيلة. ثم إننا سنورد من الأخبار ما يثبت أن الشارح كان تلميذاً لأبي البقاء. (٢) والدليل الثاني أنا قد قلنا فيما أسلفنا ان شارح الديوان المنسوب خطأ الى العكبري قال في موضع من الشرح « فسمعتُ شيخني أبا الفتح نصر الله بن

(١) المرجع المذكور مج ٢٧ ص ٣٩٥ قلاً من « التكملة لوفيات النقلة » لزكي المنذري المذكور.

(٢) بنية الوعاة ص ٣١٥

محمد الوزير الجزري يقول : إن كان هذا عيًّا فحديث النبي ﷺ أصله . . . (١) .
ومن الجليّ أن شيخ الشارح هذا هو ابن الأثير الثالث مؤلف « المثل السائر » وغيره
من التآليف الرائقة الفائقة وقد توفي سنة « ٦٣٧ » قال المنذري في وفيات تلك
السنة « وفي إحدى الجماديين توفي القاضي الأجل الفاضل أبو الفتح نصر الله بن محمد
ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المنعوت بالضياء المعروف
بابن الأثير وله تصانيف مشهورة في النظم والنثر منها المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر وغير ذلك ومولده بجزيرة ابن عمر في العشرين من شعبان سنة ثمان
وخمسين وخمسمائة (٢) . . . » ، ولضياء الدين تراجم كثيرة وأخبار وافرة ، فقد
ذكره ابن خلكان وابن الفوطي ، وابن تغري بردي والسيوطي وغيرهم ، فكيف
يكون شيئاً لأبي البقاء العكبري وقد وُلد بعد ولادة أبي البقاء بعشرين سنة ؟
وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟ بله ! أننا لم نرَ في سيرة العكبري إشارة
إلى أنه أخذ عن أحد أبناء الأثير الثلاثة ، فمن المحال إذن أن يكون مؤلف
الشرح أبا البقاء العكبري .

(٣) والدليل الثالث قوله في شرح بيت المتنبي :

يدبر الملك من مصر إلى عَدَنٍ إلى العراق فأرض الروم والنُوبِ
« والذي ذكره أبو الطيب لم يملكه وما تأمر فيه سوى الملك الكامل أبي المعالي
محمد بن أبي بكر بن أيوب فإنه ملك اليمن كله وملك مصر وأعمالها والشام وأعمالها
وخطب له بالموصل وهو أول أعمال العراق وكان أمره فيها ويدبرها وملك آمد
وهي أول أعمال الروم (٣) » . وأسلوب الشارح في ذكره سعة ملك الملك الكامل
يدل أنه متأخر زمانه عن زمانه ، وكانت وفاة الملك سنة « ٦٣٥ » كما في التواريخ .
على أن قوة الدليل الثالث هذا تتوجه على كون الملك الكامل ملك مدينة « آمد »

(١) شرح ديوان المتنبي للذكور ج ٣ ص ٢٣١ من الطبعة الشرفية . (٢) أصول التاريخ

والآداب مج ٢٢ ص ٢١٠ قلاً من التكملة لوفيات النقلة للمنذري المذكور .

(٣) شرح الديوان ج ١ ص ١٠٩

وكان احتلاله اياها سنة « ٦٣٠ » قال ابن تغري يردى في حوادث هذه السنة « فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة « آمد » وأخرج منها صاحبها الملك المسعود بن مودود بعد حصار طويل ^(١) . . . » . فكيف يذكر العكبري حادثة وقعت بعد وفاته بأربع عشرة سنة ؟ هذا شيء لا يقبله العقل مطلقاً ، فالشارح إذن غير أبي البقاء العكبري .

(٤) والدليل الرابع من جنس الثالث فقد قال الشارح في شرح قول المتنبي « أنساعها مخفوفة وخفافها » ما هذا هو « قال الشيخ ابو محمد عبد المنعم بن صالح النحوي عند قراءتي عليه هذا الديوان ، ومذ وصلت الى هذا البيت : سألتني الملك الكامل ابو المعالي محمد بن ابي بكر بن ايوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت ^(٢) . . . » ، وهذه حكاية عن أمر قديم بعض القدم بالاضافة الى الشارح ، فان الملك الكامل ولي الملك سنة « ٦١٥ » أي قبل وفاة ابي البقاء العكبري بعدة اشهر ، وهذا لا يوافق مضمون الحكاية التي حكاها الشارح فانه ذكره على كونه ملكاً من قبل الحكاية ، ولتاريخه بعض القدم ، وهذا يميل أن يكون العكبري الشارح .

(٥) والدليل الخامس هو ان الشارح كان بصيراً ولم يكن ضريراً مذ كان صغيراً كما في البقاء العكبري ، فقد قال في الشرح « قال الشريف هبة الله بن علي بن محمد الشجري العلوي في الأمالي له ونقلته بخطي ^(٣) . . . » ومن المعلوم أن الضرب لا يقول « ونقلته بخطي » فالشارح غير العكبري بدلالة هذا الدليل .

(٦) والدليل السادس هو أنه ورد في الشرح ما يدل على ان الشارح دخل الموصل او كان من أهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة طالباً للعلم او مسافراً الى بلاد الشام او بلاد الحجاز ، قال في شرح قول المتنبي :

فان يكن المهدي من بان هديه فهذا وإلا فالهدى ذا فما المهدي ؟

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٩ (٢) شرح الديوان ج ١ ص ١٣

(٣) شرح الديوان ، نسخة باريس برقم ٣١٠٥ من الريات ورقة ٣٣٢

مانعه « وذهب قوم الى أنه معين وهو محمد بن الحسن العسكري وانه اختفى وهو صغير في سرداب دار ابيه بسرّاً من رأى والدار الآن مشهد يزار وقد زرته في انحداري من الموصل الى بغداد ^(١) . . . » وقال الشارح ايضاً في قول المتنبي : وردنا الرهيمة في جوزهم وباقيه أكثر مما مضى

« الرهيمة موضع بقرب الكوفة . . . وقال بعضهم : الرهيمة قرية عند الكوفة وهو الصحيح لأنني رأيت بالكوفة جماعة ينسبون اليها ولكنها خربت في الأربعمائة ^(٢) . . . » ومن المعلوم ايضاً أن ابا البقاء العسكري لم يكن من اهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة ، فكيف يكون هو الشارح لهذا الديوان ؟ (٧) والدليل السابع على نفي كون الشرح هذا للعسكري هو أن مؤلفه كتابين في النحو لم يذكر في كتب ابي البقاء العسكري ولا في كتب غيره وذلك مما يدل على أن شارح الديوان كان محدوداً في ذكر التاريخ لتأليفه فلم يذكرها ، قال في الكلام على « كلا » ما هو نصه « وقد استوفينا هذا بأبسط ^(٣) منه بكتابنا الموسوم بنزهة العين في اختلاف المذهبين ^(٤) » وقال في الكلام على مسألة أخرى وأمر آخر « وقد بيناه في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة » ^(٥) .

هذه هي الأدلة التي استطعنا ان نقيمها على نفي ان يكون الشرح المعروف بشرح العسكري ، من تأليف العسكري ، وهي أدلة جمعناها في أثناء تصفحنا للشرح المذكور ، ولو كان لنا منسج من الوقت وقرأناه بالترتيب والتعقيب لزادت عندنا الأدلة زيادة لا نعلم مقدارها .

مصطفى جواد

(بغداد)

يتبع :

(١) شرح الديوان ج ١ ص ٢٧٩ من الطبعة الشرفية المذكورة . (٢) الشرح المذكور ج ١ ص ٢٨ (٣) يعني بأكثر بسطاً وشرحاً (٤) الشرح المذكور نسخة باريس المذكورة في الورقة ٦٩ (٥) النسخة الباريية في الورقة ٣٦٩ ، ولم يذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ولا في ذيله ، ثم ان الأول لم يذكر فيه ايضاً ، فهذا الشارح لم يكن معيداً في مؤلفاته .

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

- ٢ -

ثمة ما كتب عن الرسالة الأولى

قلنا في آخر المقال السابق إنه لم يبق من الكلام على الرسالة الأولى وهي رسالة (المعاد والمعاش) إلا الأبحاث اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية : من ذلك ألفاظ فصيحة وتعابير طريفة وقعت في تلك الرسالة يحسن اقتباسها والعمل على إحيائها : قوله (ص ٢) ('حمياً الشره) و ('حمياً الحداثة) وهذا كما نقول مكر الشباب . و 'حمياً كل شيء سورته ونشاطه وحدثه .

وقوله (نسبح وحدك ، أو 'حدباً في عصرك) . التعبير الأول مألوف معروف . أما قوله : أو 'حدباً في عصرك فهو بمنزلة قولنا اليوم (فريد عصرك ونادرة زمانك) . ومن أطف تعابيره قوله يمدح (ابا الوليد) من حيث جعل عقله يتغلب على هواه فقال : (حكمت وكيل الله عندك — وهو عقلك — على هواك) والحسن فيه أنه جعل العقل وكيلاً عن الخالق عز وجل أقامه في البشر يطالبهم بالكف عن الشر والاقبال على الخير . ومثل هذا التعبير في الحسن تسمية القاضي الفاضل لحمام الزاجل بـ (ملائكة الملوك) فهي تهبط عليهم من وقت الى آخر بأخبار الأرض كما تهبط الملائكة على الأنبياء بأخبار السماء . على أن تعبير الجاحظ ربما كان أمثل وأفضل من الوجهة الدينية . وإن كان التعبيران سواسية من حيث حسن الصناعة اللفظية . قوله ص ٤ هذا الشيء لا يكاد يخفى على الغبأة (فكيف يخفى على مثلي من المتصفحين) : تصفح الشيء تأمل فيه . وتصفح الوجوه تأمل فيها متفرساً ليترف أمرها . ويستوضح مرتها . وقد أطلق الجاحظ الوصف بـ (المتصفحين) على

العلماء صريداً ما نريده اليوم بقولنا العلماء المدققين ، والعلماء المحققين ويحسن أن نستعمل (المتصفح) في وصف علماء الآثار والتاريخ وطبائع البشر استرشاداً بقول الجاحظ نفسه في ص ٦ فقد أعاد استعمال (التصفح) قائلاً (ومعلوم أن طول دراسة الكتب والنظر فيها إنما هو تصفح عقول العالمين الخ) وهل يكون المؤرخ والخباري والاجتماعي والعالم بالآثار الا متصفحاً لعقول البشر . متأملاً في طبائع الأمم . ولفظ (معلوم) نستعمله اليوم بكثرة حتى أصبحنا نعدّه من التعابير اللينة التي يحسن اجتنابها . ومثله قولنا (لا يخفى عليك) و (لا يخفى أن الأمر كذا وكذا) .

ويستعمل الجاحظ في كلامه كثيراً فعل (الاجترار) فيقول (إن الله تعالى طبع خلقه على حب اجترار المنافع) ونحن نقول اجتلاب المنافع ، واكتساب المنافع . وابلغ منهما أن يقال : احتجان المنافع .

ويستعمل أيضاً وصف (مدخول القلب) في من يضرر السوء والحقد لآخر : من (الدخّل) وهو الخديعة والمكر (لا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) . وقوله ص ١٨ (أمرٌ لا بد منه ولا مزحل عنه) أي لا محيد عنه ولا متدح عنه . ولا متسع للفرار والخلّاص منه : يقال زحلّ عن مكانه اذا تنحى عنه وتباعد قال الشاعر :

(ومقام ضيق فرجته بلسان وبيان وجدل)

(لو يقوم الفيل أو فياله زلّ عن مثل مقامي وزحل)

وصحّف في بعض الكتب (زحل) الى (رحل) بالراء المهملة والأول أصوب . وفي ص ٢٦ يذكر أن للسلامة في هذه الحياة الدنيا قوانين يجب مراعاتها ولا عبرة بسلامة تأتي بعد مغامرة أو على سبيل الاتفاق . ثم قال (وما كثر محيى السلامة إلا لمن أتى الأمور من وجوهها وانما الأشياء بعوامها) قوله (عوامها) جمع عامة أي الحالة العامة الغالبة . فالجاحظ يقول ان العبرة في الأشياء بما وقع منها في أعمّ أحوالها . وعبر عن ذلك بقوله (الأشياء بعوامها) وهذا

مثل ما تقول اليوم (العبرة بالأعم الأغلب) ثم قال بعد ذلك (فلا تكونن لشيء مما في يدك أشدّ ضناً . ولا عليه أشدّ حدّاً) . حدّب عليه تعطف عليه . وفلان حدّب على ذوي قراحه (بكسر الدال) أي شديد العطف عليهم . وقد كثر استعمال فعل (الحدّب) بين كتاب العصر حتى كانوا يستوحونه من استعمال الجاحظ له .

*
**

وقد وقع في رسالة (المعاد والمعاش) أغلاط هفا بها قلم الناسخ أو سهوا عنها ذهن الطابع من ذلك :

قوله ص ٣ (أخرجك (أي عقلك) سليم الدين . وافر المروءة . نقيّ العرض . كثير البرّ . آمن الجدة) (الجدة) سعة الرزق ويقال آمن الأسد إذا سلم منه : فكيف تكون سعة الرزق آمنة . ومن أي شيء تخاف حتى تأمن ؟ . فاعل الصواب (أمين النجدة) أي جعلك عقلك مأموناً موثقاً في نفوس المستنجدين بك . فلا تخذلم ولا تتخلى عن نصرتهم . وإذا ذاك تتناسب بقرة « أمين النجدة » والفقر التي تقدمتها . أو يقال إن معنى « آمن الجدة » أن رزقك آمن من الزوال ، ونعمتك من النقصان : لشكرك الله عليها . مذ وفك إلى إنفاقها في عمل البر واصدء الجميل . واصطناع المعروف .

وقوله ص ٣ ر فلما محضتك الخبرة ، محضه الودّ أخلصه . وصدق فيه . والخبرة الاختبار . ولعل صوابه أن يكون أحد فعلين إما (محضتك) بالخاء والضاد المعجمتين من محض اللين استخرج زبد . أي إن الاختبار أعثرنا على ما فيك من الكفاية والنجدة والنبيل وسائر خصال الخير - وإما أن يكون (محضتك) أي بالخاء والصاد المهملتين : من تمحيص الذهب وهو تخليصه من الشوائب . وكذلك الاختبار فانه يُزيل عن الممدوح ما يُظن أنه فيه من الشوائب والنقائص .

قوله ص ٧ يعيب الكتاب الذين يذكرون الأشياء والوقائع من دون أن

يعللونها أو يبينوا أسبابها : (فهم لم يعدوا في ذلك منزلة الضنَّ بها) : (يعدوا) أي يتخطوا ويتجاوزوا . والضنَّ (بالضاد) بمعنى البخل . ولعل صوابه (الظنَّ) بالنظر المعجزة . أي ان هؤلاء الكتاب في سردهم الوقائع من دون أن يذكروا تعليلاً لها إنما هم يظنونها ظناً . ولا يعلمونها يقيناً . ولا معنى لقولنا (إنما هم يبخلون بها) . أو بأول بأن الكتاب الذين لا يعللون الأشياء إنما هم يحرصون على تدوينها بخلاً بها عن الضياع . أو انهم يبخلون بها على غيرهم لئلا يفهمها . ويستفيد منها . وكله تكلف ما عدا الذي قلناه أولاً .

قوله ص ٧ (فألفت لك كتابي هذا اليك) (لك) أي لأجلك فلا حاجة لقوله (اليك) . اذ ليس المراد بالكتاب الألوكة والرسالة التي يقال فيها بعث بكتابي أو رسالتي أو الوكيتي إليك .

وقوله : حتى تستال بذلك قلوب الناس (وتؤنس بعد الوحشة وتسكن بعد النفار) صوابه (وتأنس) .

قوله ص ٨ في وصف كتابه الذي ألفه لأبي الوليد وقد بين فيه العلل وكشف عن الأسباب . وقد أطل في وصف ما توخاه فيه من الإجابة والإحكام ثم قال : فإن أحسنت في ذلك (كان عمرك — وان قصرت أيامه — طويلاً . وفارقت ما لا بد لك من فراقه محموداً إن شاء الله) لعل صوابه : كان عمري أنا وفارقت ما لا بد لي من فراقه أنا : على معنى أن الناس بعد موت الجاحظ يذكرونه ويثنون عليه . فهو طويل العمر بالذكر والثناء . وان كان قصيره بالأيام والسنين ثم إذا فارق الناس بالموت فارقه محموداً مثنيًا عليه بما اصطنعه من الابداع في ذلك الكتاب . اما اذا كان الأصل هو الصواب وان الجاحظ يخاطب أبا الوليد بقوله : (وان قصرت أيام عمرك) فيكون قد أراد بضمون كلامه ما أراده الشاعر بقوله :

(ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الي عمره)

ولكن هل يحسن ان يفجأ الجاحظ (ابا الوليد) بمثل هذا الخطاب الذي يذكره
بقصر ايام عمره . واين هو من بداعة الاستدراك في قول القائل :
(انَّ الثَّانِينَ وَبَلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ)

وقوله في ص ١٠ (ولم تتلقه بقوة) ضمير تتلقه يرجع الى الغني . والتلقين
إنما يستعمل في الألفاظ والأقوال . والغني وبسطة العيش ليسا مما يلقن تلقيناً .
فصوابه (ولم تتلقه) من التلقي . أو الأصوب (ولم تبلغه) من البلوغ .

وقوله في ص ١٣ يجب أن يأخذ الوالي رعيته بالرغبة أو الرهبة ولا يحسن أن
احداً من دون رهبة أو رغبة (يصلح له ضميره أو يصح له) الأولي في هذا
المقام ان تكون (ينصح له) مكان (يصح له) الا اذا كان تعبير (صح فلان
لفلان) بمعنى اخلص له - معهوداً في زمنهم .

وقوله ص ١٧ (التواني يوجب التضييع . والجد يوجب رخاء الأعمال)
(الرخاء) في اللغة سعة العيش . ولا معنى له هنا . فلعل صوابه (وفاء الأعمال)
اي تمامها واكتمالها . يقال : وفي الدرهم والكيل وریش جناح الطائر - كل
ذلك إذا بلغ حدّه من الكمال والتمام .

قوله ص ٢١ يصف الخصال التي يحسن بالمرء ان يستظهر بها على عدوه
(وأشرفها أن تأخذ عليه بالفضل وتبتدئه بأحسن) فقوله تأخذ عليه بالفضل تعبير
غير معهود فلعل (عليه) محرف من (عيلته) اي سوء حاله المعاشية . أو هو محرف
من (عيلته) بمعنى فقره وخصاصته . وفعل (الأخذ) هنا بمعنى المعاملة : ألا تسمعهم
يقولون : أخذه باللين والرفق . وأخذه بالشدة والعنف . ويكون معنى الجملة هنا
أن تعامل فقر عدوك وخصاصته ورقة حاله بفضلك وإحسانك . وقد تفنن الجاحظ في
وصف طرائق الاستظهار على العدو وختمها بقوله (ولست مستظهر أ على عدوك بمثل
طهارتك من الأذناس وبراءتك من المعاييب) وما قاله الجاحظ نظمه الشاعر بقوله :

(إذا مارمت إرغام الأعادي بلا سيف يسئل ولا سنان)

(فزد في مكرماتك فهي أعدى على الأعداء من نوب الزمان)

قوله ص ٢٢ يصف الانتفاع بالأصحاب والأعوان وانهم اجناس : لا يصلح أحدهم لما يصلح له الآخر من الخدم . وسد الثلم . والقيام بالمهمات قال : وقد قيل في الحكمة : (إن الخلال تنفع حيث لا ينفع السيف) ظن الناسخ أو الطابع (ان الخلال) جمع خلة بمعنى الخصلة فقال (تنفع) بناء المضارعة وصوابه (ينفع) بالياء لرجوع ضميره الى (الخلال) وهو لفظ مفرد بمعنى العود الذي تخلل به الأسنان من بقايا الطعام : فللسيف العقيل موضع . ولهذا العود الضئيل موضع . لا يصلح أحدهما أن يقوم فيه : مقام أخيه . على أن إرادة (الخلال) بمعنى الخصال ممكنة على حد ما ورد في الاثر (ينال باللفظ ما لا ينال بالعنف) غير أن المعنى الأول أبلغ وأقوم .

قوله في ص ٢٧ (فان اعتقاده (أي اعتقاد الصديق الوفي) أنفس العقدة) ومعنى اعتقاده انتناؤه واتخاذُه عقدة أي قنية : فالعقدة والقنية ما يقتنى من الضياع والمقاربات . وجمع العقدة عقَد فقوله (أنفس العقدة) صوابه (أنفس العقد) . قوله في ص ٢٨ يذكر أن اللئيم إذا أساء اليه من تحته من الضعفاء غضب واستطال . وان أساء اليه من فوقه من الأقوياء (أغضى وسمى ذلك حزنًا) صوابه (حزنًا) بالميم .

قوله في ص ٣٠ بنصح للحرء ان لا يكثر من معاتبة صديقه ثم قال (عاتبه في ما تشتركان في نفعه وضرره . وذلك في الهنات) (الهنات) جمع هنة ويكنى بها عن توافه الأمور ومحقراتها . ولا أظن الجاحظ يعني هذا بدليل قوله بعد (وتجاو للصديق عن بعض غفلاته) فكيف يأمره بمعاتبته في توافه الأمور ثم يأمره بمسامحته في بعض غفلاته . فالهنات محرفة عن المهمات (أي انما تصلح معاتبتك لصديقك في المهمات التي تشتركان في نفعها وضررها .

وقوله يوصي بأن لا يتذلل المرء لصديق له رفعت الدنيا الى المناصب ولا يرجعه (على نظرائه في الحفظ والإكرام) لعل صواب (الحفظ) (الحفد) وهو الإصرار في الخدمة ومنه الحفد : أي عامل صديقك بعد وزارته كما كنت تعامله قبلها .

وقوله ص ٣٢ (فلا تستقبلها بالتضجع وتغبين الرأي) أي لا تستقبل الشدائد إذا نزلت بك بالتضجع : وهو القعود عنها والاستسلام لها . والتقصير في تداركها .
وقوله (تغبين الرأي) لا معنى له وصوابه (تقيل الرأي) وهو ضعفه وعجزه .
ومنه قولهم فلان فائل الرأي .

وقوله ص ٨٤ يوصي أن لا يجعل المرء أمواله كلها في عقار واحد ولا في حيز واحد (وقد قال بعض الحكماء فرقوا المنية واطلبوا الأرباح بكل شعب)
قوله (المنية) خطأ صوابه القنية .

وقال بعد ذلك في أن من سياسة الرعية العفو عنهم أحياناً ثم قال في تحديد معنى العفو (والعفو ما يبلغ به الاستصلاح واكتفي به من البسط) يريد أن حدّ العفو هو القدر الذي يستلحق به العاصي ويستغني به عن عقوبته . فكلّة (البسط) محرّفة عن كلمة أخرى بمعنى العقوبة . أو أنه اطلق لفظ (البسط) مرئداً به بسط اليد بالعقوبة . يقول العرب (بسط الوالي يده على فلان) و (بسط الوالي العذاب على بني فلان) فالبسطة يفهم منه معنى الإيقاع والتنكيل والعقوبة .
وللبسط معنى مولد ينتهي إلى معنى العقوبة . فإذا قال الوالي لأعوانه : ابسطوا فلاناً المجرم كان معناه ابسطوا له بساطاً ألقوه عليه واجلدوه . أو ابسطوه هو نفسه على الأرض واجلدوه . و (البسط) بهذا المعنى مستعمل في اللغة العراقية الدارجة اليوم وكأنت العراقيين استوحوها من استعمال أديبهم الجاحظ لها .
والكلام على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ يأتي في

العدد الآتي .

المصري



آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٥٢٢ - ٥٦٣٠ هـ)

- ٣ -

حدث الانفصال عن الأيوبيين

تقلبت السياسة كثيراً بأمراء هذه الأمرة ، وثابت الأوضاع التي تستدعي هذا التحول ، فلم تبقى خالصة للأيوبيين كما كانت حالتها مع الأتابكة ، فرغبت عنهم وخلصت للدولة العباسية في المحرم سنة ٦٢٨ هـ .

قال في مرآة الزمان : « بعد موت صلاح الدين مازال - مظفر الدين كوكبري - متميلاً إلى بيت العادل ، مصافياً لم حتى مال الأشرف ^(١) إلى بدر الدين لؤلؤ ، وعزم على اخذ اربل منه ، فاستنجد عليه بالخليفة المستنصر ، فنهاه عنه ، فانتفى إليه ، فقدم بغداد ومعه مفاتيح اربل والقلاع ، فالتقاء الموكب ، وجلس له جلوساً عاماً في صحن السلام ، وقعد في شباك المباينة ، وحضر ارباب الدولة وصعد على الدرج وبايع الخليفة ، وطلب منه يده ليقبلها ، فناوله ايها ، فجعل يقبلها ويبكي ويقول : « الحمد لله على هذا المقام ، ما وصل إليه غيري . » ١ هـ .

وخاطبه الخليفة بأجمل خطاب ، وقدم الخليفة الخيل والتحف والهدايا ، فأعطاه الخليفة أضعاف ذلك ، وخلع عليه خلع السلطنة وعاد إلى اربل ، وقطع خطبة بني العادل ، واقتصر على خطبة الخليفة . » ١ هـ ^(٢)

(١) توفي الملك الأشرف في المحرم سنة ٦٣٥ هـ .

(٢) مرآة الزمان لسيط ابن الجوزي اختصار قطب الدين البونيني .

وفي تاريخ ابن كثير : « وفيها - في سنة ٦٢٨ هـ - دخل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين صاحب أربل إلى بغداد ، ولم يكن دخلها قط ، فتلقيه الموكب وشافه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين . وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظماً مكرماً . » (١) هـ

وفي الحوادث الجامعة جاء التفصيل أكثر قال : « في المحرم سنة ٦٢٨ هـ وصل إلى بغداد مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل ، ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك ، وكان معه محيي الدين يوسف ابن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وكانا قد توجهوا إليه في السنة الخالية فخرج إلى لقائه فخر الدين أحمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة والأمرء كافة والقضاة والمدرسون وجميع أرباب المناصب ، فلقوه على نحو من فرسخ ، ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السور (٢) واعتنقا راكبين ثم نزلا ، فقال له فخر الدين لما انتهى إلى مقار العز والجلال ، ومعدن الرحمة والكرام والافضال ، لازالت الأبواب الشريفة ملجأً للقاصدين ، والأعتاب المنيفة منهلاً للواردين ، ووصولك يا مظفر الدين رسم أعلى الله المراسم الشريفة واسماها ، وانفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها ، قصدك وتلقيك واحماد مسامحك أكراماً لك واحتراماً لجانبك ، فيقابل ما شملك من الانعام بتقيل الرغام ، والدعاء الصالح الوافر الاقسام المفترض على كافة الأنام والله ولي أمير المؤمنين . فقبل الأرض حينئذ مراراً ، ثم دخلوا جميعاً إلى البلد فلما وصل باب النوبى ، ساق فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبل العتبة ، وعضده الأجل نور الدين أبو الفضل بن الناقد أحد حجاب المناطق بالديوان ، ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقى مؤيد الدين القمي وجلس هناك ، وركب نائب الوزارة وولده وجميع أرباب الدولة والأمرء ، وتوجهوا نحو دار الخلافة .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٢٩ - (٢) هو السور الممتد من شمالي قلعة

بغداد ، الدائر حول بغداد حتى ينتهي إلى دجلة بالباب الشرقي .

فأما مؤيد الدين وولده وخواصه ، فدخلوا من الباب القائي بالمشرفة . وأما الولاية والأمراء فدخلوا من باب عليان وباب الحرم ، وانتهى الجميع الى تحت التاج على شاطئ دجلة ، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبايك ، ثم استدعى مظفر الدين من دار الوزارة بالأمر عن الدين الب قرا الظاهري وبأحد خدم الخليفة . فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الأرض ، وكان قد نصب تحت الشباك الأوسط كرمي ذو درج ، فرقى عليه نائب الوزارة وأستاذ الدار ابن الناقد ، ومظفر الدين ، وسلم مظفر الدين مشيراً بيده الى الشباك تالياً قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » فرد الخليفة عليه السلام . فقبل الأرض مراراً ثم شكر الخليفة سعيه ، فأكثر من تقييل الأرض والدعاء فأسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة ، فخلع عليه فيها ، وقلد سيفين وقدم له فرس بحر كعب ذهباً ومشدة^(١) ، ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائي المعروف بباب التمر بالمشرفة ، وبه كان قد دخل ومضى والناس في خدمته الى حيث أنزل بدار شمس الدين علي بن سنقر . بدرب فراشا وأنزل جماعة من الأمراء الواصلين معه في دور ، في عدة محال ، وباقي عسكره في الخيم ظاهر البلد وأقيمت له ولأصحابه الاقامات الوافرة ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له في كل مكان وليمة ، وصلى في جامع القصر جمعتين داخل الرواق الى جانب المنبر ، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدم شرحه ، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه ، فقبل الأرض وابتهل بالدعاء وتلا قوله تعالى « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعاني من المكرمين » ثم أسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة وأعطى كوسات وأعلاماً وخمسين ألف دينار يرمم نفقة الطريق ، ويرمم حاشيته وأصحابه عشرة آلاف دينار . وخرج من هناك الى دار الوزارة وحضر جميع أصحابه فخلع عليهم بحضوره ،

(١) المشدة : مما تزين به الفرس في عنقها .

وأقام بعد ذلك أياماً ثم خرج الى مخيمه بظاهر سور سوق السلطان^(١) وقوبجه الى بلده ، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوماً ، ومضى معه محيي الدين بن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وعادا في ربيع الأول واخبرا ان مظفر الدين حلف امرائه واعيان اهل بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته اليه .»^(٢)

وفي هذا النص وفي الذي قبله جاء ان مظفر الدين كوكبري لم يكن قد دخل بغداد قط قبل هذه المرة . وهذا محل نظر . كان قد جاء اليها يشكو حاله الى بغداد من الجفاء الذي أصابه من مجاهد الدين قايمار ، فلم ينل قبولاً

وفاته :

جاء تاريخ وفاته في تواريخ عديدة . وهذا نص ماورد في الحوادث الجامعة : «في ٧ رمضان سنة ٦٣٠ هـ ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين ابي سعيد كوكبري ابن زين الدين علي كوجك صاحب اربل» اه^(٣) ولم يعين تاريخ وفاته بالضبط . وقال في مرآة الزمان : « كانت وفاته في رمضان بقلمة اربل ، وأوصى ان يحمل الى مكة فيدفن في حرم الله تعالى . وقال استجير به ، فحمل في تابوت الى الكوفة ولم يتفق رواح الحج في هذه السنة الى مكة ، فدفن عند امير المؤمنين علي » اه وحدثا تبعت الوفاة في رمضان ولا شك انها قبل السابع منه .

حياته السياسية :

وهنا يهنا الكلام في حياته السياسية . وهذه تعرف من الحوادث المارة ، ظهرت المواهب الكبيرة منه في اربل اثناء امارته الثانية . وتأيداً لذلك نذكر النصوص التالية مقتصرين على ما يؤدي الغرض وبقدر الحاجة .

فقد جاء في مرآة الزمان : « — بعد أن عدد مناقبه قال — : ومع هذه المناقب ،

(١) باب سوق السلطان هو باب المعظم اليوم . وسوق السلطان يمتد من الميدان وينتهي

الى المستنصرية ويسمى : سوق الثلاثاء . (٢) الحوادث الجامعة ص ١٩ الى ٢٣ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٤

فلم يسلم من السنة الناس ، يقولون يصادر رئيس ديوانه وديوانته وكتابه ويستأصلهم
ولعله اطلع منهم على خيانات ، فرأى اخذ الأموال وانفاقها في أبواب البر والقربات
أولى . وذكروا شيئاً آخر . ومن ذا الذي من السنة الناس يسلم . اللهم غفرأ . « ١٠ هـ ^(١)
ومن حجابيه ابو العباس احمد بن عبد السيد الاربلي الملقب صلاح الدين ، من
بيت كبير باربل . كان حاجباً عنده فتغير عليه واعتقله مدة فلما أفرج عنه خرج
من اربل قاصداً بلاد الشام ، فنال مكانة عند الأيوبيين ، وكان اديباً شاعراً .
توفي في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٣١ هـ ^(٢) .

ولعل سخطه على مثل هذا الحاجب مثل سخط الملك الكامل الأيوبي عليه
وتفصيل الخبر في ابن خلكان اما الثقافة والدين والعمل الاجتماعي الصالح
فهذا قد أفرد له بحث خاص . . . ^(٣)

اربيل تعود للحمولة العباسية

فتح اربل :

جاء عن فتح اربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري مانصه : « كان
ايوب بن الكامل في آمد ، واما عيل بن العادل في سنجار فسار كل منها الى اربل
ليأخذها لنفسه ، وجرى ما لا يلقى بين الاثنين وكانت سبقها عسكر الخليفة ،
فتسلمها ، ورجعا ، وكان قد عضى بقلعتها خادمان ، ففتحت عنوة ، وجرى بها
ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهو ان . « ١٠ هـ ^(٤)

والتفصيل عن هذا الحادث لا يكفي فيه هذا الاجمال . فماذا عمل هؤلاء
وكيف تم النزاع بينهما ، فهذا ما جاء متأخراً عن فتح اربل ، وخير من نستنتقه
في هذا الموضوع ، فيتكلم بسعة الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة) . فقد تعرض
للحادث بتفصيل . قال : في سابع ^(٥) عشر شهر رمضان ، ورد الخبر الى بغداد بوفاة

(١) مرآة الزمان : المطبوع من ٦٥٢ ج ٨ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٨٣

(٣) ابن أبي هذينة ج ٥ ص ١٣٩ ومرآة الزمان ، وابن خلكان . (٤) مرآة الزمان

ج ٨ ص ٦٥٢ (٥) سياتي التاريخ الآتي بعده يستوجب أن يكون : رابع عشر شهر رمضان .

مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربل فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير ارغش الناصري الرومي ، وعلاء الدين الدكر الناصري للتوجه الى اربل وتقدم الى ظهير الدين ابي علي الحسن ابن عبد الله عارض الجيش بالتوجه أيضاً فتوجهوا مصعدين في خامس عشر الشهر . وفي ثالث شوال ، توجه شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشراي بالعسكر فوصلوا في ثالث عشر شوال ، وكانت في القلعة خادمان احدهما اسمه يرتقش والآخر اسمه خالص . كنا قد كتبنا الى الخليفة والى عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين والى بني ايوب حيث ثقل مظفر الدين في المرض يعرفانهم ذلك وقالوا : من سبق الينا كانت منتنا عليه . وكتبنا الى الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل ابي المعالي محمد يعالته بموته ويحنانه على الجي ، فلما شاهدنا عساكر الخليفة سقط في أيديهما ، وعلمنا انه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد فلما رأى الشراي انهم اغلقوا ابواب المدينة دونه ، استدعى الأمير جمال الدين قشمر وقال له : ما لهذا الأمر سؤال واذا فعلت شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك فركب في الحال من غير استراحة ودار ليله أجمع حول البلد وهم على السور بالأضواء والطبول ثم قسم ابواب البلد على الأمراء وضرب هو خيمة مقابل باب عمكا واللونه اعظم الأبواب واكثر المقاتلة هناك ، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ، ويصل نشاب الجرح اليه ولم يزل نهاره اجمع يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويحرض على الحراسة والحفظ ، والشراي يرسل الخادمين المذكورين ويخوفها عاقبة العصيان قسلاً ان يؤخرا يومين فأجيبا وكانت غرضها ان يصل الملك الصالح ايوب المقدم ذكره ، فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشمر الى احد زعمائهم وقال له : أخلفتم الوعد ، وخوفهم وحذرهم ، فرد عليه جواباً غير مرضي ثم رمى وراءه رسوله بالنشاب فوقهم قريباً من الأطناب فقال قشمر لجماعة من مماليكه اقربوا منهم وتحرشوا بهم فأخذوا في سيهم ورموا بالنشاب الى جهتهم فما

زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق
السور بالنار وأنواع السلاح ، وكثر في الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى
وقف على الخندق فاشتد القتال حينئذ وقوي جأش المقاتلين بوجوده فركب
الشرابي في لامة حربه ووقف على نشر فأخبر قشتمر بركوبه فقصده ووقف الى
جانبه ، فساعة اجتماعها اخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة ، ونهب أوباش المسكر
بعض دورها ، واستولى العسكر على البلد عنوة ، وكتب الشرابي على جناح طائر
الى الخليفة بصورة الحال فحصل الاستبشار بذلك ، وضربت الطبول على باب النوبي ،
وافرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد
تتضمن الهناء بهذا الفتح والتصر . فمن اورد القاضي ابو المعالي القاسم بن أبي
الحديد المدائني قصيدة أولها :

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر حتى يقام ويسقى من دم البشر
لكل شيء طريق يستفاد به وليس للعز غير الصارم الذكر
ومنها :

ما فتح اربل عن بخت لذي دعة ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادرين وأذ (م) مال المطيعين عن قصد وعن فكر
فليسبح الأشعري اليوم لي فأننا في فتح اربل لا ألوي على القدر
وقال اخوه عز الدين عبد الحميد^(١) الكاتب قصيدة ، اتفق له فيها ان الوزير
كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفتح اربل يوم سابع
عشر شوال سنة ثلاثين فقال :

يا يوم سابع عشر شوال الذي رزق السعادة أولاً واخيراً
هنت فيه بفتح اربل مثلاً هنت فيه وقد جلست وزيراً
وتقدم الخليفة ، باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة فكتب

(١) راجع الوقايات ٢ : ٣٨٩ وروضات الجنات في ترجمته نقلاً عن معجم الآداب في معجم
الألقاب لابن النوطي مؤلف هذا الكتاب .

بالحضور فوصل من البصرة الى رابع ذي القعدة ، وحضر نصير الدين بن النافذ نائب الوزارة فشافه بولاية اربل وتقدم اليه بالتوجه اليها على فوره ، فتوجه من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر وحضر عند شرف الدين اقبال الشرايبي في المنحيم بظاهر اربل ، فخلع عليه وقلده سيفاً وأعطاه فرساً وأعطاه كوسات واعلاماً ، فركب في جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع فقرأ عهده به . بحضور من أهل البلد وغيرهم ، تولى قراءته ظهير الدين الحسن بن عبد الله ، وكان قد عين عليه لوزارته ، وركب الى القلعة ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، ثم خلع الشرايبي على ظهير الدين الحسن بن عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطنع وجعله مشرفاً عليه ، ورتب معها كاتباً الأجل ابن عبدان النصراني ثم رتب جمال الدين بن عسكر الأنباري عارضاً للجيش هناك ، وجعل عليه مشرفاً عن الدين محمد بن صدقة وخلع عليهما فلما قرر القواعد وفرغ مما يريد به رحل عائداً الى بغداد والأمراء والعساكر في خدمته ، فوصل الى الخالص في عاشر ذي الحجة فنزل بقربة تعرف « بقربة ابي النجم » فخرج الخلق الكثير الى تلقيه فولى هناك ونحر وضحي ومداً سباطاً عظيماً ، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجة متوجهاً الى بغداد ، فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع اصحابه ومن كان في خدمته من النواب والأتباع والخاصية ، وخرج اليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان فلقوه بظاهر السور ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير ، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المنبأة في شارة الخليفة وقبلها وتضرع بالدعاء وبكى فخشع الحاضرون لبكائه ثم نزل فيها وانحدر الى دار الخلافة فلتقى بالاكرام ثم خلع عليه وقلد سيفين وقدم له فرس فركبه من باب البستان ورفع وراءه سنجقان ، وأما الأمراء جميعهم فانهم دخلوا البلد وقصدوا دار الخليفة ، ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رسم لهم وجلسوا في باب الأتراك الى ان خرج راكباً فقبلوا يده ومشوا بين يده الى باب الباتي^(١) ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره

بالبدرية فلما نزل عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة فلقوه فخلع عليهم اجمعين ، وأعطى كل واحد فرساً بركب وخمسة آلاف دينار وأنعم على من دونهم على قدر مرتبته من الألفين الى الخمسمائة ، ثم خلع على جميع الممالك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأعطى كل واحد خمسين ديناراً ، ثم انعم على جميع الجند وممالك الأمراء والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر « اهـ »^(١)

اربل في هوزة العباسيين

من النصوص المارة تبين لنا ان اربل صارت في حوزة الدولة العباسية في ١٧ شوال سنة ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م فوليا أمراء دامت في أيديهم الى ان انقرضت الدولة العباسية بالمغول وبينهم من يسمى (زعيماً) وهو اميرها ، ومن يسمى صدرأ وهو الوالي ، وهؤلاء أشهر ارباب المناصب فيها :

١ - الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة . اول امير من جانب الخلافة ولي زعامتها في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م^(٢) .

٢ - تاج الدين علي بن الدوامي . كان قد تقل من ديوان عرض الجيش الى (صدرية ديوان اربل) ، خلع عليه وتوجه اليها سنة ٦٣٢ هـ وعاد منها في سنة ٦٣٣ هـ مفارقاً للخدمة بها . وكانت قد حدثت واقعة للمغول في تلك السنة ، اجتازوا باربل قاصدين الموصل ، فماتوا بها اشد الميث . وقد حوصرت سنة ٦٣٤ هـ . ولما بلغهم وصول عسكر الخليفة عادوا . وهاجموها في سنة ٦٣٥ هـ ، فوجدوا استعداداً في الحراسة ، فمالوا عنها . جرى ذلك كله في أيام زعيمها باتكين .

٣ - تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي ، أمر بالتوجه الى اربل وتجديد سورها ، وعمارة ما خرب من دورها ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها وعين الأمير بهاء الدين ايدمر الاشقر الناصري زعيماً بها . وكانت زعيمها الامير شمس الدين باتكين قد فارقها في سنة ٦٣٥ هـ . وكان قد اطلق

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٥ : ٥٠ (٢) الحوادث الجامعة ص ٢٨

في أيام زعامته معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب ، وأمرع في إصلاح السور وحفر الخندق^(١) .

٤ - في سنة ٦٣٧ هـ في شهر رمضان استدعى الأمير بهاء الدين أيدمر الأشقر زعيم أربل إلى دار الوزارة فقبض عليه وعلى جميع أصحابه ٠٠٠ وحبس ، ثم قبض على ابن غزالة مشرف أربل ، وفراس الواسطي كاتبها واحضر الأمير الحلبي مكبلاً (مكبلة) ورتب زعيماً في أربل وخلع عليه . وفي سنة ٦٣٨ هـ عزل من الإمارة لضعف رأيه وسوء تصرفاته .

٥ - رتب عوض الأمير مكبلة آفستقر الناصري . وكان الصدر بهاتاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي المدائني . قتله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ . وكان كريماً جواداً فاضلاً متديناً يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب^(٢) . وبوفاته صارت أربل للمغول ودخلت في إدارتهم سنة ٦٥٦ هـ .

يتبع : (بغداد) عباس الغزاوي

—————

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٨ و ١٨٢ وهناك ترجمته .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٣٧ .

كتاب التمهيد في بيان التوحيد

في حيازة صديقنا الشيخ فوزي عطية من علماء مدينة عكا نسخة من كتاب التمهيد في بيان التوحيد الذي لم نطلع الى الآن على انه مثل بالطبع ولم نعرف ان له نسخة أخرى في احدى دور الكتب العامة او الخاصة وهي نسخة حسنة في بابها تأليف الامام المتهدي ابي الشكور محمد بن عبد السيد بن شعيب السالمي اللبي و يظهر ان النسخة كانت تملكها أسرة تركية اللغة وان كانت عربية الموطن لأن مدينة عين تاب وهي بلد من أعمال حلب في القديم وقاعدة ولاية تركية اسمها «غازي عينتاب» اليوم معدودة من بلاد العرب بدليل ما قاله باقوت الحموي عنها عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول عن دلوك بليدة من نواحي حلب بالعواصم . اهـ .

وتناولت عينتاب التي غلبت على اهلها اللغة التركية فأنستها عربيتها فلم تقبل الانخراط في سلك سورية وجاهدت طويلاً حتى فازت ببقائها في البلاد التركية ومنحها المرحوم الغازي مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية السابق لقبه اخص لبلائها الحسن . قلت تناولتها وخصصتها بالذكر لأنها مسقط رأسي ومنبت غرسي ومشوى عشيرتي وأهلي . ولئن شطأ بنا المزار ونأت عنا الدار الآن فالنفس تتوق الى مكان ولادتها ومحل رضاعها ومع انها اليوم عمالة تركية فهي معدودة في بلاد العرب وكانت في الأصل من اعمال حلب كما تقدم في قول باقوت الحموي . وهذا ما كتب في الصفحة الأولى من الكتاب وهو من القطع الصغير :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب

الى العبد الفقير ذي الأذنب^(١)

(١) كنا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذنب الذنوب .

احمد بن المهاجر من العينتاب

عفي ذنوبها يوم الحساب

بالنبي وآله والأصحاب

ونقته باللغة التركية :

بيك سكسان اوج سنه سنده رمضان شريفك يكرمى يدنجى كه قدر كيجه
سيدر صبح صادق دوغديغى وقتده ام الحبيبه دنياهه كلدى .
وتعريبها : ولدت ام الحبيبة عند بزوغ الفجر الصادق من الليلة السابعة والعشرين
التي هي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك لسنة ثلاث وثمانين والـ « .
قلنا : وواضح ان ام الحبيبة هذه هي مولودة لكاتب السطور المذكورة اعلاه .
ما كُتب في الصفحة الثانية من الكتاب :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب

الى العبد الفقير ذي الأذنب^(١)

يحيى بن يعقوب المهاجر من العينتاب

غفر ذنوبها يوم الحساب

بالنبي والآل

والأصحاب

ونقته خاتم نقشه :

نائل أيله يحيى لي

الهي دوارينه

« وتعريب ما في الخاتم : إلهي أنل يحيى مراده »

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام المهدي ابو الشكور السالي وهو محمد بن عبد السيد بن شعيب

الليثي رحمه الله . الحمد لله ذي المن والآلاء والعظمة والكبرياء والجلود والعطاء

(١) كذا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذنب الذنوب .

والهيبة والبهاء ذي الفضل والاحسان والكرم والامتنان والحجة والبرهان عظيم شأنه وسيمع عفوه وأمانه صريع ذله وهوانه بالحجة على العلماء والمحجة على الأولياء ظاهر بالاثبات عند أهل العقول باطن عن الإدراك بالوصل والوصول صانع العالم وهو عالم به ومحدث الكون وهو حافظ له ومنشئ العرش وهو مستغنى عنه فالعلماء شهدوا بوحدانيته والأولياء اعتقدوا وأيقنوا بفردانيته والعقول حارت واحترزت عن كنه صفات جبروته وجلاله والأرواح تحيرت عن بيان قطعه ووصاله منزله عن خبر الأحداث والحينونة ومقدس عن ملازمة الأقدار والبينونة لبس للعالم اليه محال ولا للآلئون له محل وحال ولا للعرش له واليه مآل واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله وأمينه لولاء الأمة والانصراف عن مكينه بتجلي العظمة والانكشاف شاهد بمكنون الرتب وغائب عن مضمون الرب صديقه الصديق وأمينه الوثيق وشهيد الرقيق وخزنه الشقيق وآله وأئمة عدد كل ذي روح ومن في ذمته .

وبعد فقد سألتني بعض اخواني ان امد لهم أصول المعرفة والتوحيد مقدار ما يكشف بالعبارة ويدرك بالاشارة فأجبتهم لذلك بعد ما استخرت الله تعالى في طلب الصواب هداية لأولى الأبواب فاستنبطت هذا الكتاب وسميته التمهيد في بيان التوحيد وهو هداية لكل مسترشد ورشيد واستوثقت بفضل الله وبالله العون والتوفيق . قال الامام المهدي ابو الشكور السالي رحمه الله اعلم بأن العقل شيء لطيف لم يدرك كيفيته في أوهامنا ولم يثبت عندنا من الفقهاء قول صحيح في العقل وقالت الفلاسفة بأن العقل جوهر مضي محسن مفيد يحل في الروح ويثبت لها الحياة كالروح في الجسد فيكون للروح حياة واحوال باتصال العقل كما للجسد باتصال الروح له وهذا قول لا دليل فيه من طريق النص والقياس ولو كان العقل مجاوراً بالروح ملاقياً به مظهراً حياته مفيداً لمعانيه لكانت الأرواح قائمة موجودة قبل الأجساد باقية ثابتة بعد الوفاة والعقل لم يفد فائدة علاقات الروح كالفائدة في هذه الحالة بدليل انه ليس بذات كرملا مضي من ايامه وما كان يهزأ بأحواله وأعماله دل على ان هذا غير صحيح الخ .

نسخ الكتاب المجهول

وبآخره : تم هذا الكتاب على يد أفقر العباد واحوجهم الى الله الملك الوهاب هذا اليوم ويوم المعاد المتصر المذنب الخطي عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات من اهل السنة والجماعات وعفا عن دعا له باخير آمين آمين آمين .

صميم الكتاب وعدد أوراقه

وأنت ترى انه لم يذكر اسمه رحمه الله تعالى وعفا عنه وقد كتب الكتاب بخطين مختلفين فأوله بجبر اسود واكثره الى آخره بعناوين حمراء وهو جميل الخط مشرق المداد بالقطع الصغير طوله ١٩ سانتيمتراً وعرضه ١٢ سانتيمتراً وعدد ورقات الكتاب ٢١٠ ورقات ويظن انه من خطوط المائة التاسعة او ما قبلها .

ما ذكره عنه صاحب كشف الظنون

والمؤسف اننا لم نهتد الى الزمن الذي وُجد فيه المؤلف الغزير المادة الواسع الاطلاع فان الحاج خليفة المشهور بملا كاتب جلبي مؤلف كشف الظنون والمتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ١٦٥٧ م لم يزدنا في بيانه عن المؤلف والمؤلف بسوى هذه الأسطر القليلة قال (١) :

« تمهيد في بيان التوحيد : لأبي شكور (كذا) محمد بن عبد السيد بن شعيب الكشي (٢) (كذا) السامي الحنفي اوله الحمد لله ذي المن والآلاء الخ وهو مختصر في أصول المعرفة في التوحيد ذكر فيه ان القول في العقل كذا وفي الروح كذا الى غير ذلك فأورد ما يجوز كشفه من علم الكلام » .

عبد الله مخلص



(١) كشف الظنون طبعة القسطنطينية ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) الكشي بالطبع هي معرفة عن الأبي .

مخطوطات ومطبوعات معجم القرآن

تأليف عبد الرؤوف المصري في ٦٦٠ صفحة موقعة على جزئين
وقد طبع في مطبعة بيت المقدس في القدس سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م

أمنية كان يتمناها كل محب للقرآن عاكف على تلاوته وفهم آياته - تحققت
أو كادت تتحقق في هذا المصنف المسمى (معجم القرآن) فالتالي لكلام الله اذا
أشكل عليه المراد من بعض ألفاظه أمكنه ان يرجع الى هذا المعجم الذي
رُتبت فيه مفردات القرآن الغامضة بالنسبة الى الجمهور ترتيباً قاموسياً جديداً
سهلاً : ذلك أن الكلمات قد رتبت فيه بحسب أول حرف منها لا بحسب مادتها
الأصلية ، فيجد التالي للقرآن شفاء نفسه من تفسير ما غمض عليه من كلام ربه .
ومؤلف الكتاب فاضل مصري مقيم في نابلس يزاول التعليم في معاهدها
(على ما أظن) . وهو مشهور بكنيته (ابورزق) (خريج الأزهر والجامعة المصرية
وجامعتي برلين وينا والمدرّس فيها سابقاً) فمن هذا التوصيف للمؤلف يدرك
القاري أنه ابن مجدة ذلك العمل الذي تصدى له .

ومفردات القرآن نوعان ألفاظ لغوية مفاهيمها معان تكفلت ببيانها تفاسير
القرآن وكتب اللغة - والفاظ هي أسماء ذوات ولها مفاهيم مادية او تاريخية
او طبيعية او فنية وهي التي تكفلت بشرحها وبيان غامضها المعاجم التي تسمى
(دوائر معارف) أو (معلّّات) وتسمى في اللغات الأجنبية (انسكلوبيدي)
(encyclopedie) على أن تفاسير علمائنا الأقدمين شرحت هذه الألفاظ التاريخية
والفنية لكنه شرح مقتضب مضطرب : اعتمدوا فيه على كلام الاولين وأساطير
الأقدمين (الامرائيليات) وقد تكفل معجم (ابي رزق) بشرح الغامض من

كلا القسمين : الألفاظ اللغوية المعنوية . والألفاظ المادية والتاريخية والفنية وما إليها .
ويمكننا أن نسمي هذا القسم بالكلمات (الانسكلوبيدية) وان معرفة المؤلف (ابي رزق) للعلوم العصرية تساعده على تجويد العمل في تفسير هذا القسم من الألفاظ مثل إعصار . وعين حمئة . وعرش بلقيس والهدهد وبأجوج ومأجوج والسد الذي بناه ذو القرنين وناقصة صالح وحوارها . وبقرة بني اسرائيل وأخبارها الى غير ذلك . ولعل المؤلف يضع لنا معجماً (دائرة معارف) خاصة بأمثال هذه الأشياء التاريخية والطبيعية والفنية الواردة في القرآن فيسهب في شرحها وبيان المراد منها . وبيان ما اذا كانت واقعية حقيقية او هي من قبيل الامثال والدلالات الرمزية . على نمط ما فعله الدكتور بوست في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) .
وقد جمع معجم (ابي رزق) ألمهدي الينا بين الاختصار والفائدة : فهو أحق من غيره من المختصرات بقولنا (مختصر مفيد) وقد رأينا المؤلف يقتصر أحياناً في تفسير الكلمة القرآنية على القول المشهور من أقوال المفسرين . مثال ذلك آية (إذا الشمس كورت) فسر التكوير فقال ('لَفَتْ وَذَهَبَ ضَوْءُهَا : من التكوير وهو اللي' و'الف' ومنه تكوير العمامة) اقتصر المؤلف على هذا وفيه الكفاية لعمرى . ولم يتعرض لقول آخر في تفسير ('كورت) مثل أنها من فعل (كور) إذا أعمى . وهي معربة ومشتقة من كلمة ('كور) التركيبية التي معناها أعمى العين . فالشمس يوم القيامة بكورتها الله . اي 'يعميها ويذهب بنورها ذهاباً كذهاب نور العين العمياء . وهو قول لبعض العلماء لم 'يعول عليه المؤلف وقد أحسن . غير أننا رأينا أحياناً يتسامح ويترك الدقة في تحديد المعنى المراد من الكلمة القرآنية مثال ذلك :

قوله في تفسير (واستغشوا ثيابهم) : (جعلوا ثيابهم غاشية أي غطاءً على آذانهم لئلا يسموا دعوة الحق) وما قاله حسن غير أن الأحن منه أن يقول في تفسير (استغشوا) تغطوا بها فلم يعودوا يسمعون ولا يرون : لأن الثوب الذي يلبسه الانسان إذا تغطى به إنما يلقيه على رأسه ووجهه وما يلبسها

فيشمل ذلك الأذنين كما يشمل غيرهما من الحواس المجتمعمة في الرأس فقول المؤلف (اي غطاءً على آذانهم) تخصيص الآذان بالذكر لادقة فيه . من حيث يوهم ان هذا هو معنى الاستفشاء في اللغة العربية .

وقوله أيضاً في تفسير (العَيْن المنفوش) : (إن الجبال في شدة سيرها تكون خفيفة كخفة الصوف المندوف المتطاير الأجزاء) . وفي هذا التفسير نظر لأن وجه الشبه منسوب على كلمة (المنفوش) أي المتفرق الأجزاء المتطاير . فكان الأوجه ان يقول : إن الجبال من شدة سيرها ومروعة حركتها تصبح متفرقة الأجزاء . متناثرة في الفضاء . كالمنفوش من الصوف .

وقوله في تفسير (جائمين) من قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال (أي ميتين وهم قعوداً مصعوقين : من جثم الرجل إذا كان لا حراك به ولا كلام له) ففي تفسيره الجثوم بعدم الحركة وعدم الكلام تسامح شديد . والا فان معنى (الجثوم) في اللغة مجرد القعود والتلبذ على الارض . أما الموت وعدم الحركة وعدم الكلام فهي مفهومة من الآية بدلالة السياق لا بدلالة جائمين . وهناك أشياء من هذا القبيل قد تغتفر للمؤلف الفاضل في جانب ما أسداه الى التالين لكلام الله مذ سهل عليهم فهم ما يتلون ويقرأون أحسن الله اليه كما أحسن اليهم . وأثابه خيراً لقاء جميل سعيه وصادق نيته .

المغربي

السلام على مفترق الطرق

تأليف ليوبولد قايس . نقله الى العربية الدكتور عمر فروخ . وقدم له الدكتور

مصطفى خالدي ونشرته (دار العلم للملايين) في بيروت .

وطبع فيها سنة ١٩٤٦ م في ١١٦ صفحة

حجم الكتاب صغير . لكن غرضه شريف ومنزاه كبير . وخلاصة موضوعه كما يفهم من اسمه وكلام مؤلفه أن المسلمين اليوم بين طريقين . وهم واقفون على

مفترقهما: إما أت يميلوا ذات اليمين الى الطريق الذي شرعه لهم دينهم فينجوا ويفلحوا . وإما أن يميلوا ذات الشمال ويسلكوا طريقاً أنهجته لهم المدنية الأوربية فيضلوا ويخسروا .

أظن أيها القاري أن الذي عاج هذا الموضوع وأودعه الكتاب المذكور هو عالم من علماء الاسلام المتشددين فيه أو من الذين قضوا حياتهم في خدمته ودراسته وحض الناس على العمل بشعائره وتعاليمه ؟ كلا . وإنما هو رجل نمسوي أسلم وعكف على دراسة القرآن والسنة وتاريخ الاسلام وسيرة محمد عليه الصلاة والسلام وقارن بين ذلك كله وبين مدنية اوروبا الحديثة . ثم ألقى بنظرة على المسلمين في هذه الأزمنة المتأخرة بعد أن اختبر ماظهر وما خفي من أحوالهم الاجتماعية والأخلاقية . فحكم أنهم على مفترق الطرق . وأن عليهم ان يعملوا بأوامر دينهم . لينقذوا أنفسهم ومستقبلهم .

والعمل بالدين في رأيه ليس باتباع أوامر القرآن وتعاليمه وحده بل باتباع سنة النبي (ﷺ) أيضاً . وإذا كان العمل بالسنة النبوية موضع أخذ ورد بين فضلاء هذا العصر من المسلمين الذين يرون أن العمل بالقرآن وحده هو كفيل النجاح وسبيل الاصلاح — لما رأى أخونا النمسوي ذلك خص معظم صفحات كتابه بمناقشة هؤلاء وبأن السنة لا بد منها (مع القرآن) في فهم الاسلام الصحيح .

وفهم من غرضون كلام المؤلف في نصرة السنة النبوية ، وضرورة العمل بها مع القرآن — أن مراده بها سيرة النبي (ﷺ) الشخصية ، وطريقته العملية التي سلكها (ﷺ) في حياته . والتبشير بديانته : فالمؤلف يقول : ان سيرة النبي (ﷺ) هي التي تفسر لنا القرآن ، وتوحي الى النفوس أمرار تعاليمه إيجاباً صحيحاً . أقول :- وإذا كان هذا هو مراد الأخ المسلم الجديد بالسنة النبوية فلا يبقى خلاف بينه وبين الذين يعمولون في إنهاض المسلمين ولم شعثهم على القرآن

وحده : لأن هؤلاء إنما يريدون بالقرآن الوحي الإلهي مع ما وافقه ووافقاه من السنة النبوية الثابتة الصحيحة المتقولة اليقينية نقلاً لأشبهة فيه . فدراسة سيرة النبي (ﷺ) ومساعدته العملية والاقتداء به في تطبيق أحكام الإسلام وفهم تعاليم القرآن — هو أمر مسلم عند جميع رجال الإصلاح الإسلامي . ولم يبق بعد هذه المقدمة إلا أن نذكر للقارئ خلاصة من ترجمة أختينا النمساوي وننقل إليه عن لسانه السبب الذي جعله ينحو هذا النحو في مصنفه وفي خدمته لدينه الجديد .

ترك النمسة بلاده سنة ١٩٢٢ م مولياً وجهه شطر الشرق الإسلامي بصفته مراسلاً لصحف أوروبا . فرأى في الحياة الدينية الإسلامية التي يحياها المسلمون الخلل هذوئاً لم يعهده في الحياة الأوروبية المسيحية . فحب ذلك إليه دين الإسلام وزينه في قلبه . لكنه رأى معظم المسلمين غير عاملين بقوانين تلك الحياة التي أوحاها إليهم الإسلام فجعل يناقش من كان يجتمع بهم من علماء الإسلام في سبب هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي . حتى إذا كان في بلاد الأفغان (سنة ١٩٢٥ م) ناقش حاكماً شاباً أفغانياً . فقال له الحاكم : (ولكنك مسلم غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك) فأثرت هذه الكلمة في نفس المؤلف أثماً تأثيراً . وعاد إلى أوروبا سنة ١٩٢٦ م مأخوذاً بسحر جمال الإسلام فأسلم . وبعد أن درس كل ما يجب عليه أن يدرسه من لغة القرآن وتعاليم الإسلام وشؤون المسلمين وقضى خمس سنوات في الحجاز ونجد والمدينة المنورة وخالط ثم رجلاً من أقطار إسلامية مختلفة وقارن بين وجهات نظرهم — بعد هذا كله ألف كتابه في الموضوع الذي وصفناه في صدر المقال . وأحسب أن وصفنا هذا كافٍ في تقريب الكتاب وفي حمل الدين بهمهم موضوعه على اقتنائه والاستفادة من مضامينه . وانا لنشكر مؤلفه الفاضل على ما بذله من الجهد في تجرّي الحق وتدعوه له بالتوفيق . كما نشكر لكل من الفاضلين مترجم الكتاب وواضع مقدمته عنايتهما أجزل الله ثوابهما .

تاريخ حكماء الاسلام

تأليف ظهير الدين البيهقي

عني بنشر هذا الكتاب الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك رئيس مجمعنا العلمي العربي، وقد صدره بكلام على مؤلفه ظهير الدين البيهقي المولود سنة ٤٩٩ في قصبة من نواحي بيهق من أعمال نيسابور عاصمة خراسان .

ذكر الأستاذ في ترجمة المؤلف الوافية ما اتصل به من نسب ظهير الدين وثقافته وكتبه في الدين والأدب والتاريخ والحكمة وأورد شيئاً من شعره وأشار الى مذهبه فقد كانت ثقافة البيهقي تجمع بين علم الآخرة والدنيا ، وقد وجد في تاريخ حكماء الاسلام برهاناً من جملة البراهين على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تنجزاً وان كل قطر متمم للأقطار الأخرى فاذا كانت خراسان اختصت برجال الحكمة فان الأقطار السائرة أخرجت رجالاً في فروع العلم ، واذا امتازت دمشق بمؤرخيها وشعرائها ومحدثيها فان بغداد امتازت بفقهاءها ومؤدبيها وندماها فتاريخ حكماء الاسلام في نظر الأستاذ العلامة قد رسم ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي في زمن يكاد يكون خاتمة سمو العقل ومبدأ تراجع العلم في الاسلام .

* * *

اذا أراد القارئ ان يبحث في تاريخ حكماء الاسلام عن تراجم كاملة على نحو تراجم كتاب الغرب فانه لا يظفر بشيء من ذلك ولكن الكتاب لا يخلو من فوائد لا تقل عن فوائد كل التراجم ، من هذه الفوائد الحكم المبعثرة في تضاعيف الكتاب وقد حاولت ان أختار طائفة منها لتثبيتها في هذه الكلمة فأدركتني الحيرة في الاختيار فما كنت أفرغ من حكمة حتى اهتدي الى اختها وقد جمعت هذه الحكم مذاهب في الفلسفة والأخلاق والآداب والطب والمعاملة ونحو ذلك . بحيث اذا اتبع الانسان معظماها في حياته عاش معافى في بدنه سامياً في نفسه رفيعاً في عقله .

مفتي حبري

ديوان ابن عنين

شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الانصاري الدمشقي

عني الأستاذ خليل بك مردم بك بنشر ديوان ابن عنين المولود في دمشق سنة ٥٤٩ وقد صدر هذا الديوان بترجمة للشاعر شافية أوجز فيها الكلام على ابن عنين من النواحي كلها فقد تكلم على وطنيته وقوميته وأشار الى غمزه وازه وعشه برجال الدولة وسخريته بهم وصوّر خفة روحه وكثرة دعايته وبراعة فكاهته وحضور نكتته كما صوّر مجونه وظرافته وتهكمه وتوقد ذهنه وذكاء قلبه ولم يغفل عن توضيح فنه .

لقد أمعن ابن عنين في الهجاء الذي أقذع فيه وأخش على رأي الأستاذ خليل بك وتعدّى حدود المروءة والأدب ولم يكد يسلم من لسانه أحد حتى هجا نفسه وأباه واجترأ على التعرض لصلاح الدين والملك العادل والملك الأشرف والملك المنصور من الأيوبيين في عنفوان سلطانهم وأقبال دولتهم اما الوزراء والأسماء والقضاة والحكام فقد شنّ عليهم حرباً لا هوادة فيها .

لست أريد في هذه الكلمة المختصرة أن أقول شيئاً في شعر ابن عنين أكثر مما قاله الأستاذ خليل بك فتكاد تكون الصورة التي عرضها علينا في الترجمة متكاملة الخطوط والألوان ولكنني أريد أن أكون من انصار ابن عنين في نقده لرجال الدولة لا في الخماشه في الهجاء ولا ريب في ان شعره اشتمل على كثير من الهجاء مما يبرز عن ظل الأدب ونضيق به الصدور ولكننا اذا تجاوزنا اقداءه في القول في بعض المواطن وجدنا ان شعره لا يخلو من نقد لرجال الدولة على مختلف طبقاتهم فاذا كنا نصجر من ابن عنين في هجائه في بعض الأحيان فانا نحمد له جرأته على نقد رجال الدولة فإن الذين يتقلدون جلائل الأعمال يحتاجون الى سعة الصدور فما ينبغي لهم ان يغيظهم تهجين أمورهم وتقييح سياستهم

واذا التمسوا السلامة من ألسن الناس لزمهم أن يلبدوا في دورهم وإن يقطعوا
كل صلة لهم بالمصالح العامة فكل رجل من رجال الدولة مستهدف للنقد ولشيء
أشد من النقد والزمان وحده هو الذي ينصف ويفرق بين خطأ الناقدين وبين
صوابهم إنما الذين يتطاولون لمنصب الدولة ولا تتسع صدورهم لسهام الناس
فهؤلاء لا يفهمون معنى الحرية ولا ينبغي لهم أن يكونوا من رجال الدولة في حال
من الأحوال .

ش . ج

رحلات في ريار الشام

أحمد سامخ الخالدي

نحس الأستاذ أحمد سامخ الخالدي أربع رحلات رحلها شيوخ الصوفية
عبد الغني النابلسي ومصطفى البكري الصديقي ومصطفى سعد الدمياني في النصف
الأول من القرن الثاني عشر الهجري في شبه جزيرة سيناء وفلسطين ودمشق
وقسم من لبنان وقبرص .

وقد نبينا المؤلف في المقدمة على أن هذه الرحلات لا تشبه رحلات المقدسي
أو ابن جبير أو ابن بطوطة على أنها لا تتخلو من إعلامنا بشيء من حالة البلاد
والأمن في القرن الثاني عشر وبشيء من بعض رجاله ومشاهدته ومعاهده ، فلم
يكن الأمن مستتباً في خارج المدن الكبرى فكان الشيوخ الذين ألفوا هذه
الرحلات يدفعون الرعب عن قلوبهم بقراءة الأوراد .

لم يكن الوصف في الرحلات الأربع موضوعياً على نحو ما أشار إليه المؤلف
وانما كانت غاية أصحابها الزيادة والتبرك فلم ينصرف ذهنهم إلا إلى الأماكن
المقدسة وقبور الصحابة والتابعين والأقطاب حتى أنهم اجتنبوا الاتصال بالناس
ما خلا رجال الطرائق ، فكانوا يقضون أكثر أوقاتهم في التعبد وقراءة الأوراد
والاجتماع إلى الأقطاب والمتصوفين .

ولئن خلت هذه الرحلات من الفوائد التي تشتمل عليها الرحلات عادةً مثل وصف المدن وأهلها وعاداتهم وأوضاعهم وأشياء هذا كنه أو من الآثار الأدبية فإنها لا تخلو من طابع خاص فالشيخ مصطفى البكري الصديقي ذكر في رحلته أنه لما وصل إلى جينين ذات القلعة والحصن وبلغه أن في جبهتها الغربية قطاع طرقٍ فإن :فما تركنا الحصن مع المشيئة حتى ذكرنا اسمه اللطيف ستة عشر ألفاً وستائة وأربعين مرة، وكان يفعل ذلك في بعض المراحل الخيفة .

انا لا نجد مثل هذه النزعة في اية رحلة كانت .

س . ج

الظرفاء والسمّازون

في بغداد وباريس

صلاح الدين المنجد

صوّر المؤلف في هذا الكتاب طبقتين من طبقات المجتمع العباسي وهما طبقة الظرفاء وطبقة الشحاذين وقايس بين حائنين الطبقتين وبين أمثالهما من الفرنسيين . واذا أردنا أن نعرف كيف خاض في مثل هذا الموضوع الطريف فلنسمع ما قاله الأستاذ أحمد حسن الزيات في بعض مقدمة الكتاب :

«لقد كان الأستاذ المنجد برّاً بفنه وأدبه وعريته وقوميته حين اتجه إلى الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي يجلو صورها الاجتماعية الطريفة في مجلّاه المعروف بصفاء الذوق وأناقة الأسلوب وحسن الاختيار وجمال العرض ودقة الموازنة وصحة الحكم ...»

لم يغفل الأستاذ الزيات في كلامه فقد لجأ المؤلف إلى موضوع وعمر المسلك وما أشك في أنه قد أصابه منه شيء غير قليل من الجهد والبلاء ولكنه قد وصل بعد هذا الجهد وهذا البلاء إلى عاقبة محمودة فأطلعنا على سيرة الظرفاء الخواص

منهم والعوام وعرض علينا ملابسهم وخواتيمهم وطيبهم وموائدهم ومطاعمهم ومساكنهم ومجالس شراهم ، ولقد فعل الفعل نفسه في عرض سيرة المتظرفات ولئن كان لا يستطيع أن يصف ملابس الظرفاء والمتظرفات وصفاً دقيقاً بعد العهد عنها على نحو ما أقرّ بذلك فإنه استطاع أن يصف عناية الظرفاء باختيار أجود الثياب وانتقاء الأزياء المنسجمة والألوان المتوافقة والأجزاء المتطابقة .

ولم يكن عرضه لسيرة الشحاذين أقلّ حسناً من عرضه لسيرة الظرفاء .

ففي الكتاب شيء يعجب وموضوع يغري ونهج يروق .

ش . ج



وابل وطل

نظم ابراهيم يعقوب عوبديا - بغداد

هذه قصائد في موضوعات وطنية واجتماعية ونفسية وغيرها نظمها ابراهيم يعقوب عوبديا من بغداد واهداها الى حضرة صاحب الجلالة فيصل الثاني ملك العراق .

اذا وجدت في هذا الشعر شيئاً يحمد صاحبه عليه فهو خلوه من هذه الترا كيب والخيالات الأعجمية التي أدلع بها بعض شعراء هذا العصر فأصبح شعرهم حائراً ، لا هو من شعر العرب ولا هو من شعر الغرب ولقد يحاول فريق من الشعراء الانطلاق من قيود الماضي ولقد انطلق من هذه القيود قبلهم شعراء كثيرون من شعراء العرب ولكنهم لم يخرجوا عن روح اللغة وخصائص البيان وإنما خاضوا في موضوعات حديثة لم يخض فيها من تقدمهم فجاء شعرهم عصرياً في معانيه عريباً في مبانيه فالشاعر الذي يستطيع في هذا العصر ان يتغنى بوطنه وان يطلق قريحته في موضوعات شتى دون أن يجيد عن روح اللغة وعبقريتها إنما هو شاعر محمود الأثر .

ش . ج



صروف من نار

عمر أبو قوس

هذا ديوان شعر جمع فيه صاحبه قصائد مختلفة الموضوعات ، تجلّت في بعضها روح شعرية مبعثرة مثل القصيدة التي قيلت في رثاء الملك فيصل الأول وتجلّت في بعضها الآخر روح قومية منسعة مثل القصيدة التي جاءت فيها هذه الأبيات :

وما العيد إلا وحدة عربية ترف بها أعلامها وبندوها
فطالعتها صنعاء والبحر دونها وطور روس من أقصى الشمال حدودها
وجيش كموج البحر يزخر هائجاً تضيق به مصر العلى وصعيدها
تضمد جرحاه أوانس يعرب وتجنده يوم اللقاء أسودها

ش . ج



المحرر

أصدرت نقابة محرري الصحف اللبنانية كتاباً سمته : المحرر ، جمع فيه نقيبهم السيد سليم أبو جرة ثمرات أقلام المحررين تقديراً لتضحياتهم وتعظيماً لجهوداتهم وتخليداً لنقابتهم ، والمقالات المجموعة موضوعاتها مختلفة : وطنية واجتماعية وأدبية وغير ذلك .

وفي خاتمة الكتاب كلمة للأستاذ جبران تويني نقيب جمعية أصحاب الصحف بيّن فيها منزلة المحرر في الجريدة فهو روح الجريدة .

ش . ج



هنكيز خان — امبراطور الناس كلهم

لؤلفه هارولد لامب . عربيته عن الانكليزية اللواء بهاء الدين نوري .

طبع في بغداد عام ١٩٤٦ يدخل في ٢٠٣ صفحات من القطع المتوسط

سيرة طاغية التتروسلمطانهم الأعظم : حديث طفل نبت في الصحاري القاحلة ،

وترعرع بين رعاة وغزاة دأبهم السلب والقتل بدافع الفاقة والجهل . ففي مثل هذه البيئة الفاسدة لمع نجم طاغية الدهر جنكيز خان ، الذي جمع حوله بدهائه ، وشجاعته ، كفة قبائل مشردة ، فوحد كلمتهم ، ونظم شؤونهم ، وجيش منهم جيوشاً جرارة من اصبر خلق الله على القتال ، لا تعرف الهزيمة ولم تقهر في معركة . خرج بهذه الجيوش من بادية الصين الى ان بلغ بها ما لا يمكن ان يبلغه جيش مثله ، معها برعت قادته وتوفر عتاده . بسط جنكيز خان سلطانه في مدة ربع قرن على اوسع مملكة سادها انسان ، تمتد من المحيط الهادي الى حدود ارمينيا والعراق الى قلب روسيا فحدود البلغار ، او كما قال : « استطاع هذا الرحالة الذي كان يصطاد الضواري ، ويرعى الأغنام ، ان يحطم جيوش ثلاث امبراطوريات . الا ان هذا الوحشي الذي لم يعيش بمدينة ما ، وهو أمي لم يتعلم الكتابة والقراءة ، وضع اسس قوانين لمحسنين شعباً من الشعوب » .

واكثر ما يصفه هذا الكتاب هي غزوات هذا الجبار وانتصاراته العسكرية التي هي اروع ما يعرف عنه . ويجعله المؤلف بحق في طليعة القواد العظام الذين خلدهم التاريخ . فهو بفضل على نابليون الذي : « تخلى عن جيش كامل في مصر ، كما ترك بقية جيش آخر في ثلوج روسيا ، واخيراً حار في امره وانخزل في كارثة (واترلو) . لقد هدموا امبراطوريته على مسمع منه ، ومنزقوا شريعته وقوانينه » . واما جنكيز خان فقد خلف ملكاً موطن الأركان معزز الجانب . ويرى ايضاً انه يفوق الاسكندر المقدوني ، وان تشابها في انتصاراتهما غير انها يختلفان في تدابيرهما ومصير ملكهما . فبينما تنهار امبراطورية الاسكندر بعد وفاته وتتمزق وحدتها فيتفاسمها قواده نرى كيف استطاع جنكيز خان ان يحتفظ بجميع فتوحاته وان يورثها ابناءه واحفاده من بعده دون منازع او منافس .

اراد المؤلف ان ينتصر لجنكيز خان فاتهم من كتبوا عنه بأنهم خدعوا بالأساطير التي لفقها اعداؤه « فصوروه ضرباً من القوة الوحشية المتجسمة او كارثة

انبعثت من الصحراء بين عهد وآخر لتقضي على المدينيات السالفة » . وبزعمه لو عذفه الناس لقدروه او كما يقول : « للتعرف على هذا المرء علينا ان تقترب منه وهو بين رجاله ، وعلى وجه الأرض كما كانت قبل سبعة عصور . وليس لنا ان نقيسة بمقاييس المدينة المصرية . بل علينا ان نمحصه باعتبارات عالم قاحل يسكنه الصيادون والرحل الممتطون الجياد العاديون وراء الوعل والغزال » .

لقد اجمع مؤرخو عصره على عظمة غزوات جنكيز خان ووفوه حقه ، كما اجمعوا على استنكار فظائمه وجرائمه . فقد خرب البلاد واباد العباد وقضي على المدينيات . ولم ير الشرق شراً اشد من شره ، ولن يغفر لهذا السفاح عدوانه الذي كان من أهم العوامل في انحطاط الشرق وتأخره -

والكتاب يجملته طريف الموضوع وهو اقرب الى القصة منه الى كتب التاريخ : فيه اخبار حروب وغزوات ومغامرات تثير الاعجاب مما حملت احد جنود العرب على أن ينقل لنا اخبار بطولة هذا الرجل الذي قال عنه ابن السبكي في طبقاته انه : « كان من اعقل الناس واخبرهم بالحروب ووضع له شرعاً اخترعه ، وديناً ابتدعه » .

جعفر الحسني



آراء وأثناء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

- | | | | |
|----|--------------------------------|----|--|
| ٢٤ | الدكتور عبد الرحمن الكيالي حلب | ١ | السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق |
| ٢٥ | الشيخ محمد زين العابدين | ٢ | الدكتور أسعد الحكيم |
| ٢٦ | البطرك مار اغناطيوس افرام حمص | ٣ | الأمير جعفر الحسيني |
| ٢٧ | الشيخ سعيد العرفي دير الزور | ٤ | الدكتور جميل الخاني |
| ٢٨ | ابراهيم منذر بيروت | ٥ | جميل صليبا |
| ٢٩ | السيد أنيس المقدسي | ٦ | حسني مبعج |
| ٣٠ | بشارة الخوري | ٧ | السيد خليل مردم بك (أمين السر العام) |
| ٣١ | بولس الخولي | ٨ | سليم الجندي |
| ٣٢ | الشيخ فؤاد الخطيب | ٩ | شفيق جبزي |
| ٣٣ | الفيكونت فيليب دي طرازي | ١٠ | عارف النكدي |
| ٣٤ | الدكتور نقولا فياض | ١١ | الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) |
| ٣٥ | السيد عيسى الكندر الملقب زحلة | ١٢ | السيد عمر الدين التنوخي |
| ٣٦ | الشيخ احمد رضا جبل عامل | ١٣ | فارس الخوري |
| ٣٧ | سليمان ظاهر | ١٤ | محسن الأمين |
| ٣٨ | السيد ادوار مرقص اللاذقية | ١٥ | محمد البزم |
| ٣٩ | سليمان الاحمد بدوي الجبل | ١٦ | الشيخ محمد بهجة البيطار |
| ٤٠ | عبد الله مخلص القدس | ١٧ | الدكتور مرشد خاطر |
| ٤١ | محمد اسعاف النشاشيبي | ١٨ | الأمير مصطفى الشهابي |
| ٤٢ | محمد الشريفي باشا عمان | ١٩ | السيد معروف الأرناؤوط |
| ٤٣ | الشيخ رضا الشبيبي بغداد | ٢٠ | هنري لاوست |
| ٤٤ | طه باشا الهاشمي | ٢١ | الشيخ راغب الطباخ حلب |
| ٤٥ | السيد عباس العزاوي | ٢٢ | عبد الحميد الجابري |
| | | ٢٣ | عبد الحميد الكيالي |

٧٢ السيد كي بوليفيا	٤٦ الشيخ كاظم الدجيلي بغداد
٧٣ = بونا باريز	٤٧ = محمد بهجة الاثري =
٧٤ = دوسو =	٤٨ الدكتور داود الجيلي الموصل
٧٥ = كولان =	٤٩ السيد ابراهيم عبدالقادر المازني القاهرة
٧٦ = ماسينيون =	٥٠ احمد أمين بك =
٧٧ = آبن بلاسيوس (مجرط) اسبانية	٥١ السيد احمد حسن الزيات =
٧٨ = لويس (لشبونة) البرتغال	٥٢ احمد لطفي السيد باشا =
٧٩ = هيس سويسرا	٥٣ انطون الجميل باشا =
٨٠ = أراندونك هولاندة	٥٤ السيد خليل ثابت =
٨١ = هوتسا =	٥٥ خليل مطران بك =
٨٢ = كرينكو انكلترا	٥٦ السيد خير الدين الزركلي =
٨٣ = جيب (١٠٥٠ ر) =	٥٧ الدكتور طه حسين بك =
٨٤ = بروكين المانية	٥٨ السيد عباس محمود العقاد =
٨٥ = هارتمان (ريشار) =	٥٩ الدكتور عبدالوهاب عزام =
٨٦ = سترستين السويد	٦٠ الشيخ محمد الخضر حسين =
٨٧ = استروب الدانمارك	٦١ السيد محمد لطفي جمعة =
٨٨ = موجيك فينا	٦٢ الشيخ مصطفى عبد الرازق =
٨٩ = ماهر بودابست	٦٣ الأمير يوسف كمال =
٩٠ = موزل تشيكوسلوفاكية	٦٤ السيد عبد الحميد العبادي اسكندرية
٩١ = كوفالسي بولونية	٦٥ حسن حسني عبدالوهاب باشا تونس
٩٢ = كراشكوفسكي ليننغراد	٦٦ السيد عبد الحفي الكتاني فاس
٩٣ = كريسكو فنلاندة	٦٧ = عبد العزيز الميني الراجكوتي الهند
٩٤ = فيليب حتي اميركة	٦٨ = عباس إقبال طهران
٩٥ = هرزفلد =	٦٩ = مارسه تونس
٩٦ = سعيد ابو جمره البرازيل	٧٠ = ماضه الجزائر
	٧١ السيد محمد الحجيوي مراکش

اعضاء المجمع العلمي الراحلون

٢٣ السيد جرجي بني طرابلس الشام	١ الشيخ طاهر الجزائري دمشق
٢٤ الشيخ سليمان أحمد اللاذقية	٢ = سليم البخاري =
٢٥ الدكتور صالح قنبار حماة	٣ السيد مسعود الكواكبي =
٢٦ الأب جرجس شلحت حلب	٤ = مالتجو =
٢٧ = جرجس منش =	٥ = الياس قديمي =
٢٨ السيد قسطنطين الحمصي =	٦ = أنيس صوم =
٢٩ الشيخ كامل النزي =	٧ = جميل العظم =
٣٠ السيد ميخائيل الصقال =	٨ = سليم عنخوري =
٣١ الشيخ بدر الدين النعساني =	٩ = عبد الله رعد =
٣٢ السيد نخلة زريق القدس	١٠ = رشيد بقدونس =
٣٣ الشيخ خليل الخالدي =	١١ الشيخ عبد القادر المبارك =
٣٤ = سعيد الكرمي طولكرم	١٢ السيد أديب التقي =
٣٥ السيد محمود شكري الآلومي بغداد	١٣ = حسن بيهم بيروت
٣٦ = جميل صدقي الزهاوي =	١٤ الأب لويس شيخو =
٣٧ = معروف الرصافي =	١٥ الشيخ عبد الله البستاني =
٣٨ = طه الراوي =	١٦ السيد جبر ضومط =
٣٩ الأب انستاس ماري الكرمل =	١٧ = عبد الباسط فتح الله =
٤٠ الشيخ أحمد الاسكندري القاهرة	١٨ الشيخ عبد الرحمن سلام =
٤١ أحمد زكي باشا =	١٩ = مصطفى الغلاييني =
٤٢ أحمد شوقي بك =	٢٠ السيد عمر الفاخوري =
٤٣ السيد اسعد خليل داغر =	٢١ = أمين الريحاني لبنان
٤٤ حافظ ابراهيم بك =	٢٢ الأمير شكيب أرسلان =

١٤ السيد كليمان هوار	باريز	٢٥ السيد محمد رشيد رضا القاهرة
٦٥ = جوبدي	إيطاليا	٤٦ السيد مصطفى صادق الرافعي =
٦٦ = نلينو	=	٤٧ احمد كمال باشا =
٦٧ = هومل	المانيا	٤٨ احمد تيمور باشا =
٦٨ = ساخاو	=	٤٩ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي =
٦٩ = هوروفيتز	=	٥٠ الدكتور يعقوب صروف =
٧٠ = مارتين هارتمان	=	٥١ السيد اوجينيو غريفييني =
٧١ = ميتفوخ	=	٥٢ = رفيق العظم =
٧٢ = مونته	سويسرا	٥٣ = داود بركات =
٧٣ = سنوك هوغرينه هولاندة	=	٥٤ الدكتور أمين الماعوف =
٧٤ = مرجليوث	انكلترا	٥٥ الشيخ عبد العزيز البشري =
٧٥ = بفت	=	٥٦ الدكتور احمد عيسى بك =
٧٦ = برادن	=	٥٧ الأمير عمر طوسون الاسكندرية
٧٧ = بوهل	الدانمارك	٥٨ الشيخ محمد بن أبي شنب الجزائر
٧٨ = بدرسن	=	٥٩ السيد رينه بامه =
٧٩ = أغناطيوس غولد صير بودابست	=	٦٠ = ميشوبلير طنجة
٨٠ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني زنجان	=	٦١ = زكي مغامر الاستانة
٨١ السيد ماكدونالد	أميركا	٦٢ الحكيم محمد أجمل خان الهند
		٦٣ السيد فران باريز

الأمير شكيب أرسلان



عظيم من عظماء الشرق والمسلمين ،
 وحجة العرب وامامهم في اللغة والتاريخ
 والسياسة غير مدافع . واميرهم في البيان
 والكتابة والخطابة غير منازع . كن
 — رحمه الله — اذا حدثك في اللغة ،
 خيل اليك انه رجل اعطى اللغة نفسه ،
 فأعطته اللغة نفسها ، وغير كثير على مثله
 ان يبلغ في علمه انقطع له ، واختص به ؛
 مبلغ الأمير من اللغة . فاذا هو انتقل
 الى التاريخ ، رأيت منه في هذا العجب
 العجيب ، معرفة احاطة بأخبار الأولين ،

وحوادث المعاصرين ، وفتوحات العرب والمسلمين ، يسير بك من الجزيرة الى مصر
 فالمغرب فقلب ادوية الى أقصى الهند وتخوم الصين ، فيسير على هدى وثبت ومعرفة
 وتحقيق ؛ وله اطلاع على تواريخ الدول والشعوب قد لا يقل كثيراً عن اطلاعه
 على تاريخ بلاده وقومه ، وتنتقل من التاريخ الى السياسة فاذا هو البحر يدرك
 اغوارها ، ولا يدرك فيها غوره : لا تقع الواقعة إلا نظر في خفاياها فعرف
 نتائجها من مقدماتها . فحذر وبصر ، فاذا انجلت الغياهب وانكشفت الحجب ،
 كانت الرأي مارآه ، والقول ما قاله (١) .

(١) كتب عنه الأستاذ مصطفى السباعي في جريدة المنار النشرة الـ ١١٢ ما يأتي :
 اجتمعت بالأمير في القاهرة وقد سمرنا ليلة في دار جريدة الشورى ، عند العربي المجاهد
 الأستاذ محمد علي الطاهر فرأينا مؤرخ اليمن الشيخ عبد الواسع اليمني يعرض على الأمير كتاباً
 له في تاريخ اليمن ، وفيه بحوث تتعلق بالثقافة عرضاً . فسمعت الأمير - رحمه الله - يصيح -

يتناول هذه العلوم التي يتناولها : محدثاً او خاطباً او كاتباً ، ببيان العذب السائغ ، وحجته الدامغة ، وصراحته العارية الواضحة لا غمغمة ولا مواربة . وفيه يقول شاعر القطرين خليل مطران في مقدمة ديوان الأمير :

« فني هذا المفترق الأول من السبل التي يواجه بها المرء مستقبله - آثر الأمير الترسل ، ومضى فيه متدفقاً تدفق ينبوع الصافي مجلجلاً أحياناً جلجلة السيل الكثير الشعاب - وما زال حفظه الله منذ خمس واربعين سنة ^(١) يتحف قراء العربية في مشارق الأرض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من انوارها هدى ، او يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيئ لهم من امرهم رشداً ، الى رسائل متنوعة يجتنون محاسن اغراسها وازاهرها ، ويجتنون ما يغذي العقول ويفكه القلوب من اطياب ثمارها ، الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر ، فما ينقضي يوم من ايام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها ، او فرائد تزهو بها انهارها ، ولو تفرغت طائفة من حملة الأقلام جميع عديدها ، فيأخذ قريحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب ، ومباحث التاريخ والأخلاق ، لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات ، لتعذر عليها ان تأتي مجتمعة ، بما أتى به ذلك العلم الفرد » .

وفوق هذا ما قال فيه ابو السامي مصطفى الرافعي في عبارة جليلة ، آسف انها لا تحضرني الآن .

— لشيخ يعني بعض ما أورده في الفقه ، وبعض تراجم أوردها في كتابه ، وكل ذلك من ذاكرته دون أن يرجع الى كتاب .

وحدثنا صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الزرقا عن والده علامة حلب ، وشيخ مشايخنا الشيخ أحمد الزرقا عليه - رحمه الله - انه دخل سرية على علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي - رحمه الله - فوجده يقرأ مؤلفاً له في التوحيد على شاب تلوح عليه سيما الامارة والنجابة . والشيخ القاسمي يصني بانتباه الى ملاحظات هذا الشاب فيصححها كما يرى دون اقتراض . فسأل الشيخ الزرقا عن الشاب ، قيل له : انه الأمير شكيب ارسلان .

(١) كتب الحليل هذا سنة ١٩٣٦ . أما الواقع فان الأمير - رحمه الله - ظل يكتب ويخطب ويؤلف سبعين سنة كاملة من السنين السابعة عشرة الى السابعة والسبعين .

هذا هو الرجل الذي فقدته وطنه ، ورزئت به أمته ، وهما أكثر ما يكونان حاجة الى علمه الناضج ، ولسانه الناطق ، ورأيه الخميز ، وخبرته الواسعة في شؤون العرب . والمسلمين ، وفي مطاعم الغريين المستعمرين .

مولده ونشأته : ولد رحمه الله في الشويفات سنة ١٨٦٩ من بيت اماره ، سادوا في الاسلام ، وملكوا في الجاهلية : يتصل نسبهم بالملك المنذر بن النعمان : الشهير بأبي قابوس في ثبت صحيح مسجل . فهو عربي النبعة والنزعة ، عربي اللسان والبيان .

دراسة : درس هو وأخوه الشاعر العربي الفحل : الأمير نسيب دراستها الأولية ، على شيخ من اهل الشويفات هو مرعي شاهين سلمان ، وأقرأهما في عين غنوب — وقد ذهبوا يصطافون فيها على جاري عادتهم — الشيخ أسعد فيصل كتاب الله ، فحفظا جانباً منه ، ثم عادوا الى الشويفات فدخل هو وأخوه مدرسة للأمرىكان في حارة العمروسية : تعلموا فيها مدة ، وقروا في جملة ما قرأوا الجغرافية والحساب ومبادئ الانكليزية ، وسنة ١٨٧٩ دخلا مدرسة الحكمة ببيروت ، وهي المعروفة الى اليوم بمدرسة المطران ، وكانت مشهورة باللغة العربية ، وظلا فيها الى سنة ١٨٨٦ ، وسنة ٨٨٧ انتقلا الى المدرسة السلطانية وحضرا دروس مجلة الأحكام العدلية ، على الشيخ محمد عبده المصري ، وجملا بلامرأته في مجالسه الخاصة ، ويزوران في بيته ببيروت ، وكانت قد انعقدت صداقة أكيدة بينه وبين ايها الأمير حمود رحمه الله .

كانت دراسة الأمير في المدارس محدودة ، غير أن دراساته الخاصة ، ومطالعاته العامة كانت لا حدة لها ، فقد كان يقضي الساعات الطوال دارساً منقياً ، باحثاً مراجعاً . جلد لا ملل معه ، وصبر لا نقاد له ، يقوم من الساعة السابعة فيجلس الى مائدة الكتابة والمطالعة الى الساعة الواحدة ، فاذا تغدى استراح الى الساعة الثالثة ثم استأنف عمله الى الساعة الخامسة ، ويقضي ثلاث ساعات في شرب الشاي وقراءة الجرائد ، والتزهد ماشياً ، ثم يعود الى العمل ثلاث ساعات في الليل .

هذا الدأب مضافاً إليه ما وهبه الله من ذكاء ، يؤأه من العلم هذه المنزلة الرفيعة التي لا يتعلق بها درك ، وقد جمع الى معرفة اللغة العربية — وهو فيها المفرد العلم — اللغة الفرنسية والتركية ، ثم الألمانية فالانكليزية .
وقد أفاد كثيراً من صحبته لزعم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني ، ولرجل مصر الشيخ محمد عبده .

وظائفهم : تولى من الأعمال الحكومية مديرية الشويفات — وتعرف بالغرب الأقصى^(١) ؛ ثم عين قائم مقام للشوف ، في أواخر مدة نعوم باشا المتصرف الخامس في لبنان ؛ إلا أنه لم يطل عهده في القائم مقامية فعزله مظفر باشا لسياسة شخصية ليس هنا موضع ذكرها ، ثم أعاده يوسف باشا المتصرف السابع ؛ غير أنه لم يتحمله طويلاً ، لما كان عليه من الصراحة وحدة المزاج في شبابه ، والاستنكاف عن تنفيذ كثير من الأوامر الجائرة التي كان يتلقاها من مرجعه .
ثم انتخب مبعوثاً عن حوران في مجلس المبعوثات ، الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى ، وفصلت الشام عن السلطنة العثمانية .
ولقد أرادوه في عهد من عهود الانتداب على ان يتولى رئاسة المجمع العلمي أو رئاسة الجامعة السورية فرفض^(٢)

مؤلفاته : أبنا مؤلفاته المطبوعة فأذكر منها :

١ — الباكورة ، وهي ديوان شعره وطبع مرتين .

(١) ولله من المضحك ، أن يتولى الأمير — رحمه الله — ولو في عهد شبابه مديرية ، بل قائم مقامية التي تولاها فيما بعد ، غير أن الوضع النظامي الذي انتقل إليه لبنان بعد سنة ١٨٦٠ ؛ التي حكم الاقطاع وقسم لبنان قائمقاميتين ، ثم مديريات ، ورأي المتصرفون الأولون أن يعملوا من كل اقطاع مديرية . وان يحتفظوا لكل عشيرة اقطاعية باقطاعها السابق مديرية لها . فكان تولى المديرية مناه الاحتفاظ بتراث تاريخي قديم .

(٢) حدثني بذلك الأستاذ شفيق جبري : وكان رئيساً لديوان المعارف وقد كتب

هو اليه بذلك فأبى .

- ٢ - رسائل الصابي تفحصها وصححها وعلق عليها .
 - ٣ - ابن سراج وفي ذيله مختصر تاريخ الأندلس .
 - ٤ - الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية وهو تاريخ عام شامل يقع في ثمانية اجزاء^(١) .
 - ٥ - حاضر العالم الاسلامي في أربعة اجزاء .
 - ٦ - الارتسامات اللطاف .
 - ٧ - غزوات العرب في فرنسا وشمالي ايطالية وفي سويسرة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الاسبانية .
 - ٨ - لماذا تأخر المسلمون .
 - ٩ - حسن المساعي في تاريخ الامام الاوزاعي .
 - ١٠ - روض الشقيق : ديوان اخيه الأمير نسيب .
 - ١١ - السيد رشيد رضا .
 - ١٢ - شوقي .
 - ١٣ - اناطول فرانس في مبادله .
 - ١٤ - ابن خلدون .
 - ١٥ - مجلدات « الناسيون آداب الأمة العربية » وهي المجلة التي أنشأها باللغة الفرنسية للدفاع عن القضية العربية .
- ومن المخطوط :

- ١ - تاريخ لبنان وعندني نسخة منه .
- ٢ - اصلاح العامية .
- ٣ - الجزء الثاني من رسائل الصابي

(١) وصف فيه حفرافية الجزيرة الأندلسية بجبالها الحاضرة ، وبما كانت عليه أيام العرب . وزينه بصور وخرائط لأكثر المدن والمباني ، ورجم الى الأسماء العربية التي كانت مستعملة للأماكن والبقاع قبل ان عادت البلاد الى الاسبانيول ، وقد حصل على أطلس لقرطبة أيام العرب . وعرف بالعلماء والأدباء الذين خرجوا في كل بلدة من تلك البلاد .

٤ - كتيب عن البلاشفة .

٥ - رحلة الى المانية .

٦ - مذكراته .

الى غير ذلك من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي لا تحضرني الآن اسمائها .

رحلاته : جال الفقيه في الشام من أقصى حدوده الشمالية الى أقصى حدوده الجنوبية ، ورحل الى مصر والأستانة ، وفيها تعرف الى السيد جمال الدين الافغاني واتصل به وأخذ عنه ؛ وعرف كثيراً من الأقطار العثمانية في آسيا وأوربة وقصد الى طرابلس الغرب مجاهداً على رأس طائفة من جماعته المتطوعة ، وزار الحجاز في الحرب العامة الأولى وبعدها ، وكان في جملة الوفد الذي قصد الى الحجاز ثم اليمن لاصلاح ذات البين بين صاحب الحجاز وصاحب اليمن ، وظوف في القسم الأكبر من اوروبة : فرنسا والمانية وايطالية ولندرة ودول البلقان ولاسيا يوغوسلافية ، وساح في اسبانية فشهد منها : برشلونة ومرسطة ، ومجريط ، وطليطلة ، وقرطبة ، وغرناطة ، ورنده ، ومالقة ، ومرسية ، وبلنسية ، وميورقة ، وغيرها ؛ وزار طنجة من المغرب ، واقام برهة طويلة من الدهر في سويسرة : لوزان ثم جنيف ، وزار امريكا الشمالية ، فقلقه جاليتها بكل خفاوة واكرام ، وعرفه كما عرف هو - العالم الاسلامي عامة ، والعالم العربي خاصة .

سياسته : اما سياسته فقد كانت عربية اسلامية : استمسك بالدولة العثمانية بكل جوانحه ومن كل قلبه ، وانتفض الناس عنها ، فظل مخلصاً لها الى ان قام الكاليوت ، ودكوا الخلافة ، واعلنوا انهم تفضوا عنهم الاسلام وخرجوا منه ، فانقلب عليهم ، وانتفض يده منهم .

ولم تكن تلم يبلد اسلامي ، أو بلد عربي ، ملعة استُصرخ لها او لم يستصرخ ، إلا كان سريعا الى الدفاع عنه ، بقلمه ولسانه ، دفاع اصدق الوطنيين ، عن كرائم وطنه .

فلقد اقض مضجع فرنسا ونقص عليها اساليبها الاستعمارية في الشام : سورية ولبنان ، وفي المغرب ولا سيما يوم اصدرت الظهير البربري . وحمل حملاته الداوية عليه . وأقلق ايطالية وزعيمها موسوليني حتى حمله على التحقير عن عرب طرابلس والسماح لثانين الف منهم بالرجوع الى وطنهم .

وهو من السابقين الأولين في تنبيه العرب خاصة والمسلمين والشرقيين عامة الى ما يبيت له لهم الاستعمار والمستعمرون من أساليب ، وما ينصبون لهم من شباك وفخاخ . يذكر هذا ويعززه بالوقائع والأرقام .

وكانت سياسته في كل عهوده ، سياسة صريحة صادقة بعيدة عن المصانعة والزلفى ، تخلقت له خصوماً ما بالي بهم ، ولا عدل الى رثاء اودهان ؛ وكان الى جانب هذا : راجح الرأي ، صحيح الحكم ، منصفاً حتى من نفسه ، معترفاً بالفضل لذوي الفضل ، واضعاً نفسه دون قدرها ، رافعاً الناس فوق أقدارهم ؛

أماؤه وصبره : وكان في عمله العلمي والسياسي جليلاً جباراً احتمل النفي والغربة ، ماضعاً له عزم ، ولالانت له قناة ، ولارضيت له نفسه بما رآه لا يجمل بها . راجعه شقيقه النسيب ، وكثير من أقربائه واصدقائه في الرجوع الى البلاد ، وضرب له شقيقه مثلاً الشيخ محمد عبده ، وقد رضي بالاقامة بمصر تحت احتلال الانكليز . فأبى الاباء كله ، على حبه لوطنه ، وحنينه اليه ، ورغبته في رؤية أمه واشقائه واقربائه واصدقائه واخصائه ، « ورغم ما أصابه من آلام الغربة ، ومن نغصة البعد عن الأوطان ، التي هواها طبعي ، والشوق اليها مبرح » والخوف الشديد من ان يموت في ديار الهجرة فيدفن في غير بلده .

أما جلده على العمل وقدرته عليه ، فقد كان بحسبه التأليف التي وضعها وامرنا الى بعضها ، على أنه كان فوق ذلك ، يكتب في الشهر الواحد ما لا يقل عن عشر مقالات يتألف منها في السنة لو هي جمعت ١٢٠ مقالة اي ٣٠٠ — ٤٠٠ صفحة على أقل تقدير . وكان يرد عليه في الشهر ما لا يقل عن ٢٠٠ مكتوب ؛ كان يجيب عنها كلها ، وكان لا يرى لنفسه مندوحة عن الجواب ، لأن رد

الجواب كان في رأيه - كرد السلام ، ويرى في عدم الجواب نقصاً في المروءة ، فكان لذلك يكتب في السنة بين جواب وخطاب ما يزيد على ٢٠٠ رسالة ، وهو عمل نادر في الناس من يستطيعه .

بل هو قد كتب في سبيل الكتاب المعروف الذي زور عليه ، الفين وخمسة مئة صفحة ، بين رسائل ومقالات ، شغلته مدة شهرين وتزيد .

شعره : اشتهر نثر الأمير فعرفه الناس ، فأصبحوا لا يحتاجون الى من ينوّه لم بشيء منه ، على انه يحسن بنا ان نورد هنا شيئاً من شعره في مناسبات وطنية . فما قاله في حرب طرابلس الغرب ، يوم اقامت جمعية الهلال الأحمر حفلة بمصر لجمع الاعانات والمساعدات :

مواطن اخوان تملوا من الردى	كؤوساً تساقبها ببلء الحلاليم
دفاعاً عن الأوطان ان دفاعها	لدى كل قوم كان اولى المكارم
تهيبهم فيها العدو مهاجما	فجاء ديب اللص في ليل قائم
ولين في اقباله من إهابه	وهل يخدع الانسان لين الاراقم
فثاروا وما كانت زعائف رومة	من العرب اكفاء الليوث الضراغم
ونعم سقاط الموت هم كلما بدت	يروق المواطي في رعود الغماغم
وحسبك منهم كل قوم نمتهم	ارومة قحطاث ونبعة هاشم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم	وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا	لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك مثل السيف كاليوم قاضياً	ولا العهد مثل الآن احلام حالم
وما طال نوم السيف الا تنبهت	عيون الدواهي منه غن جفن نائم
اخلاي سوق للحنايا مقامة	تباع حفافها غوالي الجماجم
فهل لكم في سوق ير ورحمة	تناولت فيها باقيات المغانم
غيثاً للمظلوم ونصراً لصارخ	وضمداً للمجروح وقوتاً لصائم

ومن قوله :

فيا وطني لا تترك الحزم لحظةً
وكن يقظاً لا تستم لمكيدة
وكيد على الأتراك قيل مصوب
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه
إذا غالت الجلى أخاك فانه
ولو لم يفدنا عبرة خطب غيرنا
سيعلم قومي انني لا اغشهم
وقال في حطين وبجبرتها ويوم صلاح الدين :

يا يوم حطين كم حططت من الـ
هبوا من الغرب كالجراد فلم
واستفتحوا القدس والبلاد ولم
وهذدوا المسجد الحرام وكم
وكاد يبكي الميزاب فيه دماً
ونابت المسلمين داهية
فكل كف اصابها شل
وكل جمع ناوأم انقلبت
وحوصرت جلق ولو اخذت
وقيل دار الاسلام قد حصرت
ما زال ملء القلوب رعيهم

* * *

يوم تلاقى الجمعان والتظت الهـ
يوم تلاقى الجمعان وانتصب الـ
الشرق والغرب بعد طول وغى
ثلاثة والتزال بينهما

جاء حتى كأنها سقر
يزان رهن انحرافه الظفر
تواقفا والبراز مختصر
تزال من بعد يومه العصر

فأمطرتهم قسي جيش صلا ح الدين نبلاً من دونه المطر
ودّوا وقد ابصروه عارضهم لو سترتهم من دونه حفر
كأنما قومنا وقد ثبتوا شتم حصون لها القنا جذر
كأنما قومنا وقد وثبوا زعازع للغصون تهتصر
ذاق العدى من سلاف طعمهم كأساً بغير العنقود تختمر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا والناس من فوق صبرهم صبروا
ولوا ظلي يوسف ظهورهم تأخذ منها فوق الذي تذر
قاصمة الظهر للفرنج غدت وقعه قرني حطين مذ ظهوروا
كأن عليا حطين مبتدأ وكل فتح من بعده خبر

أضيقهم : وأما أخلاقه ، فأخلاق الأنبياء المرسلين : صفاء قلب ، ونقاء ضمير ،
لا ضغينة معهما ولا حسد ، أساء اليه كثيرون واجتهدوا في الاضرار به ، فعفى عنهم
عفو الكريم المقتدر أحياء ، ورثاهم رثاء الواله المتفجع أمواتاً ، بل هو قد قابل
إساءة كثير منهم بالاحسان اليهم .

وكان صادق الوعد لآخوانه ، كثير البر اليهم ، والعطف عليهم ، ينزلم من
نفسه منزلة الأشقاء . بل كان لا يرد قاصداً يطلب اليه معونة مادية كانت
ام معنوية ، حتى اضاع كثيراً من ماله في سبيل قصاده وآخوانه .

كان الأمير الأرسلائي - رحمه الله - اذا غزى آخوانه استشهد لهم أحياناً بقول
البديع : « الموت أمر عظيم حتى هان وخشن حتى لابت » .

وخطب هذه الأمة بأميرها وامامها ، عظم حتى ما يهون ، وخشن حتى ما يلين ،
إلا ان يمين الله عليها بخليفة له من بعده ، يسد مسده ، وهو ما لا يكاد يكون ،
في المئات من السنين .

رحم الله أبا غالب رحمة واسعة ، وأحسن اليه بعد مماته ، على قدر ما أحسن
الى هذه الأمة وهذا الوطن في حياته ، وانا لله وانا اليه راجعون .

فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين

الصفحة

- ٣ كنوز الأجداد (١) للأستاذ محمد كرد علي .
- ٢٠ اللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية (٢) للدكتور عبد الوهاب عزام .
- ٢٧ معجم مصطلحات أمراض الجلد داود الجبلي .
- ٣٧ شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لالعكبري مصطفى جواد .
- ٤٨ كنز من كنوز الجاحظ (٢) للأستاذ عبد القادر المغربي .
- ٥٥ آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري (٣) عباس العزاوي .
- ٦٥ كتاب التمهيد في بيان التوحيد عبد الله مخلص .

مخطوطات ومطبوعات

- ٦٩ معجم القرآن للأستاذ عبد القادر المغربي .
- ٧١ الإسلام على مفترق الطرق
- ٧٤ تاريخ حكماء الإسلام شفيق جبري .
- ٧٥ ديوان ابن عنين
- ٧٦ رحلات في ديار الشام
- ٧٧ الظرفاء والشحاذون
- ٧٨ وابل وطل
- ٧٩ حروف من نار
- ٧٩ المخرور
- ٧٩ جنكيز خان - امبراطور الناس كلهم للأستاذ جعفر الحسني .

آراء وأنباء

- ٨٢ أعضاء المجمع العلمي العربي
- ٨٤ الراحلون
- ٨٦ الأبيز شكين إرسلان للأستاذ طارف النكدي .

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٧ شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

- ٢ -

ابن حزم

(أبو محمد علي ٤٥٦)

كان جده الأعلى أول من أسلم ، وكان مولى يزيد بن أبي سفيان الأموي ، وأصل أهله من فارس . وجده الخامس خلف أول من دخل الأندلس من آباءه ، وسكن أول أمره في مدينة إشبيلية من إقليم الزاوية في عمل أوبه من كورة لبلة غرب الأندلس . وكان أبوه قرطبة ووزر للمنصور محمد بن أبي عامر . ولد علي سنة ٣٨٤ في نصر ما عرف فيه إلا النعيم والنعم في حباه وتولى النساء تربيته وربى في حجورهن ونشأ بين أيديهن ولم يعرف غيرهن ، ولا جالس الرجال إلا وهو في حد الشباب وحين تبطل وجهه ، ومن علمه القرآن ، ورويته كثيراً من الأشعار ، ودرسته في الخط ، فكانت ثقافته أرقى ثقافة يتقنها أبناء العظماء ، وما كانت المظاهر الخلابية التي شاهدها في قصر أبيه تحول دون رغبته

في التناغمي بالعلم والغرام بالأدب وما كان ذاك الثراء ليبطره فيشغل نفسه بما لا يجدي عليه في حياته . وناقش مرة أحد علماء الأندلس فقال له هذا : ان أكثر مطالعته كانت على مبراج الحراس فأجابه عليّ أن أكثر مطالعته كانت على منابر الذهب والفضة ، يريد أن الغنى أمتع لطلاب العلم من الفقر .

ولما تغلب البربر على قرطبة وعليّ في الخامسة عشرة في عمره انتقل أبوه من دورهم المحدثه بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورهم القديمة في الجانب الغربي ، ثم انتهت البربر دورهم في الجانب الغربي هذا ونزلوا فيها فخرج عن قرطبة وسكن المريّة . وقال ابن حزم انهم شغلوا « بالنكبات وباعتداء ارباب دولة هشام المؤيد ، واتمنا بالاعتقال والترقيب والاعرام الفادح والاصتار وأرذمت الفتنة والقت باعها وعمت الناس وخدّتنا » ثم نكبه صاحب المريّة بدعوى انه يسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية فاعتقل أشهراً ، ثم أخرج على جهة التفرّيب ، ثم صار الى حصن القصر ولقي صاحبه التّجيني فأقام عنده شهوراً « في خيز دار اقامة وبين خير أهل وجيران » ثم ركب البحر قاصداً بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد وسكن بها وتولى له الوزارة ثم تولّاها لهشام المعتمد بالله .

فخذ بالاجمال سيرة ابن حزم السياسية الى النقد الثالث من عمره . ولما رأى ما رأى من تقلقل الدول في الأندلس وعزفت نفسه عن أمور « الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدير الملك » أقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والانتفاع بدروس أجل رجال عصره .

تبغ ابن حزم في الأدب والفلسفة والطب والحديث والفقه والتاريخ وكان أصولياً نظاراً كاتباً شاعراً يرتجل الشعر ويبتدعه الخطب ويضع الكتب وكان « أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسيرة والأخبار » وكان

شافعيًا أولاً ثم صار ظاهرياً على مذهب داود بن علي بن خلف الاصفهاني. ومن قال بقوله من اهل الظاهر و«نفاة القياس» وتناضل عن مذهبه الجديد فقال منه فقهاء الأندلس ، وكن أكثرهم يميل الى القول بمذهب مالك ولولا ان حال صاحب المربة دون تحاملهم عليه لا وردوه حتفه واكتفوا بأن احرقوا بعض كتبه في احدى ساحات اشبيلية وحرموا النظر فيما كتب ، ولولا ان حمل بعض تلاميذه كتبه الى الشرق لما انتشرت في الآفاق . اما هو فظل على كثرة معانديه يقرأ ويقرئ ويدرس في بلده حتى مضى لسبيله .

وفي احراق ابن عباد كتبه قال ابن حزم :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضعه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائي وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من بدري
والا فعودوا في المكاتب بداءة فكم دون ما تبغون لله من مبرة
ومما عدوه عليه انه كانت « له مجالس مع اولي المذاهب المرفوضة من اهل
الاسلام » اي انه كان يجتمع الى غير السواد الأعظم ، وعابوا عليه انه خالف
ارسطو في بعض آرائه ، كان الاجتماع بالمخالف والنقد على صاحب الرأي من
الكبائر . والذي ينتقد عليه في الحقيقة انحائه على بعض الأئمة ومغالاته في رد
كل من خالف مذهبه من فرق الاسلام ، يستعمل لهجة قاسية حتى قالوا انه كان
يصك معارضة في علمه صك الجندل وينشقه متلقنه انتشاق الخردل . قالوا وكان
مما يزيد في شأنه تشييعه لأمرأ بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس
واعتماد صحة امامتهم وانحرافه عن سواهم من قریش .

قال عن نفسه معتذراً عما يبدو في كلامه من الشدة على من لم يتبع مذهبه
انه كانت به علة شديدة أصابته فولدت عليه ربواً في الطحال شديداً فولد
ذلك عليه من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والتزق أمرأ جاشت به نفسه .

وقال انه انتفع بمحنت اهل الجبل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعه واحتدم
خاطره وحيي فكره وتهبج نشاطه فكان ذلك سبباً الى تواليف عناية النفع
ولولا استنارتهم ساكنه واقتداحهم كامنه ما انبعث لتلك التواليف .

وقال عن نفسه انه جبل على طبيعتين لا يهنؤه معها عيش ابداً وهما وفاء
لا يشوبه ثلوث قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن والظاهر ، وعزرة نفس
لا تقر على الضيم مهتمة لأقل ما يرد عليها من تغير المعارف . مؤثرة للموت عليه .
فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها وقال واني لأجنى فاحتمل وأستعمل
الأناة الطويلة والتلوم الذي لا يسكاد يطيقه أحد ، فاذا أفرط الأمر وحيت
نفسي تصبرت وفي القلب ما فيه .

وقال غاضبي أهل الجبل مرتين من عمري احدهما بكلامهم فيما لا يحسنونه
ايام جهلي ، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي ، فهم ابداً ساكتون عما ينفعهم
ناطقون فيما يضرهم . وسرني اهل العلم مرتين من عمري احدهما بتعليقي ايام
جهلي والثانية بمذاكرتي ايام علمي .

كان ابن حزم يعرف كيف يحتاج المخالفين له ويبيذهم ، لأنه كان أرقى منهم
كما ظهر ، مع ما أوتي به من بلاغة اللسان وبلاغة القلم ، وحضور الذهن ، ووفرة المادة ،
وشدة الاخلاص والصدق ، ولما ضاق به مخالفوه ذرعاً لجأوا الى السلطان فما
استطاعوا ان بذلوه وهو العزيز ولا ان ينتقصوه وهو الكامل ، ولا ان يجهلوه
وهو العالم وكيف يصلون الى غاياتهم منه وهو الذي انتشرت في الأقطار كتبه
في حياته وما وضع حتى اعداؤه في رأيه ان ينكروا فضله العظيم .

ألف تآليف كثيرة بلغت نحو أربعائة مصنف تدخل في ثمانين الف ورقة
فكان أكثر علماء الاسلام تآليف يعد ابن جرير الطبري .

وانت ايها القاري العزيز اذا احيت ان تقرأ نمطاً عجيباً من رد ابن حزم
على مخالفيه وكيف يزيف اقوالهم ويشدد في حوارهم طالع « الفصل في الملل

والأهواء والنحل» وإذا شئت ان تطلع على الحكم فيما اختلف فيه الناس من أصول الأحكام في الدين فطالع كتابه الجامع « لأحكام في أصول الأحكام » وإذا سميت بك همتك الى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية الى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه ، والاشراف على احكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله وتمييزها مما لم يصح والوقوف على النقائض من رواة الأخبار وتمييزهم من غيرهم والتنبيه على فساد القياس وتناقضه وتناقض القائلين به فليكن نصفحك لكتابه « المحلى » وإذا جنحت الى تعرف حكمة العشق يطلعك بمجالس في الحب وعلم النفس على تحليل ارواح النساء والرجال وكشف اسرار الجفنين . وفي كل أولئك تدرك مبلغ ابن حزم من حرية القول وبعد التفكير وتبين درجة أدبه على ما لا يخطر ببالك صدور مثله عن مثله فاقراً كتابه البارع « طوق الحمامة في الألفة والألاف » يثبت لك من هذا ان ابن حزم لا يقول بالتقية وهو القائل : « ولا انك نسكاً أعجمياً ، ومن أدى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم المنهي عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ، ودعني مما سوى ذلك » ، ومن أحب ان يقرأ فلسفته في الأخلاق وما يصلح الجماعات والمجتمعات فليقرأ كتابه « مداواة النفوس » وهذا كتاب كله زبدة يجزي قارئه عن كثير مما كتب في موضوعه وبين درجته من الحكمة .

ذاك بعض كتبه التي تخطتها حملات خصومه فسلمت وانك لتقرأ اسناده في الشريعة فتدهش لما ترى من احاطته بأطراف كل موضوع خاض عبا به كأن مسائل الدين صفحة واحدة ماثلة امام عينه استظورها في الصغر واستخرج ايام نضج عقله وعلمه كل ما فيها من دقائق الحقائق . فكان بهذا حقاً من أعظم علماء الاسلام لم يجي في باب به بضعة رجال من عياره .

ابن حزم امام في كل شأن في الدين والحكمة والأخلاق والأدب والتاريخ وفي كل ما اتقن من علم وتمثله وألف فيه . فهو جد عظيم بملك عليك نفسك

وانت تنظر فيما شرح او بسط وحاور وجادل ، بتعاطفك بساطان علمه فتكبره
وتكبر أدبه ، ويعجبك بشدة غيرته على بث دعوته ، ويسوءك ان يسبيء اليه
مباصره وهو الذي كان كله احساناً . ومن « طوق الحمامة » تعرف اي اديب
هو ومن « الملحى » تدرك اي عالم ديني هو وتنادي لا تبالي هكذا فليكن العلماء .
ناهيك من رجل ينشأ على الفضائل الموهوبة والمكسوبة ولم يلبه ترف القصور
عن الاستغراق في معالجة صعب المسائل . ولما علم تقصيره في بعض الفروع
الشرعية وهو في نحو الثلاثين من عمره عاد فقمع مقعد المتعلم بين ايدي العلماء
يجذل ما فاتته وما يرح يتلقى عن الشيوخ حتى بلغ درجة الاجتهاد وأعظم بها .
من مرتبة لا يناها في قطره وعصره الا من استحقها الاستحقاق كله ، خصوصاً
وهو بين ظهري خصماء غير رحماء واعداً اردباء ، يحسدونه على نعمته ونعمة
آبائه وعلى علمه وعلى مكانته ورجاحته .

ابن حبان البستي

(ابو عاصم محمد ٣٥٤)

عربي اتصل نسبه بالياس بن مضر نشأ في مبيت مدينة بين مجستان وغزنين
وهراة لا يعرف عن نشأته الا ما قالوه من أنه كان مكثراً من الحديث بالرحلة
والشيوخ وانه سمع الحديث من خلائق في خراسان والعراق والحجاز والشام
ومصر والجزيرة وغيرها وقال في بعض كتبه : ولعلنا كتبنا عن الف شيخ
ما بين الشاش والاسكندرية .

ولي قضاء سمرقند ثم قضاء نسا وغيرها ثم صرف من القضاء بدعوى انه
زعم ان النبوات علم وعمل وانه صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة .
وقال بعضهم ان له أوهاماً أنكرت عليه وأنه طعن عليه بهفوة منه بدرت
ولها نخل لو قيلت وقيل ان الخليفة قتله بدعوى انه يعرف بعض العلوم الرياضية
وهو في الثمانين من عمره ! وقيل مات حتف أنفه . والأرجح ان كتابه في

القرامطة حمل افكاراً لا يرضاها السلطان فنقموا منه ما كتب ، فكان مقتله سياسياً .
كان البستي عالماً بالمتون والأسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه
غيره ، وصحبه فيه أصح من سنن ابن ماجة وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته
لأنه أدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية وكان وعاءاً من أوعية العلم في اللغة
والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلاً المعيا وكاتباً لوديعاً .
وذكر العارفين ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر
ما ترجمها به واصفوها مصنفات ابي حاتم وهي في الحديث ومنافع الأئمة ، والعلوم
 وأنواعها ، والهداية الى علم الدين . وقد سبأها ووقفها وجمعها في دار رتبها بها
جعلها لأصحابه ، وبني مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقه
وجعل لهم جريات يستنفقونها دارة . وأوصى وصيه ان يبذل كتبه لمن يريد
نسخ شيء منها من غير أن يخرجها من دارها . وتشت كتبه مع « تطاول
الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على تلك البلاد وجعل
أهلها ، فلم تغاور بالنسخ » ضاع أصلها ولم يكثر فرعها .
لم نعرف ان كان طبع لابن حبان شيء من كتبه المحررة في العلم الذي
اشتهر به في القاصية والدانية ، وغاية ما طبع له كتاب « روضة العقلاء ونزهة
الفضلاء » وهو كتاب بديع قسمه الى زهاء خمسين مطلباً ، ابتدأ كل مطلب
بحديث وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاء بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ، بحيث
يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأثير والأجير ويغني غناه في تربية
الرجال والنساء ، ببيان معجبات وتنسيق جاءت معه فضولة ذات حجم وأحدث
متوازية الفائدة آخذة من الحسن والاحسان بأوفر نصيب .
ابن حبان ينقل الشعر والنثر بالرواية على أصول المحدثين ومتطومة طبقة يتنافس
فيها ، ثم يأتي من عنده بكلام يدل على بعد غوره ولطف أدائه ، وقد يورد
في بعض الفصول قصصاً تروق وتعلم ، ويحافظ العقل ولما يجذر بصاحبه بحملته
« لأن من تجاوز الغاية يعني كل شيء خالاً الى النقص » ولا يستفيع العقل إلا

بالاستعمال كما لا تنفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأي الا بالانتحال
كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان » .

قال أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى يكون كذي رجل وليست له نعل

ومن كان ذا مال ولم يك ذا جنى يكون كذي نعل وليست له رجل

وبما حكاه قال : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي يتستر يقول : كان
لنا جار ببغداد كنا نسميه طيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال
لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : مالك
يا أبا عبد الله . قال : خير . قلت ومع الخير ، قال : امتحنت بتلك الحنة حتى
ضربت ثم عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلي موضع بوجعني ، هو أشد
علي من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لي عن صلبك : قال : فكشف لي
فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط . فقلت : ليس لي بذي معرفة ، ولكن سأستخير
عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه
فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة قال : ادخل . فدخلت وجمعت
قتيلهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجمعت أحدهم حتى أنسوا بي .
ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على
واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً وأشدهم صبراً . قال : فقلت له : أسألك عن
شيء قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم وضرب على
الجوع للقتل صياطاً يسيرة ، إلا أنه لم يميت ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً في
صلبه بوجعه وجمعا ليس له عليه صبر . قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال
الذي عالجك كان حائكاً . قلت : أيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم
ميتة لم يقلمها . قلت : فما الحيلة ؟ قال : يبط صلبه ويتوخذ تلك القطعة ويربى
بها ، وإن اتروكيت بلغت إلى فؤاده فقتله . قال : فخرجت من الحبس فدخلت

علي احمد بن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أوتفعل ؟ قلت : نعم قال : فقام ودخل البيت ثم خرج ويده مخذتان وعلى كنفه فوطه فوضع احدهما لي والاخرى له ثم قعد عليها وقال : استخر الله فكشفت الفوطه عن صلبه وقلت : أرني موضع الوجع قال : ضع اصبعك عليه فاني أخبرك به ، فوضعت اصبعي وقلت : ها هنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا احمد الله علي العافية . فقلت : ههنا قال : ههنا احمد الله علي العافية . فقلت ها هنا قال : ها هنا اسأل الله العافية . قال : فعلمت انه موضع الوجع ، قال : فوضعت الموضع عليه فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : بكائي كنت معلقاً فأحدثت . قلت : يا أبا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا علي من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم . قال : اني فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ فكرهت آتي يوم القيامة ويبيني وبين احد من قرابته خصومة ، وهو مني في حل .

ومن حكاياته ، وحكاياته على الأغلب ذات مغزى سنامي واجتماعي : انبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيخرة حدثنا محمد بن عثمان المجلي قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم بن ثوبان أن النبي ﷺ قال : « . استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأيدوا خضراءهم ، فان لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » . سمي به الى المهدي فبعث الى شريك فاتاه ، فقال : حدثت بها قال : نعم قال : عمن رويتها . قلت : عن الأعمش قال : وبلي عليه لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : انه كان مأموناً على ما يروى . قال : يا زنديق لا قتل لك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم . قال : والله لا قتل لك . قلت : أوبى كفى الله . قال : فخرجنا من عيده فاستقبلني الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع .

تهزّب اليه ؟ قلت : بلى ، قال : فانه أمر بقتلك قال : فخرجت الى جيل .
 وخرجت يوماً أتجسس الخبر فأتيل ملاح من بغداد فاستقبله ملاح آخر من
 البصرة ، فسأله ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت : يا ملاح قرتب .
 قرتب . وفي هذه القصة إشارة الى ظلم العباسيين وفي أقل منها كانوا يستبيحون
 أهلاك الناس ولذلك ما كان ابن حبان من الرضوي عنهم في بلاط بغداد على
 ما يظهر . وما أغناه انطوائه على علم غريب وخير كثير . أفاد الأمة من كل
 وجوه الاستفادة فما نال منها الا كفر ما أسدى وغمط ما أجدى .

الراغب الاصفهاني

(الحسين بن محمد مات سنة ٣٩٩ وقيل ٤٠٢)

لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرفهم لهم في القضاء والعمالات
 او تقريبهم منهم بالمناداة والتأديب والشعر دخل كبير في استفادة شهرتهم وتناقل
 آرائهم وتآليفهم . دكم من عظيم لم يتول قضاء ولا عملاً للدولة بقي على خمول
 لا يكاد يشغره ولا يعرفه غير بعض أبناء حبه ومنهم على ما يظهر الراغب الاصفهاني .
 لم يترجم له حتى باصحاب الطبقات من أهل مذهبه وغاية ما اتصل بنا من
 أخباره انه كان صاحب لغة بوعربية وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة .
 وانه حارف بعلوم الأوائل وغير ذلك وانه كانت مقبولا عند الخاصة والعامة .
 ومن أئمة السنة شافعي المذهب وقرنوه بالغزالي وقيل ان الغزالي كان يستصحب
 كتابه الذريعة ويستجيبه لنفاسه وان القاضي البيضاوي اعتمد على كتابه مفردات
 الراغب في التفسير .

تأما لئن قرأ الراغب وعلمت اخذت وكيف تقع وكيف تقع الى غير ذلك
 من خصائصه وخصايته وترسلته الخلق تقف على شيء منه فينبى الغلة وكانت اصغران
 في أيامه ، غلب العلماء والأئمة على ما كانت تسيطرته لم يخرج مذهباً من المدن

في فارس أمثالهم في كل فن ولا سيما الحديث وحفاظه على أننا لا نعرف ان كان الراغب نشأ في تلك المدينة الجميلة ام انها موطن أمرته وهو عاش في مدينة أخرى من فارس .

وكان لسان الحال نادى من غفلوا أو تغافلوا عن التنويه به في كتبهم : انكم يا هؤلاء اذا اهتمتموني فالقدرة تعلق بأن تناقل الناس كذبي وانتفعوا بها في مختلف الأعمار والأقطار . وهل يستعني طالب الوقوف على استمرار التنزيل عن الأخذ من كتابه «المفردات في غريب القرآن» وقد شاع بين الناس باسم «مفردات الراغب» ؟ وهل تسد حاجة المتنقّه بغير كتابه «الذريعة الى مكارم الشريعة» اذا أراد الجمع بين احكام الشرع ومكارمه علماً وعملاً ؟ وهل يتم أدب المتأدب اذا لم يأخذ من كتابه «محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء والبلغاء» الذي أطلق عليه الناس اسم «محاورات الراغب» تحقيقاً فاقترن باسمه على الدهر ؟ وهل المتعلم في غنية عن مدرسة كتابه «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» .

الراغب لا يتكلم عن نفسه ، بل ينقل في العلم والأدب - اللهم اذا حكمنا عليه بما بقي لنا من ممتع تراثه هذا ، وهو الكتب الأربعة السابقة - كلام من تقدمه ويضع الدساتير ويخطط الخطط ، وقد امتاز بأن العقل يتجلى في سطور ، فهو من أعظم العلماء الذين يحسنون استخراج الآي من القرآن ويوردونه عند الاقتضاء دليلاً على ما يريدون الأفاضة فيه . ومن اعظم من طبقوا الحكمة اي علم العقل على الشرع كما امتاز بتنسيق فصول كتبه وسهولة عبارتها مع بلاغتها واقتصاره في تقريره على ما يجب ان يبقى في الذهن ولا تعافه النفس لطوله ولفه ودورانه . يقول لك الراغب في المفردات «ان اول ما يحتاج ان يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات الفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون بان يريد ان يدرك معانيه

كتحصيل الآبَن في كونه من ادل المعاون في بناء ما يريد ان يبنيه وليس ذلك نافعاً في علوم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فالفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرامته وعليها اعتماد الفقهاء والحكام في أحكامهم وحكمتهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ...»

ويقول لك في الذريعة انه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان بوصف بكونه خليفة الله تعالى المعني بقوله تعالى اني جاعل في الأرض خليفة ، وبقوله تعالى ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وبقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وان خلافة الله عز وجل لا تصح إلا بطهارة النفس كما ان اشرف العبادات لا تصح الا بطهارة الجسم .

ويقول لك في تفصيل الشائتين ان العقل ان يهتدي الا بالشرع والشرع لا بتبين الا بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء. ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه . وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت قال الله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء » والله هو الهادي وأيضاً فالشرع عقل من خارج العقل شرع من داخل وهما متعاظمتان بل

متحدان ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله : صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فسوى العقل ديناً ولكونهما متحدان قال « نور على نور » اي نور الشرع ونور العقل ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء . فجعلهما نوراً واحداً فالشرع اذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع » .

بيننا يقول لك هذا اذا به في محاضراته اديب لا يتورع عن نقل كل ما ندعوه بالأدب الواقع أو المكشوف في جملة ما ينقل من فرائد الشعر وبتيمات النثر هو هناك اديب على أكمل وجه عرف به اديب ويقول « ومن لا يتحلى في مجلس اللهو الا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو مهيبة مهملة ومن لا يتبع طرفاً من الفضائل المخلدة من السنة الأوائل كان ناقص العقل . ويبدأ كتابه بباب العقل والعلم ، فهو معلم صادق في كل ما كتب لا يجب التزم ويبعد عن التقيّة ويلقنك ما يعتقد صحته وفصاحته بدون مواربة .

كتب كتابه هذا لأمر من أولئك الأمراء على ما يظهر وخاطبه بسيدنا عمر الله بمكانه مراتب الكرم ليكمل هذه المحاضرات « صيقل الفهم ومادة العلم » لأنه كان من سلك في زمانه طريقاً قلّ سالكوه جعل مراعاة الأدب شعاره ودثاره » .

هذه نتفة من سيرة عظيم الشرع وثابغة العقل ولم نعرفه إلا كما عرفنا أكثر العلماء ، مثلهم لا عيننا كباراً من أول يوم وما وقفوا على بيوتهم ونشأتهم ودراستهم وشيوخهم ومعاشرهم وصفاتهم وما وقع لهم من الأحداث في حياتهم مما كانوا لا يرون فيه كبير أمر ومن لا تتصور الرجال الا به .

محمد كرد علي

شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لا للمكبري

- ٢ -

أحوال شارح الديوان

لقد استبان مما بسطناه من أدلة النفي - أعني نفي أن يكون الشرح المنسوب إلى المكبري من تأليفه - أنه كان من أهل الموصل أو طالباً للعلم فيها وأنه قرأ ديوان المتنبي على عالم الموصل أبي الحرم مكي بن ريان الماكسني وأنه كان بصيراً لا ضريباً وينسخ بخطه من كتب النحو والأدب وأنه انحدر من الموصل إلى بغداد ورأى في طريقه بامراً مشهد المهدي محمد بن الحسن العسكري وأنه دخل الكوفة ثم درس بالشام على ضياء الدين نصر الله بن الأثير ، ثم بمصر على أبي محمد عبد المنعم بن صالح التخوي المتوفى سنة (٦٣٣) وقرأ عليه ديوان المتنبي . فهذه الأحوال هي التي بحثنا على أن نحسب الشرح لشرف الدين الحسين بن إبراهيم الأربلي ، ولكنها في الحقيقة لم تتوفر فيه لأننا لم نجد من ذكر أنه درس على الماكسني ولا على عبد المنعم الاسكندراني ، ولا فعل كذا وكذا مما هو منسوب إلى الشارح بقلمه وإشارته ، فإن سقط اسم شرف الدين من الترجيع فعلينا أن نبحث عن أدباء أوائل القرن السابع الذين تدخل في الامكان نسبة شرح الديوان إلى كل واحد منهم وهم :

(١) - شهاب الدين أبو طاهر وأبو الفداء وأبو المحامد اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي القوصي ، المتوفى سنة « ٦٥٣ » ذكره ابن العديم الحلبي في تاريخ حلب وقال « جمع معجماً لشيخه في مجلدات أربعة » وذكر الذهبي

أنه روى عن أبي الحرم مكي بن ريان الماكسني المذكور قبل ذلك ولكن لم يذكر لنا أحد أنه ألف في النحو ولا اشتغل بديوان المتنبي إذت تسقط استجازة نسبة الشرح إليه .

(ب) — أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلی مؤلف « عقود الجمان في شعراء الزمان » و « ذيل معجم الشعراء » الذي للمرزباني قال الحاجي خليفة « عقود الجمان في شعراء الزمان : لأبي البركات مبارك بن أبي بكر ابن الشعار الموصلی المتوفى سنة (٦٥٤) أربع وخمسين وستائة وهو مجلدات » ثم قال « معجم الشعراء للشيخ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ٠٠٠ وذيله أبو البركات مبارك ابن أبي بكر بن الشعار الموصلی المتوفى سنة « ٦٥٤ » أربع وخمسين وستائة ومما تحفة الوزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء ^(١) ٠٠٠ »

وذكره اليافعي في تاريخه ومؤلف غربال الزمان في وفيات الأعيان ، قال في وفيات سنة (٦٥٤) :

« وفيها الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلی مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان ^(٢) » وزاد عليه ابن العماد أن وفاته كانت بحلب ^(٣) . ولم يُشر أحد الى أنه ألف في النحو ولا في شرح شعر المتنبي ، فكيف نستجيز نسبة شرح هذا الديوان إليه ؟

شراح الديوان ابن حمدان الموصلی

لا سبيل لنا إذن سوى الرجوع الى شرح الديوان مرة ثانية فإن الله تعالى قد أعان علي أن يُعرف صاحبه وللعون علامات ، فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي :

(١) والظاهر أن له « مختصر طبقات الشعراء » لابن المعتز وذيلها في خزائن الاسكوريال بامبانية ، برقم ٢٧٩ من فهرست درنبرغ - Derenbourg , Les Mes arabus de l'Escurial , 1 , 177 , no . 279 (٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢ ص ٦٠٦ (٣) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٦

تتقاصر الأنفهام عن ادراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا قوله «قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة «مثل» بالرفع^(١)» . فالشارح إذن هو هذا العالم الذي أثبت امم نفسه في آخر الشرح على التقريب ، وإذا أتى القاري الكريم على ترجمته — على ما نحن ذاكره — يرى أن الشرح لا تصح نسبته إلا إليه ، لما في سيرته من استلزام تلك النسبة وما في علمه من استحقاقها وسيظهر له أنه درس على أبي البقاء المكبري — كما أشرنا إليه — وهو في سلسلة اسمه (عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان ابن حماد بن علي الربيعي الموصلّي النحوي المترجم الامام العلامة) ، أحد أذكى العالم الاسلامي بل الدنيا ، ولد بالموصل سنة (٥٨٣) أو قبلها وبها أمضى أيام الصبا ، ودرس الأدب على أبي الحرم مكّي بن ريان الماكيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي^(٢) ، وارتحل الى بغداد — كما كانت طلاب الأدب والحديث يفعلون — ومراً بمدينة سامراء ، وكانت قد انتعشت في تلك الأيام كسائر مدن العراق على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي^(٣) ، وأدرك ببغداد محب الدين أبا البقاء عبد الله المكبري النحوي الذي نسب اليه شرح ديوان المتنبي المذكور ، وهماً أو افتعلاً ، فأخذ عليه ، ومال الى الزهد والعبادة — على قول بعض المؤرخين — وكتب لنفسه فيما كتب جزءاً من كلام المشايخ والعارفين وسمع الحديث من أبي محمد عبد العزيز الجنازدي المعروف بابن الأخضر الحنبلي وعبد العزيز بن منبنا وهو مشهور أيضاً ، ويحيى بن ياقوت وعلي بن محمد الموصلّي وبرزغش عتيق ابن حمدي وجماعة ، ودرس فنون الآداب وأولع بحل المترجم والألغاز ، ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة ، ودخل حلب وكانت

(١) الشرح ج ٢ ص ٢١١ - (٢) قدمنا الاشارة الى ذلك في قلنا بعض خطبة شرح الديوان

(٣) ذكر خصب البلاد وخيرها في أيامه الأديب الكبير ابن جبير وقال فيه «وهو ميمون

النقية عندهم قد استمعوا بآيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له» .

(رحلة ابن جبير ص ٢٠٦) من طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٨ م

ملتقى العلماء والأدباء وطلاب الحديث في أوائل القرن السابع وأجاز له العلامة الكبير تاج الدين الكندي ، وكانت يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتاً الحموي ، قال ياقوت :

« كنا بحضرة القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن ابراهيم الشيباني — حرس الله مجده — وفيه ^(١) جماعة من أهل الفضل والأدب فقال أبو الحسن علي بن عدلان النحوي الموصل : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عذبن الشاعر وزير المعظم فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى ، فارغة من فائدة فألقاها إليّ قائلاً : هل رأيت قط رقعة أسقط أو أدير من هذه مع طول وعرض ؟ فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعت أخاطبه ، فأولاً إليّ بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدني لنفسه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صدري الجمول لمولاً

كنهار المصيف ثقلًا وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولاً

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة وعجبوا من حسن المعنى ، فقال القاضي الأكرم : ما زلت استحسن كلاماً وجدته على ظهر ديوان الأعشى في مدينة قنط في سنة « ٨٥ » ^(٢) ، يتضمن لأبي العلاء الميري ^(٣) يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة ضدًا بضد في موضعين ولعل هذين البيتين بفضلان على ذلك » .

ولقي عفيف الدين ابن عدلان شمس الدين ابن خلكان وصاحبه ، ولقي جماعة وافرة من الأدباء والشعراء ، ثم قصد الى الديار المصرية ودرس على عبد المنعم ابن صالح التيمي الإسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي . وصار علامة في الأدب واحة العرب ، حاذقاً في حل المترجم والألغاز ، متفرداً فيه ، وألف كتاب « عقلة المجتاز في حل الألغاز » وكتاباً في « المترجم » صنفه للملك الأشرف

(١) كذا قال وكأ ، أراد « كنا يجلس القاضي ... وفيه ... » (٢) أي وخمسة

ف تكون السنة ٨٥٠ (٣) قال طابع المترجم التاريخي « له سقط : شعراً »

موسى بن العادل الأيوبي ، ولت في القاهرة بقري' الأدب والنحو ويسمع الحديث اسماءً قليلاً ، حتى تصدر بجامع الصالح بها ، وطار صيته واشتهر علمه وقصده من طلاب الحديث شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي وسمع عليه ، وذكره في معجم شيوخه ، قال : قرأت على الشيخ الفاضل أبي الحسن علي بن عدلان النحوي ، أخبرك ابو محمد عبد العزيز بن محمود الحافظ قراءة عليه - ثم ذكر سنده بتمامه - قال رسول الله ﷺ « من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار » . قال الدمياطي أنشدنا ابن عدلان الموصلی لنفسه بالقاهرة :

حيّ عصرًا مضى بدار السلام فعليه تحيتي وسلامي
أبقتني ذكراي طيب ليالي (م) كأنني قضيتها في المنام
كم حلينا به من اللهب درأ وشربنا السرور شرب المدام
في دجى ليلة تبسم فيها (م) لمهو حتى انجلي عبوس الظلام
فصرت طولها الخلاعة فالـ (م) اعة منها طالت على ألف عام
وروى عنه الختني وابن الظاهري ، ومن شعره أيضا :

لا تعجبن إذا ما فأنك المطلب وعود النفس أن تشقى وأن تتعب
إن دام ذا الفقر في الدنيا فلا تعجب مات الكرام وما فيهم فتى أعقب
وألفت ابن عدلان ذلك الشرح الكريم البارع الجسيم لديوان المتنبي^(١) وهو يدل على أنه كان عالماً نحريراً وأديباً كبيراً - على التحقيق لا المبالغة - وألف أيضاً في النحو « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » وكنا ذكرنا أنه جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ الصوفية ، وتوفي ابن عدلان بالقاهرة يوم الجمعة بعد العصر ، وكان اليوم العاشر من شوال سنة (٦٦٦) هـ

(١) سماه « التبيان في شرح الديوان » ونحو ما أخذ من تسمية شيوخه أي البقاء الكبير لا عراب القرآن بالتبيان في اعراب القرآن .

ودفن من الغد بسفح المقطم ، وقيل كانت وفاته في التاسع من شوال ، قال ابن خطيب الناصرية : لعله دخل حلب أو عملها والله أعلم . قال مصطفى جواد كاتب هذه الترجمة : قد أثبتنا أنه دخل حلب ولقي القفطي وياتوتا بها .

أخبار ابن عدلان الموصل وأثره

إن الذي ذكر أن ابن عدلان الموصل جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ والعارفين هو كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي قال « نقلت منه الى هذا المختصر : لا تكونوا بالمضعون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين » ومن كلام الفضيل : لا يسترى قلبك حتى تبالي من أكل الدنيا (كذا) وأنشد :

لا تبخلن^١ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف

فان توات فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلفها .

وحكي أن ابن عدلان اجتمع هو وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الشهير بالجزار المصري فقال أبو الحسين « عندي تفصيلة صوف عرس » . وبالغ في وصفها بالحسن ، فقال ابن عدلان : عطينها . فلما عاد الجزار الى منزله سبىها اليه وكتب معها : لو أنها عرس لأرسلها فكيف بالتفصيلة العرسي .

ولا تقل ليس له غيره فانت مأموت على عرمني

فلما اجتمعا بعد ذلك قال ابن عدلان له : كيف تقول « وانت مأموت على عرمني » ؟ فقال الجزار : من وجهين أحدهما أن لقبك « عفيف الدين » والثاني أنك من الموصل^(١) . فقال العفيف : نسخت بالكلام الثاني حكم الأول .

وقال ابن خلكان « حكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النخوي المترجم قال : سألت شرف الدين أبا الحسن محمد بن عنين الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى عن قوله :

(١) أشار بذلك إلى ما اتهم به أهل الموصل من خلة الميل الى النساء ، وهم كثيرهم في مثل هذا الأمر .

سقى الله أرض الفوطيين ولا ارتوت من الموصل الحدياء إلا قبورها
ولم حرّمها وخصّ قبورها؟ فقال لأجل أبي تمام . وهذا البيت من قصيدة
لابن عنين المذكور مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن
الملك العادل بن أيوب .

وقال ابن خلكان في ترجمة صلاح الدين الأربلي « كتب إليه شرف الدين
ابن عنين الدمشقي كتاباً من دمشق إلى الديار المصرية — قال لي صاحبنا
عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصلّي : إن هذا الكتاب
كان على يديه وتضمن الوصية عليه — وفي أوله :

أبتك ما لقيت من الليالي فقد حصّت نوائها جناحي
وكيف يفيق من غمت الرزايا مريض ما يرى وجه الصلاح ؟ ! » .
وقال في ترجمة نجم الدين المنجنيقي « وما زلت مشغولاً بشعره مستعذباً أسلوبه
فيه واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين
أبو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلّي فانه أنشدني له شيئاً كثيراً
فمن ذلك قوله :

كلت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرباط
وعدت إلى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالين من قصد حائط » .
وذكر عدة أناشيد أنشدها إياه ابن عدلان المذكور أكتفينا بأحدها .
وقال ابن أبي أصيبعة في ترجمة مذهب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي
ابن هبل الطيب : « وحدثني عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان ^(١) النحوي
الموصلّي قال : كان الشيخ مذهب الدين ابن هبل من بغداد وأقام بالموصل ثم
بخلّاط عند شاه أرمن صاحب خلّاط وبقي عنده مدّة وحصل من جهته من المال
العين مبلغاً عظيماً وقبل رحيله من خلّاط بعث جملة ماله من المال العين إلى الموصل

(١) في الأصل « عدنان » وكذلك في فهرسته وهو خطأ

الى مجاهد الدين قياز الزينبي وديعةً عنده وكان ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار، ثم أقام ابن هبل بماددين عند بدر الدين لؤلؤ والنظام الى ان قتلها ناصر الدين ابن ارتق صاحب مارددين وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بأمر ناصر الدين، وعمي مذهب الدين ابن هبل بماء نزل في عينيه عن ضربة وكان عمره إذ ذاك خمساً وسبعين سنة ثم توجه الى الموصل وحصلت له زمانة فلزم منزله^(١) بسكة ابي نجيج، وكان يجلس على سرير ويقعده كل أحد...» .

وكان بينه وبين ابن خلكان وآخرين 'محاكاة' و'مدعاة'، وقد كتب اليه المذكور لغزاً في سوس الطعام أوله :

أيها العالم الذي فضل العا (م) لم فضلاً وسؤدداً وذكاً،
وكتب اليه لغزاً في سراج أوله :

أيها العالم الذي صار حبراً عارفاً
والذي موضحاته يجتليها عرائسا

فكتب اليه عفيف الدين ابن عدلات :

أيها الحاكم الذي قام للدرس حارساً
يا ملاذي سررتني بعد أن كنت عابساً
شرح الصدر لغزك (م) مستنير الحسادسا
أنت والله وصفه لأمري كانت قابسا
صحف «الشرح» لفظه لا تصحفه عاكسا
فهو من مركب الرجا (م) ل إذا كاتب فارسا
وهو ان زال ربه فهو يهدي الوسواسا
جاءني بعد هجمة لم يخف فيه حارسا
فأقل عثرتي إذا كان مائت هاجسا

(١) قال في أول ترجمته إنه من بغداد وأقام بالموصل فله اشتري المنزل في ليله الأولى .

وكتب ابن عدلان من دمشق الى ابن خلكان بالقاهرة لغزاً في القطائف
المحشوة والمقلوبة^(١) :

أحاجيك يا قاضي القضاة ومن سمعت به المهمة العليا الى المنصب العالي
ومن قد غدا في كل فن مبرزاً على كل حبر كان في الزمن الخالي
وأوضح بالفكر اللطيف غوامضاً غدت نزهة مايتنا ذات أشكال
« بمطوية طي القباطي » غذبت « لذ » غذاء ثم « علت » يجربالـ
وأخت لها من جنسها هائم بها جميع الوري لكن لها واحد تالي
وقال ابن عدلان « أنشدني اسمعيل المسعول الذي ينسب الى صلاح الدين
الاربلي - رحمه الله - :

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقاه قصيراً وان قبضوه تبصره طويلاً
فقلت : هذه شبكة صياد طيور . فأخذ « يباهت » ، فقلت : قد تركته ولا يلزمه
أكثر من هذا . فأخذ في المباهمة ، فقلت : هذا في خركه^(٢) . فاعترف أنه هو .
وكتب اليه ناصر الدين ابن النقيب لغزاً في « سيف » :

يا عفيف الدين يا من رق في الفهم وجلال
والذي سموه في الناس علياً وهو أعلى
يا اخا الفضل الذي فيه لنا القدح الأعلى
أي شيء طعمه من ر وان كانت « على
وهو شيخ لا يعلي ولكم بالضرب صلي
ماله عقل وكم من ه استفاد الناس عقلا

(١) وذكر أن البيتين الآخرين من اللانز لابن عنين (٢) في الأصل « جركه » وال
الصواب « خركه » الذي ذكرت وهي ضرب من الخيم المدورة ومنهم من يسميها « الخرقاة »
قال الفيومي في ق ب « القبة من البنيان معروفة وتطابق على البيت المدور وهو معروف عند
الزمالك والأكراد ويسمى الخرقاة » .

جفنه من غير سهد ما يذوق الثوم أصلا
 وهو لا يحسن قولاً وهو قد يحسن فعلاً
 وهو ان تعكسه « قد س » فصحيحه وإلا
 وهو مطبوع نحيف عندما يلتقك بسلا
 ولكم بدء جمعاً ولكم شئت شملاً
 ولكم قند سبق العذ ل وكم قطع وصلاً
 فأين عنه بأجلى منه في اللفظ وأجلى
 وأبق في ابوان عنة وبناء ليس ييلي

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذي نا ق جميع الناس فضلاً
 والذي وافق في الامم بـم الذي وافق فعلاً
 والذي أ شمارهُ أش هـ من الجلي وأجلى
 هو حلو في ثم النسا س وفي العينين يحلى
 إن تسلي عن رفيق لك منجلي حين ييلي
 هو أنثي في زمان ويرى في ذلك فعلاً
 يشرب الماء ولا يأ كل الآ اللحم أكلاً
 والندی يؤذيه والنسا ر له الف فيصلي
 وهو يعني العين لاش لك متى ما كان كلاً
 محرم في كل وقت ما رآه للناس فعلاً
 أعجبي وفصح جمع الوصفين كلاً
 وهو كالمرآة يبيدي مثل رأي الشكل شكلاً
 ولموقع يرقه الخلاء ب لا يعطر وبلا
 وعليه أبداً الدهر ر ذياب - ما تولى
 وهو مثل الناس في النشأ تاء فمد قد كان طفلاً

وُرى شرحاً وشيخاً بعد ما قد كان كهلاً
سبق التصحيف ذا لشي شنف الآذان أحلى (كذا)
قلت لما جاءني أهلاً بذا اللغز وسهلاً
لغز كالشمس قد دقت معانيه وجلاً
وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب المذكور :
تالله ما العيد عندي ثم غبت عني عيدُ
وهل يسرُّ بعيد من أنت عنه بعيدُ
إني إذا ما اجتمعنا بعد الشتات سعيدُ
مولاي تبديّ الفل ثم أنت تعيدُ
فكتب ابن عدلان الجواب :

ما ذلك اليوم عيدُ بل ألف عيد وعيدُ
إن كان لي منك وعد فليس يُخشى وعيدُ^(١)

فحقيف الدين ابن عدلان كان من مفاخر العالم العربي وأكابر علمائه وأدبائه
ومن كبار من جمع بين ثقافات البلاد العربية الثلاث : العراق والشام ومصر
فعلينا أن نمجد ذكره أحسن التمجيد لأنه كان من رؤسل الثقافة العربية وفضلاء
علمائها وأدبائها وأذكياء العالم . (بغداد) مصطفى حور

(١) مراجع ترجمة ابن عدلان هي «أصول التاريخ والأدب مج ١٦ ص ١٩٣» قلاً من المنهل
الصافي ومج ١٧ ص ١٤ قلاً من الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة ومج ٢٣ ص ١٢٥ قلاً
من الدر المنخب في تسكلة تاريخ حلب ، ومج ٢٤ ص ١٩٤ قلاً من تاريخ الاسلام للذهبي
ومج ٢٧ ص ١٤٦ قلاً من معجم الألقاب ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٣ ، ١٣٣ ، ج ٢ ص ٥٥٥
من طبعة المعجم ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٢١٤ وعيون الأنباء ج ١ ص ٣٠٤ وفوات الوفيات
ج ٢ ص ٥٩ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٦ وبنية الوعاة ص ٣٤٣ وأشار إليه الخونساري في
روضات الجنات ٤٥٢ بأنه - أعني حقيف الدين ابن عدلان - غير حقيف الدين عبد الله الباضي
وذكر أن الصفدي ترجمه في الواقى بالوفيات وبما ذله على تاريخ ابن خلكان وتل من ذلك
الكتاب صدراً من أخباره وأثاره .

الخيل والابل في الشعر الجاهلي

من جملة الأسباب التي أعانت الإنسان على التقدم في ميدان التفكير والحضارة تقدماً سريعاً أنه استطاع أن يتفهم نفس الحيوان ، ويتعاون معه في ميدان العمل والرياضة والاهو . ولقد عرف تاريخ البشرية كثيراً من النفوس الكريمة عاشت متعلقة بالحيوان أشدّ التعلق كما عرف تاريخ الآداب العالمية عدداً حافلاً من غرر النظم والنثر في وصف الحيوانات المختلفة ومتعها الهنيئة ^(١) .

والأدب العربي - ولا سيما الجاهلي منه - زاخر بوصف الحيوان الأليف وسباع البر . والقصائد العربية المخصوصة بالحيوانات تعدّ من أجمل الشعر وأظهره جدّة وطرافة وحياة . ولعلّ ما يميز الأدب العربي - ولا سيما جاهليّه - من سائر الآداب العالمية الأخرى أنه عني بوصف الخيل والابل عناية عجيبة ، وجعل الحديث عنها ملء القصائد والأسماع والأحاديث . وبذهب الأستاذ المستشرق آ . ج . آدري ^(٢) إلى أن ليس في آداب العالم أدب وصف الخيل والابل ومدحها مثل ما وصف أدب الجاهلية ومدح : وليس شيء أدل على صحة هذا القول من أن ينظر المرء في الشعر الجاهلي : في المعلقات والمفضليات والأصمعيات والجماسة وما استدرك في كتاب (الاختيارين) ^(٣) وغيرها من الكتب التي حفظت في بطونها تحف الجاهلية ليراها حافلة بوصف المطايا وامتداح الجياد الكريمة والنجائب . بل كانت وصف المطية ركناً ركيناً في بنيان القصيدة

(١) نشرت مكتبة D. G. Barnes في لندن مجموعة شعرية عنواناتها (Lords of Life)

تحتوي غرر القصائد المقتولة في وصف الخيل في التحسين طاماً الأخيرة . (٢) أستاذ الأدب

العربي والأدب الفارسي في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن . (٣) طبع السيد معظم

خسب نخبة من هذا الكتاب مشروحة وترجمها الى الانكليزية ونشرها في دهلي عام ١٣٥٦-١٩٣٨

الجاهلية . ولعل سير الخيل والابل هو الذي أوحى الى العرب بأوزان الشعر وكان - بانتظامه ورشاقته - (ضابط الإيقاع) لأغانيهم وأشعارهم ، ولعل « كثرة الشعر الجاهلي - كما يرى سيد نوفل ^(١) - قد قيلت على ظهور الابل والخيل وسط الطبيعة » .

ولم يضعف الاسلام هذا الميل الجاهلي بل رعاه وزاد في إعزاز الخيل وأمر باتخاذها وإكرامها ^(٢) . والأحاديث المروية عن الرسول الكريم (ﷺ) في خلق الخيل ^(٣) والأساطير التي نجمت عنها ^(٤) تدل على شغف العرب بالخيل وحرصهم على أن يجعلوها عريية المنشأ والموطن والجنس والدم . ولم يغتر الشعراء والكتاب في العصر الأموي والعصر العباسي والمصور التوالي عن وصف الخيل والابل . وقصائد البحتري العديدة في وصف الأفراس هي من الحسن والدقة والرواء بحيث تستحق دراسة خاصة .

(١) راجع : شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل . مصر ١٩٢٥ . (٢) جاء في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٣٥١) أن الرسول (ص) قال : إن المنق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها . (٣) جاء في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٣٥٠) أن النبي (ص) قال : لما أراد الله أن يخلق الخيل أوحى الى ربيع الجنوب إني خالق منك خلقاً فاجتنبني . فاجتمعت فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل له : هذه قبضتي . ثم خلق منها فرساً . كعباً وقال عز وجل : خلقتك فرساً وجعلتك عربياً وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصرتك . (٤) روى الدميري (ج ١ ص ٣٥٢) عن ابن عباس أنه قال : لما أذن الله لابراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى : إني مطيعكما كنزاً ادخرته لكما ثم أوحى الله الى اسماعيل أن اخرج الى أحياد فادع يأتك الكنز . فخرج الى أحياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها ، وذلكما . الله تعالى له . قال الدميري : ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك وشرخناه يطوله لطال . فقد تكلم الناس في ذلك كثيراً وذكروا من خواص الخيل ومناضها شيئاً كثيراً ليس ذلك كله مما نلزم صحته .

ونحن في هذا المقال إنما نجادل أن نمتحن (أولاً) العاطفة التي ألفت بين قلب العربي والحيوان ونوازن بينها وبين عواطف الأمم الأخرى التي أحبت الحيوان وأكرمته ووصفته ، لنبرز التشابه من عناصرها (أي العام الذي تشترك فيه كل النفوس البشرية) من الأصيل المميز لروح العرب ، انخاص بهم ، ونشير (ثانياً) الى الأسباب التي نظنها قد جعلت الأدب العربي يبتذ كل الآداب الخصبية الأخرى في الألهج بالخليل والابيل ووصفها وإطراء محاسنها .

لا ريب في أن منافع الحيوانات من أهم ما جعل العربي 'يعني بها' ويصرف إليها أكثر هممه . وقد جاء في القرآن الكريم « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب ، أفلا يشكرون ؟ » وقالت العرب : إن الله لم يخلق نعماً خيراً من الابل ، إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حلبت أدرت ، وإن نُحرت أشبعت ^(١) . والخليل كذلك كانوا يشربون ألبانها ويأكلون لحوبها ، غير أنها كانت 'تعد' — أكثر مانعة — للحروب والغزو والكر والفر وإرهاب العدو والقتل والاهو ، وبخاصة للعدو السريع الذي يقرب بين المسافات الشاسعة القاحلة الظامئة التي كانت تفصل مضارب القبائل بعضها عن بعض ، ويجعل مواقع الغيث ومنابت الكلا في متناول العربي حيث كان . وهذا ما حمل الشاعر الجاهلي على أن يفخر — بوجه خاص — برشاقة جواده وضموره بطنه وقوته وسرعة عدوه فيشبهه بالطائر يطير بلا جناح ، وبالكوكب المنقض وبقيد الأوابد . قال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجود قيد الأوابد هيكل
وقال الأخنس التغلي يصف فرسه ^(٢) :

(١) نهاية الأرب للنوري ج ١٠ ص ١١٥

(٢) نخبة من كتاب الاختيار ص ٥٥

تواعدني إذا ماشئتُ عنهم وتدينني إذا كرهوا اقترابي
وتصدرني كما قد أوردتني كآني بين خافيتي وعقاب
واقبتاء الحيوانات لمنفعتهم امر شائع بين الأمم وما تزال أشد الأمم حضارة
تعنى بالخيول والحررة والكلاب وبعض الأسماك والطيور وبعض الحيوانات الأخرى
لما يجنيه منها من نفع وفائدة .

غير أن هذه الأمم المتحضرة قد تعنى بالحيوانات وهي مسوقة برغبة أخرى
غير اجتناء المنفعة ، رغبة اللهو والزينة والترف . وقد عرف العرب هذه العاطفة
وزادوا تعلقاً بالحيوان . وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع عدة .
قال تعالى : والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون . وأشار امرؤ القيس الى ذلك فقال :
كآني لم أركب جواداً للذة ولم أبتطن كاعباً ذات خلخال

والولع بالحيوان من حيث هو متعة وزينة وسبيل للهو غير الولع به ولعاً
(مجارياً) . لأن هذا الضرب الأخير لا يصدر عن الصدق والحاجة وهوى النفس
بل هو شغف منحرف تسميه اللغات الأوربية (Snobisme) وهو أب تمنع
ودك من لا تريد لأنك لم تجد من تريد ، وتهوى الشيء وهو اك غيره . وإنما
يفعل أكثر الناس ذلك ليروا أنهم لبسوا من المقصرين المتخلفين في هذه الحياة ،
وأنهم كأمثالهم في العاطفة والسلوك . فالبنت الصغيرة تمنع ودها الشديد لتعطيتها
أو كليها أو لعبتها لأنها لم تجد في أهلها (المنهمكين في شؤونهم) من يبذل
لها كل الود الذي تريد . وحبها هذا - على قوته - مموة مزيف . والقطعة
والكلب واللعبه ليست في واقع الأمر ، الشيء الذي تهوى ، وإنما هي عوض
وبدل من الشيء الذي تهوى . هذه العاطفة المموة ، هذا الولع (المجاري)
من أقوى العناصر المقومة لولع الانسان بالحيوان لدى أكثر الأمم في العصر
الحاضر . فتمت كل نجم نجم من يبذل عاطفته للحيوان لأن أمراً ما حال بينه

وبين أن يذلها للانسان . وشغف الصغار بالحيوانات معروف ، وحب النساء العقم
أو المتزلات للقطط أو الكلاب أو الطيور أو الجياد مشهور : يخصصنها بالاعتناء ،
ويحبدن عليها حذب المرضعات على الفطيم . وعناية الرعاة (المتفردين) وأهل البر
(المتعزلين) بحيواناتهم شديدة الظهور تسترعي الأنظار . وتعلق الجنود (البعيدين
عن منازلهم) بخيولهم ، ومنحهم ايها الود الشديد والعاطفة المشبوبة وحزنهم عليها
وغمهم إما جرحت أو قُتلت يكاد يكون مضرب الأمثال ^(١) .

والولع المجاري أو (السوبزم) من جملة البواعث التي زادت — على ما يبدو —
تعلق بعض عرب الجاهلية بإبلهم وخيولهم ، ودعتهم الى أن يحرفوا اليها ما تدفق
من عواطفهم إحياء . فالقاري^١ لا نزل الجاهلي يجد أن العاشق المشبوب العاطفة ،
الخافق القلب لذكر الحبيب كان يجد في التزمة في الفلاة على ظهر فرسه أو
ناقته مفرجاً لضيق صدره ، ومسلّة لأجزائه ، وإمضاء لهوميه . قال طرفة :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي .

وقال علقمة الفحل :

فإنك لم تقطع لبانة عاشق بمثل بكور أو رواح مؤتب
وامرؤ القيس الذي اشتهر بوصف الخيل والإبل كان يشكو تنكر الصحاب
وبتهمهم بالتغير والخيانة :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيت وفرت به العينان بدلت آخر
كذلك دأبي : ما أ صاحب واحداً من الناس إلا خائني وتغيرا
وقد يفسر هذا الباعث النفسي طريقة بعض الشعراء الجاهليين في نعت الخيل
والإبل بصفات المرأة أو الصديق كقول امرئ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دُبر

(١) جل أحد الكتاب الأمريكان تعلق الجنود ببيادهم حتى أنهم لا تطيب لهم الحياة إذا
مات موضوعاً لرواية أخرجتها دور السينما وعرضت في سورية في العام الماضي .

وقول عمار بن صفوان في وصف مطيته :

مشت مشية الخرقاء مال خمارها وشمر عنها ذيل يرد ومنطق
تقارب للأصوات أذنًا سميمة وتسمو بعيني فارك لم تطلق

وقول امرئ القيس :

وخرق كجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان
يدافع أعطاف المطايا بركنه كما مال غصن ناعم بين أغصان

وقول عنزة :

فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم
لو كان بدري ما المحاورة اشتكى ولكن ، لو علم الكلام ، مكلمي^(١)

ويرى الأستاذ (آري) أن شعراء الجاهلية كانوا في الغالب ينعتون الخيل بصفات الصاحب والصديق المحارب ويخصون الابل بصفات النساء .

إن قراءة الشعر الجاهلي لتدلّ لاشك على أن (الولع المجاري) كان - في الجاهلية - من جملة البواعث لعطف العربي على الحيوان وتغنيه بوصفه . لكن هذا العطف الجاهلي هو من القوة والعمق بحيث يستبين للقارئ - في الوقت نفسه - أن هذا الباعث وحده عاجز عن خلق هذا العطف المتقدم المتصل بل ان (المنفعة) و (اللهو) و (الزينة) و (الولع المجاري) جميعاً لا تكفي لتعليل شدة اتصال العربي بخيله وإبله ، وحبه لها ، وتلذذه بتصويرها . إن العاطفة القوية التي تستمد في القصائد المتولة في الخيل والابل إنما تصدر - فيما نظن - عن باعث آخر غير كل ما ذكرناه ، باعث أصيل في نفس العربي ، فطري في طبعه ، لا يشاركه فيه غيره من بني الناس ..

هذا السبب الأصيل الذي قد يكون أشد البواعث وأقواها أثراً في إذكاء

(١) وقال البحتري في العصر العباسي :

ملك العيون فإن بدا أعطينه نظر الحب الى الحبيب المقبل

هوى العربي لجواده ونافته شديد الاتصاف بعصره : عصر الجاهلية ، شديد الاتصال ببيئته : صحراء الجزيرة .

كان العربي في الجاهلية وثنيًا لا يؤمن بانفصال النفس عن الجسد ، ولا يقسم (وحدته) الى روح خالد وجسد فان يزدرية الروح ويعاديه . كان لا يؤمن بالبعث ولا يتطلع الى ما وراء القبر ، معنيًا بالزمان الحاضر يسعى فيه الى التلائم مع بيئته الطبيعية القاسية ومجتمع البدوي البدائي . وكانت (مثالية) الحياة في عينيه إحسان هذه الملائمة ؛ وكان يراها لا تتم الا بنمو كل قواه الجسدية والنفسية جميعًا دون أن يشطر (وحدته) شطرين ودون أن يفضل ميلًا على ميل أو غريزة على غريزة . والوازع الأخلاقي الضابط لأعماله هو التكيف بحسب مقتضيات المحيط والساعة الحاضرة لا الحساب والعقاب في اليوم الآخر . فهو شديد البطش جبار في الحروب لأن الحروب تتطلب ذلك . وهو ناعم رقيق القلب إذا رأى المحبوب لأن الهوى يدعو الى ذلك . هذه العقلية الوثنية الصحراوية التي تعيش في الحاضر ولا تفرق بين الروح والجسم جعلته "يحس" بالشبه بينه وبين بعض الحيوانات التي تحيط به ولا سيما الابل والخيول . فهي مثله تعيش في زمن الحال لا في زمن الاستقبال ، وحياتها متوقفة على ملائمتها لشروط البيئة . بل إن نظره الدقيق كان 'يريه أنها في كثير من الأحيان أصلح منه للحياة الطبيعية وأشد مقاومة وأهدى غريزة' (١) : فلم يفتن قط الى أن الانسان سيد المخلوقات وأشرف الحيوانات ، وكانت نظره الى الابل والخيول نظرة الصاحب للصاحب والأليف للأليف لا نظرة السيد المترفع للعبد الحقير . كان يرى فيها بعض صفات الانسان ويجب فيها هذه الصفات ويكرمها لأنها تملك هذه الصفات . بل كان يظن أنها نقلت إليه بعض طباعها وعاداتها .

(١) وفي طبع الابل الاهتداء بالنجم ومعرفة الطريق والذيرة والدولة والصبر على الحمل الثقيل وعلى العطش (نهاية الأرب ج ٢٠ من ١١١) .

• جاء في نهاية الأرب (ج ١٠ ص ١١٠) : ليس في الحيوان من يحقد حقد الجمل • فقد قالوا ان العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومدادومتها • وفي حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٢٤٧) أن الفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة • ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من الركوب عليه • وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه • ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره •

ومن طبع العقلية الوثنية الصحراوية ألا تجعل قيمة الشيء في ذاته بل في نفعه وجدواه • فزيد من الناس صديق البدوي مادام ينفعه أو لا يعاديه أو لا يعادي قبيلته ، وينقلب بسرعة إلى عدو مبين إذا ما نشبت الحرب بين القبيلتين • وأولاد البدوي أحب خلق الله إليه ما دام قادراً على إعالتهم • فاذا خشي الفقر والجوع وعجز عن ملائمة البيئة الخارجية والساعة الحاضرة قتلهم وهو باك حزين • وفرس الجاهلي أو نافته من أحب الأشياء إليه • وقد يؤثرهما على نفسه وولده لكن الجوع وقسوة الصحراء والكرم العربي الأصيل كل ذلك كان يدعو إلى نحر فرسه أو عقرق ناقته • فما أنسى حياته ، وما أشد ضراوة قانون الصحراء : الصديق يذبح الصديق بيده ويطعم الجياع من لحمه •

ولو أن الله سبحانه وتعالى خلق العرب غلاظ الأكباد ضعفاء الحس لطانت عليهم هذه الحياة الوثنية الصحراوية • لكنه فطرهم على رقة الشعور ورهافة الحس وعمق العاطفة • ولا شك أن البدوي كان — حين ينحرم مطيته — يؤمن بضرورة الأمر ويفعله راغباً ؛ لكن هذا ما كان يمنعه قط من أن يتألم ويحزن ويحس إحساساً باطنياً بقسوة الحياة • ومثل هذه العواطف الغامضة العنيفة المكبوتة كانت تجد متنفساً في حب الحيوان — ولا سيما الإبل والخيل — وفي الانس بها والحديث عنها حديث الإلف والحبيب ووصف أعضائها وتصوير سيرها

ونشاطها في الغور والتجدد . كيف لا وهو يلح من عواطفها وإحساساتها ما يقربها الى نفسه ويصل حياتها بحياته ويمزج شعور الانسان بشعور الحيوان .

هذه العقلية الوثنية الصجراوية بعيدة عنا بحيث لا نستطيع تصورها ، متناقضة الوجوه بحيث نشك في أمرها ؛ لكنها على كل حال عقلية ساكن الصحراء في الجاهلية . وهي التي جعلت حبه للحيوان متميزاً من حب الأمم الأخرى له .

فإن كانت الأمم الأخرى في الماضي والحاضر تحب الحيوان لتنتفع به أو لتلهو أو لتتخذ أداة للزينة والجمال أو وسيلة للتعبير عن عواطف مضغوطة "سدة" متنفّسها الطبيعي لسبب من الأسباب فإن العربي الجاهلي كان "يحب" حيوانه وبخاصة إبله وخيله لكل هذه العوامل (بنسب متفاوتة طبعاً) ولعوامل أخرى لا نرى إلا فيه ، ولا توجد إلا في عاطفته : ولدتها حياته الوثنية وبيئته الصجراوية ونفسه الدقيقة الحسّ المتقدة الشعور . ولئن جعل الناس في العصر الحاضر يزدادون ولماً بالحيوان كما ازداد إقبالهم على مكاني المدن^(١) واشتدّ بعدهم عن الطبيعة الحية فلقد أولع عرب الجاهلية به لأنهم عاشوا معه في قلب الطبيعة الحية : أنسوا به وأحبوه ورأوا في الخيل والإبل بعض صفاتهم فوصلوا حياتها بحياتهم وشعورها بشعورهم وحفظوا لها في شعرهم مكاناً أكرم به من مكان !

(لادن)

خلدون الكناني

(١) يرى الأستاذ برتراند راسل في كتابه الجديد (تاريخ فلسفة الغرب) أن الإنسان كان في البرية سلطان الحيوانات لما سكن المدن صار « سلطان الآلات » والآلات جامدة صماء وهو جسم حي . لذلك أحسن النولة والقراغ ونحن إلى الاتصال بالحيوان والطبيعة من جديد .

م (٣)

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

— ٣ —

الرسالة الثانية من رسائله الأربع

عنوان هذه الرسالة (كتمان السر وحفظ اللسان) افتتحها بقوله (أما بعد فاني تصفحت أخلاقك وتدبرت اعراقك الخ) ويظهر أن المخاطب في هذه الرسالة ليس من طبقة من وجه إليه الخطاب في الرسالة الأولى أي أنه ليس من طبقة القضاة ولا من طبقة الوزراء فقد جاء في خطابه له قوله (قد ناهزت الكمال : وأوفيت على التمام وقاربت أن تنلني عديم النظير) فيكون المخاطب من اخوانه الذين يُخلص لهم الود . ويجب أن لا يفرط منهم ما يعابون به أو تلحقهم السببة بسببه . وقد بلغ الجاحظ عن ذلك الصديق أمران تقدمهما منه (وضع القول في غير موضعه : وإضاعة السر بإذاعته) وقوله (وضع القول في غير موضعه) هو ما عبر عنه في عنوان الرسالة بحفظ اللسان فإن من يحفظ لسانه لا يضع القول إلا في الموضع الذي يحسن فيه القول . فهذان الأمران من صديقه سواء أن يعاب بهما ، ويُزرى عليه بسببهما . فرأي من دواعي الاخلاص في الود أن يُمحضه النصيح . ويُسرعه إليه بالإيقاظ . فوضع له هذه الرسالة واصفاً فيها قبح (إفشاء الأسرار) وسوء مغبته وحسن (حفظ اللسان) وسلامة عقيقته — وصفاً يتمنى المرء معه لو أنه مُخلق أخرس أبكم كي يُكفي ما وصفت من سوء العواقب وشر الحصائد .

قال الجاحظ : سمع بهزلم في الليل صوت طائر فتبع صوته ورماه بسهم وهو :

لا يراه قصره - ولما صار بين يديه قال (والطير أيضاً لو سكنت كان خيراً له) .
وقد تشعبت بالجاحظ طرق الكلام في تهجين الخلتين المذكورتين حتى
انتهى الى الغيبة وقبح أثرها وفضيلة الإعراض عنها . فأنتم القول في أشكالها .
ومختلف صورها . وسائر ماله علاقة بها إلى حد أن سوء الغيبة لمن يغتاب
غيره أحياناً . وجعل له العذر في ما يرتكب منها . ثم عاد فأشبعه تقريراً على
الذل الذي يلحقه من جرّاء الاعتذار (على أن أكثر من يعتذر إليه ليس
بقابل للعذر وان أظهر القبول : لما جرّبه من سخاء الناس بالآيمان وبعدهم من
الاقرار بالذنب . . . ولا حسم لهذا الداء الا باطراح الفضول) وعد الجاحظ من
فضول الغيبة الضحك والابتسام فأنها أحياناً يقومان في الاغتياب . مقام الكلام
أو أشد تأثيراً وأكثر إغراء وتحريضاً . وذكر الله بكوت أحياناً مؤكداً
للغيبة محققاً لها (كما اذا رفع صوته عند غيبة أحد بقوله (لا حول ولا قوة
إلا بالله) أو (غفر الله لنا وله) كأنه يقول (ما تقولونه في الرجل حق فأنا ادعو
الله بأن يعفو عن سيّئ أعماله) .

ولما جاء دور الكلام على إنشاء الأسرار أبدع الجاحظ في تصوير قبحها .
ووجوب تنزيه النفس عنها . وبأبلغ في التحذير — ليس بأن يملك المرء لسانه فقط —
بل بأن يملك (لحظ عينيه وسحنة وجهه . وتغير لونه وتبسّمه أو قطوبه) فإن كل
ذلك قد ينبه المرجمين والمتعقبين إلى معرفة السر ويدلهم على حقيقة الأمر :
فالأسرار قد تفهم من الأساير . كما تفهم من الجمل والتماير .

وهل اقتصر الجاحظ من التحذير على هذا القدر ووقف عنده ؟ كلا ! فإنه
فوق ذلك حذر من الكتب (أي التجايز) المتبادلة بين الناس المتضمنة للأسرارهم :
(ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عرفت جملة وما فيه الضرر منه
بسواء أو طابع أو لحظة متطلع في الكتاب أو حرف تبين من ظهره .
فاستيقظ عند هذه الأحوال واستعمل سوء الظن بجميع الأنام) . والطوامير
جمع : طومار رقوق : كانت تكتب فيها الرسائل وتطوى على شكل خاص ثم تستخفى .

بسحابة أي تمزق من طرفها ثم يدار القدر الممزوق على الطومار ويشد به فالجاحظ يحذر صاحب الكتاب الذي اودعه سره من ان تكون كيفية طي الكتاب والشد عليه بالقدر أو الطابع أي الختم المضروب على ظهره أو حرف يتوانى من الكتابة التي في باطنه — كل ذلك يحذر منه الجاحظ لئلا يكون دالاً للمرجين ومتعقبى الأمرار على مضمون ما في الكتاب .

هذا ولتقبل على الرسالة فنعالج أبحاثاً لغوية حول بعض ألفاظها تارة مستحسنين محبذين . وطوراً . وواخذين مصححين .

من ذلك قوله ص ٣٨ لا أعرف رجلاً يتجلى بالأدب ويديم الثخانة والزمانة انخ . ثخانة الشيء غلاظته ونقول في اللغة الدارجة سما كنه وضد الثخانة اللطافة والرهافة والرشاقة ونستعمل (الثخانة) أحياناً (ونلفظ ثاءها المثلثة تاء) بمعنى العماجة وغلاظة الطبع ذماً أما الجاحظ فقد استعملها مدحاً بمعنى الرزانة والوقار . وهذا كالثقالة فإنه غلب استعمالها بيننا في الذم منذ نقول فلان ثقیل وكان من المنتظر ان تستعمل مدحاً بمعنى الرزین الزمیت الوقور وقد احتال العامة لهذا الاستعمال بتحريف (الثقيل) الى (ثقيل) بالثاء المثناة ويفخمون بها الى الطاء فيقولون (طقیل) وبها يكن فإن استعمال الجاحظ للثخانة بمعنى الوقار ليس من الممكن قبوله ولا رواجه بيننا اليوم .

قوله ص ٣٩ القلب خزانة للأسرار (ولكل ما يعيه ذلك عن الحواس من خيرٍ وشرٍ) الأولى اسقاط كلمة (ذلك)

وقوله (استعمل فضول النظر فدعت الى فضول القول) مراده بالنظر التأمل في الشيء والتفكير العميق فيه ومنه قولنا اليوم (النظريات الفيلسفية) و (النظريات العلمية) وهذا النظر العقلي له أحياناً زيادات وتجاوز حد في التأملات التي لا فائدة فيها ولا خير يرجى من ورائها . وهي التي سماها الجاحظ (فضولا) . والفضول في الأصل جمع فضل والفضل الزيادة وقال ان هذه الفضول تؤدي الى فضول أخرى وهي فضول القول والتزید فيه فما أشبه فضول النظر بفضول

١٠-لهذا وقد أحسن الجاحظ في تعبير (فضول النظر) ولا بأس أن نحتذيه ونقلده فيه .
ومثل (فضول النظر) قوله (كَرَبُ الكتمان) فقد ذكر الجاحظ أن بعض
الناس إذا حاول الاحتفاظ بسر في نفسه (اعتراه الكرب لكتان السر) .
وغشيه لذلك سقم ومكد . يحس له في سويداء قلبه بمثل ديب النمل . وحكمة
الجرَب . ولسع الدبر . ووخز الإشافي) هذه الحالة النفسية في بعض الأشخاص
سمّاها الجاحظ (كَرَب الكتمان) فقال في ص ٤٢ (ومما يؤكّد هذا المعنى في
كرب الكتمان وصعوبته) ثم أعاد هذا التعبير في ص ٤٣ وقد جعل (كرب
الكتان) رذيلة تقابل فضيلة كتمان السر كما أن التهور رذيلة تقابل فضيلة
الشجاعة . والبخل رذيلة تقابل فضيلة السخاء . وذكر أبو تمام في باب (الملح)
من كتابه (الحماسة) شعراً لبعض الأعراب تشاءم فيه بكرب الكتمان وتصح
للناس أن يفشوا أسرارهم ولا يكابدوا عناء هذا الكرب فقال :

(لا اكنتم الأسرار لكن أنتمها ولا أترك الأسرار تغني على قلبي)

(وإن قليل العقل من بات ليله تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب)

وقال الجاحظ في صدد (كرب الكتمان) أن كتمان السر يصعب على العقلاء
(فضلاً عن غيرهم) . فقوله (فضلاً عن غيرهم) تعبير كنا نتشاءم به ونعدل عنه
إلى قولنا (دَع عنك غيرهم) وإذا هو فصيح وقع في كلام أمير الفصحاء
ولعله أول من استعمله ثم تحاطفه الناس من بعده .

وقال في ص ٤٢- (وكان الأعمش مبيئ الخلق عاقماً) الغلق بمنزلة قولنا ضيق
الصدر كثير الضجر وهكذا الأعمش فإنه كان ضجوراً لا يتحمل ثقل الثقلاء
الذين كانوا يطوفون حوله لطلب (الأحاديث والأخبار) فكان أحياناً يحلف
لا يتحدثهم الشهر (فإذا حلف صاق صدره بما فيه وتطلعت الأخبار إلى الخروج
منه . فيقبل على شاة له في منزله فيجدها بالأخبار والفقه حتى كانت بعض
أصحاب الحديث يقول : ليتني شاة الأعمش) .

١١- وقوله في ص ٤٢ (الزمانة والوقار) صوابه الزمانة بالتاء وهي جمعناه .

وفي ص ٤٣ يقول إن صاحب السر إذا أراد إفشاءه أحياناً (استعهد بجليسه واستكتمه) ومعنى استعهد فلان من فلان أن يكتب عليه عهدة أي صكاً فاستعهد منه بمنزلة قولنا اشترط عليه ولا جرم أن من يفشي سر نفسه لا ينفعه الاستعهاد ولا الاشتراط .

وقال أيضاً انت اللوم على مفشي السر أوجب (وعمن أفشى به إليه أدل) قوله (أدل) صوابه (أزل) من الزال وهو الزلق : زلت رجله زلقت يعني أن اللوم يزل ويزلق ولا يعلق بالرجل الذي أفشى إليه السر . بل أن اللوم يكون أجدر أن يزلق عنه ويسقط . فلا يكون ملوماً بالافشاء ولا مذموماً . وقوله ص ٤٤ (لا لوم على صاحب الجنابة فيه) وصوابه (الخيانة) .

وقوله ص ٤٥ (مارطأت يدي قط احداً أرزن من عبد الملك) رطل الشيء رازده بيده مختبراً وزنه وثقله ومنه سمي الرطل رطلاً وقوله (أرزن) أي أثقل وأوفر . وهي حسنة . واحسن منها (أوزن) فلعلها محرفة منها ولا سيما أنه قال من قبل (ولو أن أوزن الناس حلاً مَلَك لسانه عن إفشاء السر ما قدر أن يملك لحظ عينيه وتغير لونه) يعني أن السر معرض لأن يفشي ولو عن طريق العين ولون الوجه فأوزن أقرب أن تكون مرادة للجاحظ من كلمة (أرزن) وما أحسن أن يقال : إن محلة كذا في حاجة إلى محرر يكون أوفى وزناً من المحرر الذي لديها ، واتفق وأنا أكتب هذا أن قرأت في بعض الصحف قول الكاتب (وسجل هذه القضية إذا بقي فلان يعمل على حلها بكل وزنه وقوته) .

ثم قال الجاحظ في الرد على من قال (مارطلت يدي قط الخ) ما نصه (وهذا هو الغلط البين والغدر الملتصق) صواب (الغدر) (العذر) يعني أنه في قوله (مارطلت الخ) يعتذر عذراً غير ثابت ولا ممكن وإنما هو ملتصق قابل للسقوط والانزلاق . و (الغدر) يمكن تأويله غير أن السياق يشهد للعذر . . .

قوله ص ٤٥ (فيفشو السر من هذه الجهات أكثر مما تُفشي السن المذاييع المبذر) قوله (المبذر) صوابه (البسر) إما المذاييع فهي جمع (مذياع) وهو

الذي لا يكتم السر يقال (هو للأمرار مذباع . وللأمرور مضباع) والمذباع نستعمله اليوم بمعنى آلة الراديو ويجوز أن تستعمل في المحدث بالراديو الذي يسمونه (المذيع) على أن في هذا الاستعمال شيئاً من التسامح إذ أن المذيع وصف أن لا يكتم السر وليس كل ما نسمعه من (الراديو) أمراً يجب كتمانها . وقال في ص ٤٧ أن أكثر من يؤمن على الأمرار يجتهد في إفشائها (حتى ربما كان لا يبلغ في الاذاعة أن يقصد للبلاغة من الرجال المعروف بالثيممة الخ) قوله (لا يبلغ) صوابه (لا بألو) أي لا يقصر وكان (لا بألو) كانت مكتوبة هكذا . (لا يثلو) فحرفت إلى (لا يبلغ) وقوله (للبلاغة) لعلها مشددة اللام لإفادة المبالغة في التبليغ . لكنني لم أجده والقواعد تأباه إذ ليس في اللغة بلفظه (ثلاثياً) بمعنى بلفظه المشدد . ثم أن الجاحظ مثل للبلاغة الذي تأمنه على السر فيذيعه — بعمر بن الخطاب (رض) منذ أسلم وأراد التعجيل باذاعة خبر إسلامه فعمد إلى أنتم أهل مكة وهو (جميل بن النخيت) فأخبره بإسلامه وسأله كتابه فأذاعه من فوره .

واتبع الجاحظ خير عمر بقوله أن نهيك أجداً عن إفشاء السر قد يكون فيه إغراء له بالإفشاء قال (والنفس طيارة متقلبة تعشق الإباحة وتفرم بالاطلاق) : قوله (طيارة) في وصف النفس الإنسانية لم نسمعه من غيره أي أنها تحب التثفل من حال إلى حال كالطائر يطير من مكان إلى آخر وقوله (الإباحة والاطلاق) أصبحنا اليوم نستعمل مكانها كلمة (الحرية) فلا يرغبى الحر لنفسه أن يتحكم فيه أحد أو يحال بينه وبين ما يريد . وأيد الجاحظ هذا المعنى بقوله (ولعل رجلاً لو قيل له لا تمسح يديك بهذا الجدار وهو لم يمسحها به قط لغري بأن يفعل) أي لمسحها حياً بالإباحة والاطلاق .

ت. وقوله ص ٤٨ (الفقر وخوف الإخوان) صوابه خوف الإهلاك .
ت. وقوله فجعل الله نفس الإنسان (رتواة مشتاقة مطرفة ملالة) ضواب (مطرفة)

طرفة ومعناها الرجل الذي لا يثبت على صاحب وهو مأخوذ من قولهم جمل طرف إذا كان لا يثبت على مرعى واحد .

وقوله ص ٥١ ان نهمة العلم والمال فيها (خروج عن العقل) الظاهر ان يكون مكان (العقل) (العدل) بدليل قوله بعد (لأن النهم تجاوز القدر) وقال الجاحظ ليس كل خير تتناقله الناس يصح ان يوصف بأنه مرأفشي وانما السر هو الرائع من الأخبار (والأشنع الأبلق) منها اي ما كان من أمور الناس ووقائعهم أشنعها اي اقبحها . وقوله أبلقها اي اشهرها واندرها . فسر الملوك مثلاً اذا روي كات أبلق ينتشر بسرعة وتتناقله الأفواه بلهف وحرص واصل معنى البلق السواد واليباض في لون الخيل والفرس اذا كان بعض جسمه ابيض وبعضه اسود كان نادراً مستغرباً وكان بين الخيل منظوراً وعلى ألسنة الناس مشهوراً ثم كني بالأبلق عن كل ما اشتهر وذاع خبره . وتحدث عنه الناس لندرته ومثل الجاحظ له بسر الأديان . وبسر الملوك الذين شكوا بعضهم بتقريب العوام عن امراءهم فقال :

(ما يريد الناس منا ما ينال الناس عنا)

(لو سكننا باطن الأرض ضلكانوا حيث كنا)

(إنما همهمو أن ينشروا ما قد دفنا)

وفي ص ٥٥ أقاض في تقييع فضول الكلام وقد مر ان الفضول جمع فضل بمعنى الزيادة ثم أريد به معنى التزييد في القول والاكثر من الكلام الذي لا فائدة فيه وقد استعملت كلمة (الفضول) الجمع استعمال المفرد ككلمة (الأصول) جمع أصل التي استعملها الأتراك العثمانيون استعمال المفرد أيضاً مذ يقولون مثلاً (اصول جديد) . وقرن الجاحظ كلمة الفضول بكلمة (الكلفة) و (التكلف) فهو يقول (ومنه هشام يعرض أهل الكلفة والفضول) (ولعلت الفضول والكلف والغيبة) (ويتكلف ما لا يعلم) (ولوتها للمتكلفين ضرامة

لازدجروا) فالعرب يعرفون (الكلفة) بمعنى (الفضول) والمتكلف بمعنى الشخص الكثير الفضول ومنه آية (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أي لا اطلب على القرآن منكم أجره وما أنا من الذين يكثرون من فضول الكلام والخلوص في ما لا يعنيني أو ليس لي به علم وربما قيل في تفسير الآية غير ما ذكرنا .
وفي ص ٥٦ و ٥٧ خمسة ألفاظ "تعدّ" من غريب اللغة بالنسبة الى زماننا ومن الفصح المألوف بالنسبة الى الجاحظ وزمنه :

- ١ - (اغتابه وقصّبه) أي عابه وشتمه .
- ٢ - (لا مرفق ولا ربح) أي لا منفعة .
- ٣ - (الكِظّة بالمعاذير الكاذبة) أي الامتلاء والانتفاخ .
- ٤ - (ليس هذا الأمر من 'سوس' النفس الشّمة) أي ليس من طبيعتها .
- ٥ - (كثر التطف في الناس) العيب والشر والفساد . وتطفه عابه .
وقال في ص ٥٧ (نعتذر اليه خوفاً من سقطته . وإبقاء لسلطانه) صواب سقطته سقطته كما قال المصحح وعندني ان صواب (إبقاء) (اتقاء) .
وقال في ص ٥٨ (أفضل العبادة الصبر) صوابه الصمت بدليل السياق .
وفي ص ٥٩ (أو بعظم الجرح الصغير) صوابه الجرم .
- وفي ص ٥٣ و ص ٥٩ استعمل كلمة (عين) المؤكدة مضافة لما بعدها فقال (هذا عندي عين' المذموم) أي المذموم عينه (ولكن العجب عين' العجب) أي العجب عينه . فلا يغزو اذا استعملت (النفس) المؤكدة هذا الاستعمال فيقال مثلاً جئتكَ في نفس الوقت كما يقال الوقت نفسه .
- وفي ص ٦٠ (بعد اجتهد صاحبه رأيه) صوابه إجهاد وقوله (ما اجتمع على صاحبه غم' الندامة) الإظهار (من غم الندامة) .
- انتهى ما اليه أجريتنا : وله قصيدتنا . في التعليق على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ . وسنقي القول حقه على الرسالة الثالثة في العدد القادم

ال بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٥٢٢ - ٥٦٣٠ هـ)

- ٤ -

الحياة العلمية والأدبية

لا يقتصر التاريخ على الادارة والسياسة ، وانما تتوقف حياة الشعب على معرفة أمور كثيرة من علوم وآداب وحركة فكرية وحضارة وحياة يومية ومعاشية . والآداب والعلوم عندنا قد خرجت من نطاقها المحدود . بذات لكل راغب وطالب ، وكانت بغداد من أعظم مراكز الثقافة ، ومنها في الأثر ذاعت في الأطراف ، وشاعت بين الملأ في موطن عظيمة لم تقل عنها مكانة .

فاض العلم حتى تسرب الى القرى الصغيرة والكبيرة . ولم تكن اربل من البلاد الكبيرة التي تعد من موطن الثقافة المهمة ، وان كانت قد اشتهرت بعلماء أنجبتهم ، وفضلاء ربهم ، وأكابر ثقافتهم . ولا تخلو بلدة ، أو قرية من عالم فأكثر . وما ذلك الا لأنها لا تخلو من مسجدة . فلا يزالها بسببه العلم ولا يفارقها الأدب .

عند السمعاني وياقوت وغيرهما من اشتهر فيها بفضل وعلت مكانته في العلم ، ولكن الزيادة بافراط انما كانت أيام آل بكتكين وامتدتهم في اربل . فكان لتأخرهم في العلم والأدب كبيراً ، ونالت بسبب ذلك مكانة ممتازة بين البلدان العراقية أنجبت نوابغ فاقوا في العدد ، فكان عصرها الذي تمكث عنه وحيداً من بين العصور الأخرى في ظهور علماء لا يحصون ، فيهم الفقيه والمتكلم ، والشاعر ،

والسياسي ، والكاتب ، والقاضي ، والمؤرخ والموسيقار ، وفي مختلف المواهب . . . ويرجع الفضل في هذا الانكشاف العلمي الى تلك الامارة (آل يكتكين) بل الى كبير هذه الأسرة مظفر الدين كوكبري ، أبلغها قمة المجد ، ووُلد ضلات علمية بين الأقطار الاسلامية والعربية وبين اربل ، فارتفعت منزلتها ، فكانت خدماته هذه تعلن عن نفسها ، وتنطق بالفضل ، فلا تحتاج الى دعاية لبث الحماد ، أو اطراء المناقب ، نال السمعة الطيبة ، والذكرى الجميلة .

لهج الأهلون بهذه الامارة وأحبوها ، وأخلصوا لها ، وكان عمل مظفر الدين كوكبري من بينهم أعظم وأجل ، تقع في صحة المجتمع ، وفي ثقافته ، وسعى الى ازالة فقره ، وبذل الوسع في تهذيبه ، وخصّ مومناً في الاحتفال بمولد الرسول واعادة ذكريات حياته عليه السلام في كل عام تردد فيه أعمال الرسول ومناقبه الجميلة التي هي أجلّ قدوة « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » وأعظم سيرة مشرفة للانسانية جمعاء .

وفي هذا الاحتفال كان الاتصال العلمي عظيم الأثر بالغاً الغاية في الثقافة ، أنفق له كوكبري بسخاء بدعوة علماء الأقطار ، وقام بأعمال خيرية اكبرها القاصي والداني ، وفكّ الأمرى ، وجاهد في سبيل الله ، وذبّ عن الوطن الإسلامي . وفتح مستشفيات ودور عجرة فخلد ذكره وكلماً ذكر ذكره بجلالة واحترام . ولا ينكر فضل أسلافه من امراء ونواب ، ولا يغمط حقهم في الخدمات الثقافية والخيرية الا انه فاقهم ، وأكسب الامارة عزاً وفخراً ، ولا يتقف رغبات الأمة عند الحروب والشجاعة ولا الشؤون السياسية والادارية بل تريد الرفاه والثقافة . فكان ذلك من اكبر أعماله ، قام بمقياس واسع ، أكمل به ما قام به الامراء والنواب قبله . أدر كوارغبة الأمة ، فأفسحوا المجال ، وسهلوا طريق السير . فاذا كان العلماء قد أدوا الحق المفروض في تبليغ العلم وتلقيها ، فالامراء وجبوا وسهلوا ونشطوا بما يذلوا ليكون الصل العيني أتم ، واكمل يذل المال ،

أو في تنفيذ خطط العلماء وتحقيق آمالهم العلمية . ولم يتدخلوا في شئون التعليم ، ولا في المناهج العلمية ، وإنما أمدوا العلماء بما هو المفروض لهم في (بيت المال) ، ووقفوا الوقوف من أموالهم لتخلد على الدهر . لم يتدخلوا في طريق التدريس ولا مراقبته إلا من طريق الحسبة . بل لم يعرف هذا التدخل إلى آخر أيام هذه الإمارة في كل البلاد الإسلامية . تولدنا فاضت العلوم والآداب .

إن التنظيم العلمي كان للعلماء ويدهم وإن التوجيه المالي ، والمساعدات الكبيرة بأيدي الأمراء ، فلهم الفضل في الانعاش وهو أكبر ما يحتاجه . فقد تقلت نصوص تاريخية عديدة أن هذا الأمير (كوكبري) لم يصرف المبالغ على الأهواء النفسية والملاذ ، ولا على رجال سوء بقصد الارضاء ، بل حاسب نفسه ، ونظم ماله تنظيمًا فنيًا ، بل من أجل الأمثلة الشخصية حادث ثوبه ، ومناقشة زوجته له في أن يشتربه من أغلى الأقمشة وأنفسيها . أو من أدناها والباقي يتصدق به ، فكان من خير ما يدل على تدبير الصرف وإن يعد خير قدوة .

وإذا اضيف إلى ذلك ما عمل من دار العجزة للأيتام ، وللعمي ، وللأرامل ، واتخاذ مستشفى ومماثل من المشاريع الخيرية علمنا أن انتباه الأمم مؤخرًا إلى جعل هذه المشاريع حكومية يلزم ادخالها في الميزانيات أدركنا قيمة العمل ، بل أن أصل التنظيم العلمي إسلامي ، وهو حقوق العلماء في (بيت المال) ولم تسبق أمة الإسلام في هذا الحق الشرعي المقرر . والأعمال الخاصة قام بها أهل الخير ، ولم تنفذ بموارد الدولة ، فكانت وقوف المعاهد الخيرية والمدارس على طريق التأيد تعاونًا مشهورًا من أهل الخير والصالح

ولعل ظهور العلم في بلاد مثل أربل يرجع إلى أن التنظيم كان بيد العلماء ، وإن الحسبة تسيطر ، فنقل هذا التنظيم إلى الدولة ، وصار الأمر بيد الحكومة ، فتدخلت سلطة الأمراء وتصرفاتهم السيئة ، فخرج العلم وإدارته من أيدي العلماء إلى عجرة جهال ، أو سوء يفترق من السياسيين المتسلطين . وهذا يعد من أسباب

خذلان العلم وخموله عندما تدخل في شئون العلوم والآداب جهال أو سياسيون
أعمتهم أغراضهم عن الصالح العام بعد ان كانت حرة فتقيدت . وفي أيام الحرية
نالت المكانة بما تقف ، وظهر علماء اكابر . وكان نصيب اربل منها كبيراً .

ان هذه الامارة قضت مدة طويلة من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٦٣٠ هـ قامت في
خلالها بأعمال من شأنها ان وسعت نطاق العلوم والآداب ، ونالت ثقة الأمة ولا
يهيئنا ما عملت خارج الامارة مما فعله زين الدين علي كوچك مؤسس هذه الامارة ،
واتابكه . مجاهد بن قايمار في الموصل ، ومظفر الدين كوكبري وما عمله من بر في
مكة وفي طريقها ، وما سدد به من حاجات عظيمة لفك الأمرى ، وانما يهيئنا
العمل في اربل . ظهرت فيها اعمالهم ، فأنجبت العلماء والأدباء والمؤرخين وهكذا
في مختلف الثقافات ، وكان لهؤلاء أثر ظاهر في المجاورين ، فكانوا في ثقافتهم
محل الاهتمام الكبير الا ان السياسة كانت مرتبطة بأتابكة الموصل من سنة
٥٢٢ هـ الى سنة ٥٨٠ هـ . قالوا اليها ثم كانت مع الأيوبيين من التاريخ المذكور
قالوا الي الشام وداموا الى سنة ٦٢٧ هـ . وهكذا كان اتصال بالخلافة بعد
الاتصال السيامي ببغداد من أول سنة ٦٢٨ هـ الى آخر أيام هذه الامارة وبعدها .

وفي هذه تری الأوضاع بارزة ، وان لم يكن ثم مانع من الاتصال بمواطن
الثقافة حيث كانت الا ان الاتجاه السياسي ذو دخل في الميل الكبير . ومن
جهة اخرى ان العمل السياسي الصحيح جعل العلم لساناً ناطقاً يلجج بسمو الادارة .
والفضل في هذه الثقافة للمدارس وللعلماء الذين اخلصوا ، فان من عرف
تذبذب الحالة ، واختلاط الأقسام ، ثم زوال هذا التباين بتأسيس ثقافة موحدة .
أدرك قيمة هذه المدارس بعد ان كان الأهليون في تشوش من لغتهم ، واضطراب
في ثقافتهم مما أدى الى ان يقول ياقوت ان أهلها أكراد استعربوا . . . وهكذا
ما تقل نوشيروان البغدادي من اختلاط لغتهم ، وما وصلوا اليه يظهرون علماء وأدباء
أفاضل ملكوا زمانهم إلى الأبد ، وتوصلوا الى أعظم المناصب العلمية والسياسية .

المدارس في اربل

كانت المساجد أول دور العبادة والثقافة معاً ، وهي الوحيدة في بث العلوم والآداب في العالم الاسلامي ، وأول درجات التحصيل الكتابية ، وجاءت المدارس بعد مدة طويلة وما دخل الاسلام بلداً الا دخلته المساجد . فبذرت بذور العلم والأدب وظهر علماء اكابر تخرجوا بأساتذتها ، فكانت موطن تعلم الخير والصالح ، بل كانت الوسيلة المهمة والأولى في التنظيم الثقافي .

اتخذت اربل بغداد قدوتها في تكوين المدارس كما أن الأقطار الأخرى سارت على هذه السيرة ، نهجت نهج بغداد في السيرة العلمية والأدبية وأن أول مدرس في اربل كان من أخذ العلم من بغداد وثقف على أكابر علمائها . لم تؤسس مدرسة في اربل الا بعد تكون المدارس ببغداد بنحو نصف قرن من تأسيسها في بغداد . فأثمرت ثمرة بائنة ، وظهر فيها علماء أفاضل ذاع صيتهم في الأقطار .

١ - مدرسة الربض :

هذه المدرسة من تأسيس ابي العباس خضر بن نصر الاربلي المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٧٣ م . شادها بعد زجوعه من الدرس في بغداد . فكان أول مدرس درس في اربل . وهذه المدرسة قام بتأسيسها هذا الرجل الفاضل فخدم الثقافة في اربل ، بل كان السبب في بناء مدرسة القلعة ولا شك انه بنى هذه المدرسة في مطلع المائة السادسة أو قبلها بقليل . درس فيها الى تاريخ وفاته فخلفه ابن اخيه عمر الدين ابو القاسم ، فقام بالتدريس مدة . ثم ظوي ذكرها ، فلم يعرف من تولى التدريس بعد هؤلاء الأفاضل . ولعلها نسخت بمدرسة مظفر الدين كوكبري .

٢ - مدرسة القلعة :

عرفت بهذا الاسم لأنها أسست في أصل (قلعة اربل) ، اعطي المقسم الفوقاني من البلدة ، وكان بناها الأمير منصور مرفقكين نائب اربل أيام زين الدين .

علي كوجك سنة ٥٢٣هـ أسسها لأبي العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الأربلي . بنيت له هذه المدرسة بعد أن تلقن العلم ببغداد ، فرجع إلى أربل ، ودرّس بهذه المدرسة ، فهو أول مدرس في أربل . كان أسس مدرسة الربض لنفسه ، ثم قام الأمير سرفتكين بتأسيس هذه المدرسة ، وجعله مدرّساً فيها . وكان أبو العباس السبب في تأسيس هذه المدرسة فالأمراء يودون أن يفوقوا . وبهنا ان نذكر مدرسي مدرسة القلعة المعروفين لنقف على درجة انتاجها . والتدريس كان مستمراً غير مقطوع ولا ممنوع وكان المدرس أبا العباس الخضر ابن نصر الأربلي . ويعتد من خيرة المدرسين . وهذه المدرسة دعت نائب أربل (واليها) إلى بنائها أي بناء (مدرسة القلعة) . ولا تزال إلى اليوم ، فهي أقدم مدرسة في أربل ، ولا يخلو متعلم هناك من الاتصال بمدرستها .

وأبو العباس . كانت عارفاً بمذهب الشافعي وبالفرائض والخلاف ، اشتغل على الكيا الهراملي من علماء بغداد المعروفين المتوفى في أول المحرم سنة ٥٠٤هـ - ١١٠م . ولا شك أن المترجم أتم تدريسه قبيل وفاته بسنين . وكذا اشتغل على ابن الشاشي المتوفى في ٢٥ شوال سنة ٥٠٧هـ ١١٤٨م فعلم قدم تحصيله ، وعودته إلى أربل ، فأسس المدرسة في الربض حين رجوعه ، ولم يعرف بالضبط تاريخ ذلك ، ولكنه في أواخر المائة الخامسة أو أول المائة السادسة . ثم قام سرفتكين ببناء مدرسة القلعة سنة ٥٣٣هـ - ١١٣٩م . ومن تلهم أن تقول كما قال ابن خلكان : « اشتغل عليه نخلق كثير وانفعوا به »^(١) .

ومن الأشخاص البارزين الذين تخرجوا عليه :

١ - الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني .

شارح المذهب^(٢) .

٣ - ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر من

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٢٠ . (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٢٢ .

وهذه المدرسة دام تقعا الى ان توفي هذا المدرس الجليل في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٧ هـ - ١١٧٢ م باربل ودفن في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة ، وقبره يزار .

وولي التدريس بعده ابن أخيه المذكور في المدرستين . وكان فاضلاً ولد باربل سنة ٥٣٤ هـ - ١١٣٩ م . سخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل فأخرجه منها فانتقل الى الموصل سعى به جماعة غيروا خاطر الملك عليه . وكان ذلك في سنة ٦٠٢ أو ٦٠٣ وقال ابن باطيش سنة ٦٠٦ هـ . وتوفي في ١٣ ربيع الآخر أو جمادى الآخرة سنة ٦١٩ هـ - ١٢٢٢ م . وكان قد سكن في رباط الشهرزوري وقرر له صاحب الموصل راتباً ولم يزل هناك حتى توفي^(١) . وظلت المدرستان الى ذلك الحين . بل ان مدرسة القلعة لا تزال قائمة الى اليوم . وان مدرستها (آل ملا افندي) وآخرهم ملا افندي الصغير . كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً . توفي في هذه الأيلم في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ - ١٩٤١ م عن نحو ٨٠ سنة .

٣ - مدرسة كوكبري :

هذه المدرسة من أجل المدارس عظيمة ، واسعة النطاق ، وبديل وضعها الحاضر على ذلك رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية . وكان كل وقت يأتيها بنفسه ، ويعمل السامع بها ، ويبيت بها ، ويعمل السماع . واذا طالب خلع شبتاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شبتاً من الانعام . وسعة المدرسة مشهودة ومنازلها من بدائع الصنعة ، لا تزال تبين عن قدرة . وتعد من أقدم المآذن الموجودة .

وتقع هذه المدرسة بين تربة مظفر الدين وبين المنارة الشاخنة في ساحة كبيرة ، ولم تقف على تاريخ بناء هذه المدرسة بالضبط . وعلمنا أن ابن دحية

(١) كناس ٣٨٤ .

قدم اربل سنة ٦٠٤ هـ ، فاحتفل بالمولد ، وقدم كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) . وكانت مولماً بذلك قبل هذا التاريخ ، وان تاريخ هذه المدرسة سابق لذلك ، وربما كان من حين قدومه الى اربل . ودامت هذه المدرسة الى آخر أيامه ، والى ما بعد ذلك .

ومن مدرسيها :

١ - محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان والد صاحب وفيات الأعيان . وتوفي في ليلة الاثنين ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ . كان مدرساً فيها الى حين وفاته ، والظاهر انه ولي تدريسها من تاريخ بنائها .

٢ - أبو الفضل أحمد شرف الدين الاربلي :

تولي التدريس بعد ابن خلكان المذكور . وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة ٦١٠ هـ . وانتقل الى الموصل في سنة ٦١٧ هـ وفوضت اليه المدرسة القاهرية الى ان توفي يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ٦٢٢ هـ . وكانت ولادته بالموصل سنة ٥٧٥ هـ^(١) . وهو من أسرة اربلية وليت التدريس في مدرسة زين الدين علي كوجك في الموصل .

وبما يلفت النظر ان بلدة صغيرة كهذه تحوي ثلاث مدارس كبيرة ولا يستغرب ان يخرج منها جماعة من الأفاضل في فروع كثيرة ، وان يتمكن فيها الثقافة ، فتتاجها دائم مستمر بسبب هذا التنظيم العلمي ، وقد رعاها أهل البر والخير وعنوا بها بما بذلوا من موقوفات في سبيل بقاء رقيتها وعمارتها ، والى أمده قريب منا كانت هذه المدارس في اربل تمتد مساجدنا ومدارسنا بعلماء أفاضل ولا تزال اربل في حاجة اليها للاستقاء من معينها ، بل زادت المدارس والمعابد من ذلك الحين الى اليوم ، وهي قائمة بالمهمة بالرغم من تحوّل الأيام وتبدل الأوضاع ، وتوجه الثقافات ، وعدم الالتفات الى إعادة التوجيه العلمي للالتقاء بها .

نتائج هذه المدارس أو العلماء في اربل

لا يسع المجال إحصاء المدرسين ، ولا معرفة المتخرجين ، ولا يوجد من الوثائق التي وصلت إلينا ما يشعر بذلك إلا أن المعروفين قد بلغوا مقادير كبيرة جداً ، وبينهم من كان أثره خارج اربل أعظم ، وهكذا ورد اربل علماء كثيرون سهلوا تمكين ثقافتها ، والارتباط بعلمائها ومن بينهم من كان يحضر المولد الشريف . ونحيط إذا عددنا اربل خالية من كل ثقافة قبل الامارة البكتكينية . وإنما عرف علماء ذكرهم المؤرخون منهم أبو احمد القاسم بن المظفر الشهرزوري الشيباني . وأبو سليمان داود بن محمد بن الحسن بن أبي خالد الاربلي ، في آخرين^(١) . ويهنا ذكر علماء هذه الحقبة ومن ظهر بعدهم من رجال القرن أو من ولهم فكانوا من نتائج هذه المدارس ، وبهم يتعين مقدار العناية بالعلم ، ودرجة كثرة المتخرجين . ولا يهم إذا كانوا متخرجين من هذه المدارس أو أنها دعت أفرادها إلى التوسع والتكامل في الخارج فعاجوا على بغداد وغيرها . فلا شك أنهم ممن رغب في العلم لما شاهدوا من أعظم ، وأكبروا من مكانة العلم ، فحشوا السبيل في الطلب سواء ظهرت مواهبهم ، وانتشر علمهم في اربل أو في خارجها . ومنهم القاضي ، والمؤرخ ، والكاتب ، والفقيه ، والرياضي أو الفيلسوف والموسيقي والأديب وأرباب مواهب عديدة سياسية واجتماعية .

قمن الاربليين :

١ - أبو العباس . مرة .

٢ - الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى الهذلي شارح المذهب^(٢) .

٣ - عز الدين أبو القاسم نصير بن عقيل ، وكان مدرسا . مرة^(٣) .

٤ - رضي الدين الاربلي - توفي سنة ٥٧٦ هـ^(٤) .

(١) الانساب لاسماني في مادة اربلي ، وياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة اربل .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤٢ (٣) كذا في نسخة ٢٤٦ ، (٤) كذا ج ٢ ص ٦٢٦

- ٥ — ابنه كمال الدين ابو الفتح موسى . رياضي ، عالم فاضل في الهيئة والفلسفة وعلوم عديدة . توفي سنة ٦٣٩ . (ترجمته في الحوادث الجامعة ص ١٤٩ وفي ابن خلكان) .
- ٦ — ابو الفضل أحمد شرف الدين بن كمال الدين الاربلي ^(١) .
- ٧ — شرف الدين محمد بن عز الدين أبي القاسم نصر بن عقيل . شاعر . وأديب وفقيه توفي سنة ٦٣٣ هـ ^(٢) .
- ٨ — شيطان الشام . اربلي شاعر . وله أبيات في رثاء ابن المستوفي . توفي سنة ٦٣٨ هـ ^(٣) .
- ٩ — أمين الدين علي بن عثمان السليمانى الاربلي . شاعر ^(٤) .
- ١٠ — ابن المستوفي الاربلي . ووالده أيضاً . توفي سنة ٦٣٧ هـ ^(٥) .
- ١١ — موفق الدين الاربلي ^(٦) .
- ١٢ — صفي الدين علي بن المبارك ^(٧) .
- ١٣ — محمد الدين محمد بن الظهير الاربلي ^(٨) .
- ١٤ — أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم الاربلي ^(٩) .
- ١٥ — العز حسن الاربلي ^(١٠) .
- ١٦ — صلاح الدين ^(١١) .
- ١٧ — العز الحسن ^(١٢) .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤ . (٢) كذا : ج ١ ص ٢٤١ . (٣) كذا : ج ١ ص ٦٣٣ . (٤) ابن أبي عذبة ج ٥ ص ٢٩٧ . (٥) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ . ويقوت الحموي معجم البلدان مادة اربل . والحوادث الجامعة ص ١٣٥ . (٦) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤ . وابن أبي عذبة ج ٥ ص ٢٩ . (٧) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ . (٨) منتخب المختار ص ١٧٦ . وتاريخ الموصل ج ٢ ص ١٢٩ . وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٩ . وتاريخ العراق ج ١ ص ٣٨٢ . (٩) منتخب المختار ص ٦٢ و ١٣٥ وهو من رجال المائة السابعة . (١٠) الفلاحة والفلوكون . (١١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ . (١٢) الدرر الكامنة وابن الجزري وتاريخ العراق ص ٢٩٠ ج ١ ص ٦٣١ . والمصر ، وابن كثير .

- ١٨ - الزكي الاربلي^(١) .
- ١٩ - العز عبد العزيز الاربلي^(٢) .
- ٢٠ - العز المقرئ^(٣) .
- ٢١ - عز الدين ابن عثمان^(٤) .
- ٢٢ - بهاء الدين^(٥) .
- ٢٣ - محمد الدين موسى^(٦) .
- ٢٤ - بدر الدين ابن قينو^(٧) .
- ٢٥ - يونس بن حمزة^(٨) .
- ٢٦ - ابنه محمد بن يونس^(٩) .
- ٢٧ - بدر الدين محمد بن عبد الله الاربلي^(١٠) .
- ٢٨ - بدر الدين محمد بن اسماعيل^(١١) .
- ٢٩ - ابن خلكان^(١٢) .
- ٣٠ - والده محمد بن ابراهيم . مدرس المدرسة المظفرية في اربل^(١٣) .
- ٣١ - الشيخ علي الاربلي . صاحب المنظومة في الموسيقى^(١٤) .
- ٣٢ - حسام الدين الحاجري^(١٥) .

- (١) مختصر الدول لابن الدبري وتاريخ العراق ج ١ ص ٢٥٨ والحوادث الجامعة .
- (٢) تاريخ العراق ج ١ ص ٣٤٠ . (٣) تاريخ العراق ج ١ ص ٣٤٠ .
- (٤) تلخيص مجمع الآداب ص ٣٨ - ٣٩ . (٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٦١ .
- واين أبي عذبة ج ٥ ص ٤٠٩ ، وتاريخ . فصل ايران ص ٥٠٥ ، وتاريخ الموصل . وواجبي
- تاريخ العراق ج ٢ ص ٤١ . (٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٥٠ .
- (٧) الدور الكامنة وتاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٠ . وعقد الجمان ، والمبطل الداني .
- (٨) توفي سنة ٧١٨ هـ (تاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٩) . (٩) الدور الكامنة
- ج ٢ ص ٣١٧ ، وتاريخ العراق ج ٢ ص ٥٠ . (١٠) مدرس مدرسة مرجان . تاريخ
- العراق ج ٢ ص ١٣٥ . (١١) تاريخ العراق ج ١ ص ١٩٢ . (١٢) دائرة المعارف
- الاسلامية ج ١ ص ١٥٧ وطلقات الشافية لسبكي ج ٥ ص ١٤ . (١٣) توقي ٢٢ شعبان
- سنة ٦١٠ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٤٤) . (١٤) مجلة التالم الاسلامي الجلد الاول ،
- والدور الكامنة . (١٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٠ .

هذا . ومن مراجعة تاريخ هؤلاء ، ومعرفة مؤلفاتهم نرى ان علماء هذه المدينة وادباءها قدموا ثروة علمية وأدبية لا تنكر .

وفي تذكرة الحفاظ جاء ذكر جملة من الاربليين ومثلها في طبقات السبكي ومؤلفات عديدة . والمتأخرون منهم كثيرون جداً . وبينهم الفقيه ، والشاعر ، والأديب .

والحاصل ان الثقافة فافت في هذا العصر ، ولم تنقطع من اربل الا أنه قلّ الرغبة في العلم ولم تنل تشجيعاً في أيام المغول ومن بعدهم من التركمان الا أن مدارسها لا تزال موجودة الى آخر العهد العثماني ، وبعده . وفي أيام العثمانيين ظهر فيها شعراء في اللغة التركية من أعظمهم « غريبي الأعمى » . كان يعدّ من اكابر الشعراء بالتركية ، وكذا يعقوب بيات الاربلي ^(١) . فلم تنقطع الجذوة العلمية والأدبية ، بل اشتهر اربليون عديدون فاقوا ، وانتشروا في الأنحاء . ومن اكابر المدرسين المتأخرين جرجيس الاربلي أخذ عنه مشاهير علماء الموصل . ولم يكن الأدب مقصوراً على اربل وحدها بل كانت مضافاتها مثل راوندوز و كويسنجق مواطن علم ودرس . وان المدارس السيّارة كانت موجودة الى أمد قريب منا . واشتهرت أيام السلطان أبي سعيد من ملوك المغول الايلخانيين .

ولعل في هذه الأمثلة ما يكفي لمعرفة ان المدرسة الواحدة لها أثرها فكيف بالمدارس العديدة في بلد صغير .

عباس الزاوي

(بغداد)

يتابع :



(١) في كتابنا تاريخ الأدب التركي في العراق قمضنا لذكر مشاهير الأدب التركي في اربل .

مخطوطات ومطبوعات

أقوالنا وأفعالنا

تأليف محمد كرد علي

عين نصل الى أعماق المجتمع فتقف على مساوي أخلاقه وعاداته وأوضاعه فلا يفوتها شيء من خروج هذا المجتمع على نظام الحياة ، ومن استحكام مفاصل الأخلاق فيه ، كالكذب واللؤم والحسد والنفاق والبخل والتبذير وأشباه هذا كله ، فقد تصفحت هذه العين أحوال مجتمعنا نصف قرن وعاشر صاحبها من الكبار والصغار ما لم يعاشره غيره ووقف من حسنات الناس وسيئاتهم على ما لم يقف عليه إلا قليل من القوم ، فكأنما لمس صور الأخلاق بيديه وسمع سخافات الناس بأذنيه وتمكن من معرفة مواطن الضعف في شيمهم وطبائعهم ، سواء أكان هذا الضعف في سياستهم أم في وطنيتهم أم في دينهم أم في تربيتهم كلها ، هذه خصائص الأستاذ العلامة رئيس مجعنا في تأليفه : أقوالنا وأفعالنا ، فكأنه مجموعة حواشٍ مستيقظة لتبع الأخلاق دقائقها وجلالها ، ظواهرها وبواطنها ولم يقتصر على تتبع حركات الأخلاق وحدها وإنما استقصى في حركات العقول في أميتها ونهضتها وثقافتها ولم يكتف بتصفح أحوال الحاضر وإنما تصفح أحوال الماضي فهو حجة هذا العصر في معرفة ماضي العرب والعلم بأصباغ عظمتهم وضعفهم . ولم يحمد الأستاذ العلامة على ما عرفه من حاضر مجتمعنا وماضيه وإنما مشى مع العصر واتصل بأطواره وامتزج عقله بهقول رجال الغرب فأخذ عن هذا الغرب ماصح واقتبس عنه ما نفع فاذا ذكرت نهضة الشام من خمسين سنة حتى يومنا هذا فهو على رأسها وحامل لوائها .

و كيف استطاع الأستاذ أن يصور هذه الأمور كلها وأن يثبتها في الأذهان وأن يجعل هذه الأذهان طبق محاسن فنه تمشي معه أين أراد هذا الفن ، فتمهل إذا أراد التمهّل وتسترسل إذا شاء الترسل ، انه لم يصل الى هذه المنزلة من البلاغة إلا بعد أن اختمرت في صدره أساليب بلغاء العرب وأصراء البيان فيهم ، فالأسلوب الذي يصور به أخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا وأوضاعنا كلها إنما هو خلاصة أساليب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وأمثالهم ، سهولة في غير شيء من - التعرّ ، وطبع دون شيء من التكلف ، وإزالة السكعة في منازلها ، وإعطاء المعنى حقه من اللفظ ، وإعطاء اللفظ حقه من المعنى ، فلا إصراف في التعبير ولا شح في التصوير ، فالصورة والآلة في فنه إنما هما جسد وروح متناسبان متناسقان ، فليعرف القاري من هذا البحر فلا خوف عليه من موجه ، مد الله في حياة الأستاذ ونفع العرب ينصب تأليفه .

شفيق جبري



مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المستجد من فهارس الأجيال

تمت مطبوعات مجمعنا العلمي العربي بدمشق كتاب : المستجد من فهارس الأجيال لمؤلفه القاضي أبي علي الحسين بن علي التوحي المتوفى سنة ٣٨٤ وهو صاحب نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة
عني بنشر الكتاب وتحقيقه رئيس مجمعنا الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك وقد اعتمد في تصحيحه على كتب التراجم ودواوين الشعر وأمثات كتب اللغة والأدب ونحاول إرجاع النصوص الى ما كانت عليه يوم وضعها المؤلف وحلّل بعض الكلمات التي لحظ أنها قد تستعصي على فهم الشادي في الأدب وأوجز ما أمكن في شرحها .

وصف الأستاذ العلامة في المقدمة كتاب المستجد وصفًا يقف دونه كل وصف فهو كتاب في أخبار الكرماء في الجامعة والاسلام يتضمن أدبًا وأخلاقيات وتأريخًا واجتماعًا وهو صورة جميلة من أدبنا القديم مبعث حضارتنا وهو خير ما نكشف به مقاييس الأخلاق في امتنا ومعايير عاداتها ومدنيتها .

وأكبر ظن الأستاذ ان أخبار التنوخي في المستجد ما خرجت عن قصص وقعت وربما دخل بعضها شيء من المبالغة للتأثير في النفوس والأدهاش بالغرائب فقد أنانا التنوخي بنموذج من غلو العرب في الكرم الذين بلغوا فيه حدًا لا يصدق . ولم يشأ الأستاذ العلامة ان يمر بهذا الكرم دون ابداء رأيه الحكيم فيه فهذا الجود انما هو في جملة بالنسبة الى عصرنا ضرب من التبذير يفقر صاحبه ويغري آخذه بالتفنن في الاستجداء وما كان العرب إلا مفرطين بكرمهم ووفائهم فمن السفه اعطاء فرد واحد مئات الألوف وهناك ألوف من الخلق يعيشون في ضنك وفاقة فكان العمال ينهبون ما تطول ايديهم اليه من مال الرعية ويوجدون على من يرون المصلحة في اعطائهم .

وكيف كان الأمر فالمستجد كما قال الأستاذ انما هو الفن الذي يقضي علينا الواجب ابدًا ان نتذوقه ونتفاوضه ونزويه ونترواه لما فيه من عبقة أرواح اجدادنا ومنها ننشق الكمال في اللفظ والمعنى ونمشي على آثارهم فتنشأ شخصيتنا الجديدة .

سج

تيسير الكتابة العربية

عني مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنة ١٩٣٨ بمسألة تيسير الكتابة العربية وجعلها صالحة لضبط النطق بألفاظ اللغة وقد ألفت من أجل هذا الموضوع لجان شتى وجرت مذاكرات ومناقشات في كل ما تقرره لجنة من هذه اللجان واستمرت هذه العناية حتى سنة ١٩٤٤ وانتهى هذا كله بوضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية .

وقد نشر المجمع حديثاً نصوص المذكرات والمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع وما اتخذ في ذلك من مقررات في مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤ فالذي تهمة تفاصيل هذه المناقشات فليرجع الى رسالة المجمع المطبوعة في المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

وقد بينت رأيي في هذا الموضوع في مقال عنوانه : العربية اللاتينية نشرته في مجلة مجعنا في عدد شهري تموز وآب من سنة ١٩٤٤ فما أحب الرجوع الى الكلام في هذا الباب ولكن الغريب ان اللغة العربية صرّت عليها عصور طويلة كانت في خلالها تدخل في كل موضوع من الموضوعات ، في الأدب والفلسفة والعلم وغير ذلك ، ولقد كانت تدخل في هذا كله في عصور انتشر فيها اللحن واللهجة العامية في الناس فما وقع في خلد أحد ان يفكر في مسألة تيسير الكتابة أو القراءة وبقيت اللغة مستفيضة في آفاق الدنيا ولم يشك منها أهلها صعوبة في قراءة أو كتابة ولو ظل سلطان العرب مستمراً حتى أوائل عصر نهضتنا من دون أن تغلب على هذا السلطان العصور التركية لما علم إلا الله وحده المتزلة التي كانت تبلغ اليها لغتنا في هذا اليوم فلست أدري ما الذي يحملنا على التفكير في تيسير الكتابة أو القراءة والناس بفضل أساليب التعليم الحديثة قد حسنت قراءتهم ونطقهم بالنسبة الى الماضي ولا شك في أنهم في المستقبل يزدادون قدرة عليها بفضل انتشار هذه الأساليب ولا يستغرب اتيان يوم من الأيام تبطل فيه العامية أو تخف حتى لا يشعر الناطق أو الكاتب بشيء من الصعوبة في النطق والكتابة فنحمد الله تعالى على ان الباب الذي فتح في موضوع تيسير الكتابة قد أغلق كما فتح وبقيت اللغة على طبيعتها تابعة لحكم الزمن وحده ولكن هذا الباب لم يغلق دون شيء من اللعز والهمز والتهكم ظهرت آثارها على كلام أحد أعضاء المجمع واذا تعود الناس ان يروا مثل هذه الآثار في الصحف فانهم لم يتعودوا ان يروها في مناقشات شيوخ جلت مقاديرهم وارتفعت منازلهم .

كتاب التبراس

في تاريخ خلفاء بني العباس

ألفه ابن دحية الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣ هـ) وصححه وعلق عليه الأستاذ المحامي عباس العزاوي . وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر ببغداد . وهو يقع في ما يقرب من مئتي صفحة .

مقدم المصحح الكتاب بتوطئة عرف فيها المؤلف : نسبه وعلمه ودراسته وتأليفه . وبالغ في الثناء عليه ، مبالغته يراها من تصفح الكتاب أنها فوق ما يستحقه . ودافع عنه في ما كان يؤخذ عليه . حتى أنه أثنى على قدرته في البيان ، وتلاعبه في خيوط البلاغة ، وسيطرته على اللغة . وهي أمور إذا كان وقع شيء منها في الكتاب ، فهو في ما نقله المؤلف عن غيره لا في ما أنشأه هو نفسه . ونجى . بعد هذه التوطئة مقدمة موجزة للمؤلف ألم بها بفضل التاريخ ، وبالسبب الذي من أجله وضع المؤلف مؤلفه .

يبدأ هذا التاريخ ، بأبي العباس السفاح : أول الخلفاء العباسيين (١٣٢ - ١٣٦ هـ) . وقد تكلم في هذا الفصل - وهو يقع في عشرين صفحة - عن ابن عباس ، وعن فضائله ، وعن مسائل في الفقه ، وفي الحديث ، وتعرض لألفاظ لغوية ، بأكثر مما تكلم عن أبي العباس السفاح . وينتهي الكتاب في خلافة الناصر لدين الله سنة (٥٧٥ هـ) .

وتراجم الخلفاء . لا تزيد كثيراً على ذكر تاريخ التولية والوفاة ، أو الخلع . يتخللها حوادث أكثرها تافهة غير ذي بال .

ومثل هذا الكتاب إذا كان لا يفيد كثيراً في ميدان التاريخ ، فنشره ضروري لوجهين :-

١ - أنه تاريخ من التواريخ التي ألقت في بني العباس ما من حق الحكومة العراقية وهي خليفة الدولة العباسية ، أن تنشر كل ماله صلة بها وبأبنائها .

٢ - قد تكون فيه بعض العظة لهؤلاء الذين يتولون الأمور في الأقطار العربية اليوم وهمهم - في مطلع دولتهم - ما كان هم أولئك المتولين - في أعقاب دولهم - الجري وراء مطامعهم وشهواتهم غير مفكرين في دين ، ولا عاملين لوطن ، ولا مخلصين لأمة . قائلين بواقع الأعمال ، ما قاله احد ملوك فرنسا المستهزئين بليسان الحال : انا ! ومن بعدي الطوفان .

وسيقضي هؤلاء المتأخرون على دولهم الناشئة ، كما قضى أولئك المتقدمون على دولهم الشائخة . ويقف واقف على قبورنا فينشد ما انشده ابن دحية (المؤلف) يوم وقف على قبور أولئك :

يا سائل الدار عن أناس ليس لهم نحوها معناد

مرت كما مرت الليالي اين جديس واين عاد

وبعد ، فانا نشكر للأستاذ العزاوي ، ما غناه من جهد في تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه . وان بقيت فيه هنات قل ان يسلم منها كتاب .

عارف النكدي

آراء وأحاديث

في الوطنية والقومية

مجموعة محاضرات ومقالات للأستاذ ساطع الحصري ، أقيمت في أندية بغداد ونشرت في بعض الجرائد والمجلات ، شرح فيها الأستاذ المربي عناصر القومية ، وعوامل الوطنية ، وناقش الآراء والأفكار التي تتصل بهذه الموضوعات ، فكان من هذه المقالات والمحاضرات : (الايمان القومي) و (بين الوطنية والإيمانية) و (بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية) و (بين الماضي والمستقبل) و (بين مصر والعروبة) و (العلم للعلم أم العلم للوطن) و (العلم والوطنية) و (ردة على تصريحات الشيخ المراغي) .

والحديث في هذه المحاضرات والمقالات مستمد من العلم الصحيح والخبرة
الواسعة ، ولقد كان الأستاذ موفقاً كل التوفيق في ردوده على الذين يقاومون
الفكرة القومية والوحدة العربية ، ولا سيما في رده على الشيخ المراغي والأستاذ
طه حسين ، كما كان موفقاً في بحثه عن مصر ومكانها من القضية العربية ، وهو
بحث نشره في جريدة البلاد في بغداد سنة ١٩٣٦ قبل ان تكون الجامعة
العربية قد ولدت ، وفي هذا دليل على أن الجامعة العربية كانت حاجة في النفوس
العربية الخاصة ، قبل ان تكون مظهراً حكومياً على ما هي عليه اليوم .
ولا يسع العربي إلا أن يبني الثناء الصادق على النزعة العربية القومية التي
يؤمن بها الأستاذ المصري ، ويعمل لها جاهداً دائماً .

ع . ن



عمر فروخ : ابن طفيل وقصة حي بن يقظان

طبع في مطبعة النجمة ببيروت عام ١٩٤٦ . عدد صفحاته ١٠٠ من القطع الوسط .

للدكتور عمر فروخ دراسات كثيرة في تاريخ الأدب والفلسفة تزيد على
(٢١) رسالة منها كتابه : اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية ، وكتابه :
عبقريّة العرب في العلم والفلسفة ، ودراساته عن ابن خلدون والفارابي ، وابن سينا ،
واخوان الصفا ، وابن باجه ، وهذه الدراسة الأخيرة عن ابن طفيل .
تشتمل هذه الدراسة الأخيرة على مقدمة وست مقالات في عصر ابن طفيل ،
وترجمة حياته ، وسبيل فلسفته ، وتحليل كتاب حي بن يقظان ، وبسط فلسفة
ابن طفيل ، واثره في الشرق والغرب . وهي على قصرها محيطة بكل ما في كتاب
حي بن يقظان من الآراء . ومع ان المؤلف لم يطلع على كتاب المستشرق
الفرنسي (ليون غوتييه) : (ابن طفيل ، حياته ومؤلفاته) ، ولا على المباحث
الأخيرة التي نشرها المستشرق الاسباني (آزين بالاسيوس) ، فان النتائج العامة

التي وصل اليها لا تختلف كثيراً عن الحقائق التاريخية التي أثبتتها هذان المستشرقان .
فليس في دراسته عن ابن طفيل نقص في العناصر ولا تقصير في الإحاطة ،
وانما النقص الأساسي فيها هو تسرعه في الأحكام المطلقة وعدم تقيده
بالطريقة التاريخية .

أما تسرعه في الأحكام المطلقة فيظهر لنا في قوله : « ان جهودنا اليوم يجب
ان تنحصر وان تتضافر على تحليل آراء فلاسفة الاسلام في الدرجة الأولى .
اما انتاجنا الفلسفي فيجب ان يتأخر » .

لا شك ان جميع المفكرين بواقفون الدكتور عمر فروخ على ضرورة البحث
في تاريخ الفلسفة العربية ، لان الأمة التي لا تعرف ماضيها الفكري لا تدرك
أبدًا ما يجب ان يكون عليه مستقبلها . ومن المفكرين من يرى أيضًا ان
الاقتصار على البحث في آثارنا الفلسفية القديمة لا يشق لنا سبيل الانتاج الفلسفي .
وانه ينبغي لنا في سبيل الوصول الى ذلك ، ان نجتمع بين الماضي والحاضر ،
فندرس أولاً آثارنا القديمة وترجم في الوقت نفسه آثار الفلاسفة الغربيين .
أما القول بتأخير انتاجنا الفلسفي فانا لم نفهمه ، لأننا نعتقد اننا قادرون على
الابداع كغيرنا من الأمم ، ولا فائدة من تأخير انتاجنا الى مرحلة ثانية من
مراحل التطور . ولو ان الأمم دعت الى تأخير انتاجها الفلسفي كما ندعو نحن
اليه في كتبنا المدرسية لما استطاعت ان تنتج شيئًا . نبدأ بالانتاج منذ الآن
ولنفرس هذه الفكرة في نفوس طلابنا . فلذا تشأوا على ذلك وآمنوا بقدرتهم
على الابداع استطاعوا في المستقبل ان يجاروا غيرهم من الأمم ، وهذا خير لنا
وابقى من تثبيط الهنم والاقرار بالعجز .

ومما يدل أيضًا على تسرع المؤلف في احكامه قوله : « ومع ان
فلسفة ابن طفيل كانت مادية الى أقصى حدود المادية فانه هو شخصيًا كان
دينًا تقيًا » (ص ٣٨) .

ان اول ما يستنتجه القاري من هذا الحكم المطلق ان المؤلف لم يفهم فلسفة ابن طفيل على حقيقتها . ففلسفة ابن طفيل لم تكن مادية ، بل كانت فلسفة عقلية روحية . ومن العجيب ان تشتمل هذه الفلسفة (المادية) على القول بخلود النفس واستقلالها عن الجسد ، والقول بوجود الله ووجود الجواهر الروحانية ، فالنفس عند ابن طفيل لا يدركها الفساد لأنها من ذات الله ، والله بريء من جميع معاني النقض ، وهو الكمال والحسن والبهاء ، لا يمكن ان يحدث في هذا العالم شيء إلا بأمره ، والمؤلف نفسه يصرح بذلك في بسط فلسفة ابن طفيل . فاما ان يكون حكمه هذا ناشئاً عن التباس معنى الفلسفة المادية عليه ، واما ان يكون في قوله هذا تناقض ، واما ان يكون ذلك ناشئاً عن التسرع في الحكم ، ونعتقد ان الوجه الأخير هو الأصح .

وأما عدم تقييد المؤلف بالطريقة التاريخية فيظهر لنا في كلامه عن عصر ابن طفيل . اذ ذكر لنا أولاً حالة العالم الاسلامي في الشرق والغرب ثم تبسط في الكلام عن انكلترا وفرنسة ، والنورمان في صقلية ، وعن الامبراطورية البيزنطية ، وابطاطرة الجرمان والنزاع البابوي . وهذا كله يدخل في باب التاريخ العام . ولو احتجنا في الكلام عن فلسفة رجل الى مثل هذا الاسهاب في وقائع التاريخ لاختلط علينا الأمر . ان مؤرخي الأفكار يكتفون في مثل هذه الحالة بالأسباب والوقائع المباشرة التي أثرت في فلسفة الرجل . أما الكلام عن وقائع لا علاقة لها به فيعدونه خروجاً عن الموضوع .

هذا بعض ما بدا لنا في نقد هذا الكتاب . وهو لا ينقص من قيمته ، لأن الكتاب يستعرض آراء ابن طفيل على ترتيب معقول ، ويحللها بطريقة منظمة وأجلوب واضح جذاب . وهو على قصر حجمه يشمل على كل ما يجب معرفته من قصة حي بن يقظان ، فالشكر للمؤلف على أدبه وعلمه .

نظام التربية في أميركا

يشتمل على دراسة تجريبية لمجلس التعليم الأميركي ، قُتبت بنقله الى العربية :
 مجلة التربية الحديثة : بالجامعة الأميركية بالقاهرة • طبع بالمطبعة المصرية
 مصر ، عام ١٩٢٥ • عدد صفحاته ٢٩٦ من القطع الوسيط

عني باصدار هذا الكتاب مجلس التعليم الأميركي في الولايات المتحدة .
 ومجلس التعليم هذا يضم جماعات التعليم الوطنية ، والكليات ، والجامعات المعترف
 بها ، والمعاهد الصناعية والفنية ، والمدارس الثانوية ، ومجالس التعليم لحكومات
 الولايات ، ومجالس التعليم للمدن . وفيه أيضاً كثيرون من زعماء التربية .
 والكتاب يشتمل على سبعة فصول : (١) في النظام والادارة ، (٢) ورياض
 الأطفال ومدارس الحضانه ، (٣) والتعليم الأولي ، (٤) والتعليم الثانوي ،
 (٥) والتعليم العالي ، (٦) واجداد المعلمين ، (٧) والتعليم الريفي . كتب كل
 فصل منها عالم من علماء التربية وأشرف على تحريرها المربي الدكتور (كندل)
 الأستاذ بجامعة كولومبيا .

وقد غنيت مجلة التربية الحديثة بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية بلاشتراك
 مع مكتب الاستعلامات الاميركي بالقاهرة ، فتمهدت في ترجمة كل فصل من
 فصوله الى أستاذ خاص ، فجاءت الترجمة على اختلاف أصولها ، الواضحة بليغة ،
 إلا أنها لم تخل في بعض نواحيها من الغموض والعجمة والالتباس .

وقد نيهنا الأستاذان (جون بادو) و (أمير بقطر) في التمهيد الذي صذرانيه
 هذا الكتاب الى ان الوقوف على نظم التعليم في شتى البلدان من أحسن الوسائل
 لصيانة السلم ، وان كل بحث من هذا القبيل يلقي ضوءاً على أماننا الأهم وثرائنا ،
 ونتيجة اختياراتنا ، وبقرئ الشعوب بعضها من بعض .

ولذا قلن المرء بين نظم التعليم في العالم العربي وبين نظم التربية في الولايات
 المتحدة تفتن لما في نظم التعليم عندنا من العيوب التي يجب اتقاؤها ، والحاسن التي

يجب الاحتفاظ بها . فالتعليم في الولايات المتحدة متنوع الى أقصى حدود التنوع ، فلا يوجد بين النظم المحلية نظمات متماثلان تماماً ، بل ان لكل ولاية نظامها الخاص ، والشعب الأمريكي يهيمن مباشرة على شؤون التعليم بحيث يشعر اولياء التلاميذ والدوهم ان معاهد التعليم ملك لهم ، والتربية عندهم مبنية على أساس اللامركزية . وهي مستقلة عن الدولة واذا حاول موظفو الحكومة التدخل في شؤونها قايضهم الشعب بكل عنف . والشعب الأمريكي يؤمن بالتربية ويعتبرها سياسة قومية عامة ، ويريد ان تتاح فرص التعليم لجميع أفراد الشعب على اساس المساواة ، لأن الغرض الأول من الديمقراطية هو تنظيم المجتمع تنظيمياً بكفل لكل عضو من أعضائه النهوض بشخصه عن طريق النشاط الذي يرمي الى الرفاهية العامة . لذلك كان لا بد للتربية من ان تبني بالناحية الصحية والفكرية والخلقية معاً ، فتعد الطالب ليكون عضواً عاملاً في أسرته وتعلمه مهنة يكسب بها رزقه ، وتربيته تربية وطنية صحيحة ، وتعوده التمتع بأوقات الفراغ وتوفير له وسائل التسلية في المدرسة والبيئة .

ولا ينسع المجال هنا للاحاطة بكل ما تضمنه هذا الكتاب من المثل العليا والنظم والأهداف العامة والمبادئ والوسائل ، فان الإشارة الى كنوز الكتاب لا تغني عن مطالعته . وسيجد القاري فيه ان الكمال في نظم التربية الأمريكية لم يدرك بعد في أية ناحية من النواحي ، وان النظم لا تجري فيها على نمط واحد ، ولا تتشابه في مستواها في أية وحدة من وحدات التعليم كما هي الحال في بلادنا . ولهذا النظام عيوبه ومحاسنه . فعلى رجال التعليم ان يقتبسوا منه ما ينطبق على حاجاتنا القومية ، ويساعد على تعديل نظام المركزية الجامد الذي جربنا عليه حتى الآن . فاللامركزية الواسعة في التعليم لا تعني الفوضى ، كما ان المركزية للضيقة لا تبدل دائماً على النظام .

ج . من

الدكتور (كنوك) أو انتصار الطب

رواية تمثيلية هزلية ذات ثلاثة فصول • تأليف (جول رومان)
وتعريب الأستاذ ابراهيم كيلاني • طبعت بدمشق عام ١٩٢٥
عدد صفحاتها ١٠٩ من القطع الصغير •

يقول أحد الكتاب المعاصرين : « ان رواية الدكتور (كنوك) تصور لنا جنون الطب والأطباء والمرضى معاً » .
فالدكتور (كنوك) مجنون لأنه يظهر تارة بمظهر المفامر والدجال والتاجر ، وأخرى بمظهر المصلح المتفاني في خدمة الانسانية :
والمرضى مجانين لأنهم مثقلون بعبء الوسواس والأوهام محرومون من التمتع بلذة العيش تساورهم اشباح الامراض وتعشش جراثيمها في نفوسهم •
والطب نفسه جنون لأنه يقلب غايات الطبيعة فلا يقتصر على معالجة المرضى ، بل يرغم الأصحاء أنفسهم على التمسك بقواعد الصحة ، ويرهقهم بالتدابير الواقية التي تدخل الوهم الى قلوبهم وتفسر الدعر بينهم •
لقد ذكرتني قصة الدكتور (كنوك) هذه بقصة ذلك القاضي التركي الذي كانت يدغو القرويين الى محكمته ، ويحكم لهم بحقوق لم ينفقوها وأموال لم يضيعوها ، ويعطيهم صكاً بذلك لقاء مبلغ من المال يدفعونه له • فكما شق على الدكتور (كنوك) ان يكون الناس أصحاء سالمين من المرض ، فكذلك شق على ذلك القاضي ان يكون الناس بعيدين عن الخصومة ، ليس عليهم دين يؤدونه او حق يطالبون به • وما اكثر الخامين والقضاة الذين يشبهون الدكتور (كنوك) .
انهم لا يفتشون عن الحقيقة ، ولا يعملون على احقاق الحق ونشر العدل ، بل يريدون ان ينتصروا على زبائنهم كما انتصر الدكتور (كنوك) على سكان (بنت مؤزيس) • فالطبيب الذي يوخى الى الناس انهم أصحاء يعمل على انكسار الطب • اما الطبيب الذي يقوم على وضع جميع الناس في أسرة المرضى خجلاً بالتجربة والملاحظة فيعمل على رفع منار مهتة •

ومستقبلها معالجة تتم على خبرة واسعة في شؤون هذه المنطقة ، ودعم بحثه بوثائق وأرقام استقاها المؤلف من هذه السنين العديدة التي عاشها في هذه المحافظة ، ومارس فيها وظائف رئيسية كثيرة كشفت له عن معلومات قيمة جمعها لنا في هذا الكتاب .

وقد أنصف المؤلف العلويين فيما كتبه عنهم ، وأصاب كبد الحقيقة في تفهم روح هؤلاء الاخوان المنعزلين في جبالهم والمنقطعين عن جوارهم ، بنسج المصلون حولهم شتى الافاويل والعجب الأساطير . وقد صور لنا امراضهم الاجتماعية واولعهم التقليدية ووصف لها العلاج الناجع . فاذا كان المؤلف قد كشف لنا عن بعض ما يؤخذ عليهم فانه لم يهمل ميزاتهم الطيبة وصفاتهم الحسنة التي يتحلون بها مما كان يجهلها عن احوالهم كثير منا . فبدد بذلك الأوهام التي كانت عالقة في اذهان غرستها فيها الدعايات الفاسدة والأغراض الباطلة . وبين لنا كيف ان العلوي لا يقل عن سواء وطنية وعروبة مستهدداً بحوادث ووقائع تاريخية كانت مجهولة ، ساهم فيها العلويون للدفاع عن حريتهم وسيادة وطنهم . ومن الخطأ ان تأخذ المجموع بجريرة افراد ضلوا السبيل وهم نفر لا تخلو منهم محافظة بل فيها من هم اضل سبيلاً . كما ضمن المؤلف كتابه منهاجاً عمرانياً للنهوض بهذه الطائفة التي اهملتها الظروف السياسية ولإعادة الاطمئنان الى نفوس ابنائها يجدر ان يوقف عليها كل من يعمل في ادارة هذه المنطقة .

واننا لانشاط المؤلف رأيه في جعل مقياس الوطنية على اساس وحدة العرق والجنس ، فقد أثبتت التجارب والنظريات الحديثة بأن وحدة اللغة والثقافة والمنفعة المتبادلة والكرامة المشتركة لا تقل ضماناً عن وحدة العرق في تكوين أمة ذات سيادة موحدة . ومثل الولايات المتحدة الاميركية واختلاف عناصر شعبها هو اصدق برهان على هذا الزعم .

واننا نشكر للمؤلف عنايته وجهوده ونرجو من عانوا الشؤون الادارية من موطني الدولة ان يقتدوا بزميلهم هذا فيعالجوا امثال هذه الأبحاث المفيدة خدمة لا تقسم ويلاذمهم .

ص

جعفر الحسني

كتاب اللغات في القرآن

مطبعة الرسالة بالقاهرة . بقطع متوسط . نحو مئة صفحة

عام ١٣٦٥ - ١٩٤٦

يتابع الأستاذ صلاح الدين المنجد نشر جهوده العلمية من تأليف ، وترجمة ، وتحقيق مخطوطات قديمة . ومن آخر ما نشره « كتاب اللغات في القرآن » الذي رواه عبد الله بن الحسين بن حنوت المقرئ ، المتوفى سنة (٣٨٦) بسنده الى ابن عباس الصحابي الجليل .

وهذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وجده الأستاذ المنجد بها فاستنسخه ثم صححه وحققه ونشره ، بعد ان وضع له مقدمة حال فيها هذا الكتاب ووصف المخطوطة ، وحقق شأن المؤلف ، وألحق في آخره ما تفرد بذكره السيوطي في الاتقان من ابحاث هذا الموضوع ، و اضاف اليه فهرس متقنة تسهل الرجوع لمآله .

رتب المؤلف هذا الكتاب على السور فبدأ بسورة البقرة حتى انتهى الى آخر سور القرآن . ومرد ما قيل في كل سورة من الفاظ القبائل العربية والفاظ الأمم الأخرى من آرية كالفارسية والرومية ، أو سامية كالسريانية والعبرية والحبشية والنبطية والقبطية ، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي طبع مما افرد بهذا الموضوع ، ففيه الفاظ للقبائل غير موجودة في « الاتقان » للسيوطي .

و مما جاء في مقدمة الناشر : وهكذا نجد ان القرآن الكريم قد ضم الفاظا من معظم القبائل وهذا الأمر يوميء الى غاية سياسية . . . هي توحيد العرب وجعل القرآن كتاباً يجد فيه كل قبيلة من الفاظها الخاصة بها ، ثم ايجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً ، هي تلك اللغة الكاملة التي نجدها في القرآن .
فنشكر للأستاذ المنجد جهوده القيمة وخدمته للآداب العربية وآداب القرآن الكريم .

محمد أحمد زهران

آراء وأنباء

تطور اللفاظ والتراكيب والمعاني^(١)

أبقى لنا الثعالبي من أهل القرن الخامس في المضاف والمنسوب درساً مستوفى من التراكيب والاضافات التي كان بعضها شائعاً في الجاهلية والآخر حدث في الاسلام وقد خرجها في أحد وستين باباً، فمنها ما أضيف الى اسم الله تعالى : أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . أرض الله . ستر الله . ناقة الله . رحمة الله . أمر الله . لعنة الله . صبغة الله . الخ . وكل شيء كما قال الجاحظ أضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار فقال نار الله الموقدة ومنها ما يضاف الى الأنبياء مثل سفينة نوح . عمر نوح . مقام ابراهيم ، نار ابراهيم . صحف ابراهيم . ناقة صالح . قميص يوسف ، عصا موسى . صبر أيوب . مزامير داود . خاتم سليمان . ومنها ما ينسب الى الملائكة والجن والشياطين مثل : سحر هاروت . ديك الجن . جند ابليس . قبح الشيطان . حبال الشيطان . رؤوس الشياطين . ومنها ما يضاف الى القرون الأولى : ريح عاد . صرح هامان . كنوز قارون . سد الاسكندر . نوم اصحاب الكهف . ومنها ما يضاف الى الصحابة والتابعين مثل سيرة العمرين . درة عمر . دهاء معاوية . فقه العبادة . حلم الأحنف . ومنها ما يضاف الى رجالات العرب في الجاهلية والاسلام : خاتم طي . زيد الخيل . سحبات وائل . عروة الصعاليك . سعد العشيرة . وضاح اليمن . مجنون بني عامر . أشج بني أمية . جبار بني العباس . ومنها ما ينسب الى القبائل : ابلاب قريش . تيه بني مخزوم . جود طي . أو الى

(١) ألفت هذه الكلمة يوم افتتاح الدورة الثالثة عشرة لجميع قواد الأول لثة العربية في

القاهرة يوم ٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ .

رجال مختلفين : حكمة لقمان • بلاغة قس • عي باقل • حديث خرافة • مواعيد
عرقوب • وفاء السموأل • كذب منيلمة • طمع أشعب • ومنها ما ينسب الى
العرب : تيجات العرب • نخوة العرب • كسرى العرب • ومنها ما أضيف الى
الاسلام : قبة الاسلام • بيضة الاسلام • دعوة الاسلام • ومنها الى القراء والعلماء :
فقه أبي حنيفة • حاجة أبي الهذيل • أو الى ملوك الجاهلية والاسلام : سيرة
أردشير • عدل أنوشروان • ايوان كسرى • شقائق النعمان • خلافة ابن المعتز •
أو الى الكتاب والوزراء في الدولة الأموية والعباسية : بلاغة عبد الحميد • بلاغة
جعفر • بريمة ابن المقفع • تيه عمارة • أو الى البلدان : عزيز مصر • أو الى أهل
الصناعات : كلب القصاب • تيه المقتنى • رغبان المعلم • كذب الدلال • ومنها الى
الآباء والأمهات والبنين والبنات مثل : أبو قلمون • أبو مشوي • أم الكتاب •
أم القرى • أم المؤمنين • أم حبيب • أم قسعم • ابن الليالي • ابن جلا • ابن آوى •
ابن السبيل • بنو الأيام • بنو الدنيا • بنت الفكر • بنات الصدور • أو الى الأذواء
والذوات كالأذواء اليمن • ذو الأوتار • ذو القرنين • ذو النورين • ذو الرياستين •
ذو الكفایتين • ومنها ما ينسب الى النساء مثل : ذات النطاقين • كيد النساء •
مراة الغريبة • حمالة الخطب • خضراء الدم • ضرائر الحسناء • بكاء الشكلي •
ومنها يالى الأعضاء : سويداء القلب • حبل الوريد • ومنها الى الابل : حمر النعم •
صولة الجمل • خيط عشواء • ومنها الى الخيل والبغال : نواصي الخيل • فرسا رهان •
ومنها الى الحمار : حمار العزير • صبر الحمار • ومنها الى البقر والغنم : بقرة بني اسرائيل •
أذنان البقر • لحية التيس • ومنها ما يضاف الى الأسد : لث عفريت • لث
الغاب • جراءة الأسد • وثبة الأسد • ومنها الى الذئب والسباع والوحوش والسنور
والفأر والضب والظربان والقنفذ والسرطان والحية والعقرب والحشرات والهوم
والطير والغراب والذباب والبعوض • ومنها الى الأرض والدور والأمكنة والأبنية
والبلدان والأماكن • ومنها الى الجبال والحجارة والمياه والنيوان والشجر والنبات

واللباس والثياب والطعام والشراب وما يتصل بهما والسلاح والحلي والليالي والأزمان والأوقات والآثار العلوية وغير ذلك .

هذا ما عني الثعالي بتدوينه وفيه صورة من صور المجتمع الجاهلي والاسلامي ومنه ما جاء كالمثل ومنه ما كان فيه اشارة الى وقعة تاريخية وتصور لحالة نفسية مثل : عرق القربة ، عرق الموت . ومعنى الأولى الشدة والمشقة ، ويضرب الثاني مثلاً لأشد الشدة . وكان الحسين اخادم خادماً المعتضد والمكثني بتولى البريد بمصر ويلقب بعرق الموت . قيل ان المكثني لقبه بذلك .

وكل ما نسب وأضيف وأنانا به الثعالي ما خرج عن تركيب عربي ولفظ عربي ، ولقد حدثت بعد تراكيب واضافات وألفاظ كانت الواجب تدوينها ولعله كان ينتظم منها مجلد آخر . أما في العصور الحديثة عصر الطباعة والصحف والمجلات وانتشار الكتب وعهد انبعاث العلوم المادية فقد يسقط الباحث على اضافات ونسب منها ما نقل عن اللغات الغربية وتحس فيه أثر الترجمة وهجنة العجمة . وتطورت الألفاظ والتراكيب في عصر العلوم هذا وقضت الحال على النقلة ان يختاروا ألفاظاً لتراكيب جديدة ، فمنها ما جودوا فيه ومنها ما قصروا ، و كله دخل على اللغة وحفظه الناس وتناقلوه ، وتكثر هذه التراكيب والألفاظ في مصطلحات علوم السياسة والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والمالية والتربية . كثرت لأن متند هذه العلوم انقطع عند العرب أو كانت علوماً جديدة لا يعرفها أجدادنا وكانت المادة من التعابير قليلة وكان المترجمون لأول النهضة ضعافاً في اللغة ولعل بعضهم لم يدرك ما تحويه الألفاظ الفرنسية من معاني ، فترجموا كيفما اتفق ، لا كما يجب ان يكون . ومن التراكيب التي جاءت بها العصر الجديد اذا ألقته على مسامع العربي الأصل ، اضطر الى أن يفكر ساعة وربما ما خرج بعدها بشيء يصور له المعنى تصويراً حقيقياً ، لأنه لا يعرف جهة العلم الذي كانت هذه الألفاظ والتراكيب من ألفاظه وتراكيبه . وقد شاهد هذا المجمع من تلك الألفاظ أمثالات لما نظر في مفردات العلوم .

ولا أكتفكم ياسادتي أن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو
 إضافة جاءنا بها. المشتغلون بعلم التريية ، فنسبوا الى التريية «التَرَيِّيوي» وأنونا
 بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور زهو العريية بالطلاق والعناق
 أنها عريية ما صدقوا ولا آمنوا ، جاءنا متفاصحو المترجمين بتركيب : النزعة الواقعية •
 القوة الوجدانية • الذاتى الموضوعى الاقليعى • الفكرة الأساسية • الفكرة الرئيسية •
 الطريقة الاعتبارية • السبب المباشر • وهكذا سرت الى الأقلام عشرات من
 التراكيب على اعتبار أنها وردت في كلام بعض العارفين فاحتذاها من قضت
 عليهم صناعتهم بالعجلة وعدم التريث ككتاب الصحافة ، وقد يعبرون عن المعاني
 التي يحتاجون الى أدائها من حاضر الوقت لا يطيلون التفكير فيها والمراجعة •
 نعم جاءوا بطائفة من التراكيب ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن قولهم : تغلبت
 العناصر التقدمية على الرجعية • وطن معنوي مثالي • الوطن المرقوب المرغوب •
 من حيث الأساس • تنرض نفسها على اتجاهات السياسة • القبتاريخية أي قبل
 التاريخ • Préhistoriques الأحلام الطوبائية • Utopiques ولو قال أبو عذرة
 هذا التركيب : السياسة قبل عصر التاريخ بدل القبتاريخية والخيالات والأوهام
 بدل الأحلام الطوبائية لأدى المراد ونجا من هذه السماجة • جاءونا بفلات
 يضرب الرقم القيامي في الشيء الفلاني • النزعات السياسية السائدة • عمله على
 ضوء كذا • رفع رأس أمته عاليا • يحيطونها بهالة من الرهبة • استغل الموقف •
 جرى على خطته التقليدية • خلقت جواً من الشبهات • المفارضات تجري في جو
 يسوده الود • الوضع الحاضر • الوعي القومي • سر المهنة • فقيد الواجب • التريية
 المثالية • المجال الحيوي • الشخصيات البارزة • السوق السوداء • الجهود الجبارة •
 الحل الحامم • حقل الادب والعلم • الروح الوثابة • موضوع أخاذ • أتون الحرب •
 الرغبة الملحة • حملة داوية صارخة صخابة • وأخيراً تم الشيء الفلاني • بحسب الخطة
 المرسومة • رجل الساعة • الأهداف القومية • حركة خاطفة • الروح المعنوية •

المتوثبة • في ظل النظام • ظهر على مسرح السياسة • يضحي على مذبح أغراضه •
 طلب يد فلانة • ذر الرماد في العيون • يشق طريقه الى الحياة • فشلت المناورة •
 انفجرت شفتاه عن عدة ابتسامات كان لها أثر طيب في تلطيف جو الاحتفال •
 ومنها ما يكررونه في اليوم والليلة مرات حتى يحثه الأذواق ويرمت به الآذان
 وهي ليست في شيء مما أجازته علماء البيان في التكرار أو عمد اليه الجاحظ في
 ترديد بعض ألفاظه الحلوة كفعل كان أو تركيب أما بعد ، وتكرار الجاحظ
 على كل حال لا يشبه ما أحصيته لأحد البلغاء في حديث له في المذيع ككرر
 فيه لفظ (اللهم) مراراً ، وأذكر أنني عدت له منها عشر • تكررات ثم ملأت
 ووجهت وجهي عن الاستماع ، والغالب أن صاحبي ، وكان شيخاً ومشيقاً فيه أعاق
 به من شعرات قصة ، انقطع عن الصلاة أياماً وأحب أن يعرض عن لفظ اللهم
 التي فاتته فجمعها كلها في محاضرة واحدة • ولعله ظن أن المحاضرة صلاة ودعاء
 فتوصل الى الباري تعالى ما وسعه التوصل في حديثه مع أنه كان من سعة المادة
 اللغوية على جانب عظيم ، ولا يحتاج بيانه الى مثل هذه التكاثرات •
 ومن التراكيب والاضافات الجديدة ما تنشئ منه النفس وهذا تجده في
 كثير من الكتب المترجمة ممن يكون مترجمها وسطاً في اللغة التي نقل منها
 واللغة التي نقل اليها • ترجمنا وبذلنا الجهد فكان في ترجمتنا الرديء والجيد ،
 ولم يكن لنا بد من الدخول في هذا الدور • أما الآن وقد كثر عدد الفريق
 الذي تخرج بأداب لغته واللغات الغربية فالواجب ألا ننشر الا ما سلم كل السلامة
 من العوج ولم يسبق للسان العربي أن جرى به • فبالله ألا تصابوت بالبرداء
 وقاكم الله شرها اذا سمعتم مترجماً يقول : وهذا الشعور ليس سليماً بل ايجابياً •
 تربية فلان - الايجابية العقلية • المركز الاستثنائي • المبدأ الانقلابي • دلت بها على
 جوهر قومي • مركز • التركيز في التقسيات • حركة تحريرية تجديدية • نصوص
 مثنية • شريعة الوطنية تستمد وحيها من نواويس كذا •

ومن التراكيب أو الألفاظ ما استلزمته طبيعة العصر لأنه يتم عن معانٍ
لا سبيل إلى التنفّص منها لأنها تدل على أمور ذات أثر في سياسة الدنيا اليوم ،
ومنها : الارهابيون ، الوصوليون ، النفعيون ، الانتهازيون ، المداورون ، العدميون ،
الفوضويون ، الاشتراكيون ، الشيوعيون ، النازيون ، الفاشستيون ، الجمهوريون ،
الملكيون ، الديمقراطيون ، الاستقراطيون ، الدكتاتوريون ، الرأسماليون ،
المحافظون ، الحاديون ، الحزيون .

ولا أطيل عليكم في إيراد الإضافات والصفات والأسماء الجديدة ، وعلى من
يجب التوسع في تلقفها أن يتبعها في الصحف والكتب الحديثة ، ولا سيما في
المعربات . وتكثر التراكيب والألفاظ النائية عن مناحي البقاء في كلام أهل
القرن الماضي ولا نرى كل وسط في بقله وتصنيفه إلا معتذراً عن جهله بأنه
يكتب الكتابة التي تروق جمهور الناس ، ويهزأ في باطنه ، وأحياناً يبدو هزؤه
على سمته ، ممن يكتب كتابة عربية في الجملة ويصمها بأنها كتابة جامعية أو
مشايخية نسبة للجامعة أو لدار العلوم والأزهر .

* * *

قلت في بيان ألقته في السنة الماضية في مثل هذا الحفل الكريم أن من
الألفاظ ما يُعمر قليلاً ثم يموت ويحيا غيره فينسي الآخر الأول وأن لكل
عصر ألفاظه كما أن لكل عصر بيانه . وقد أتيح لي أن نشرت خمسة كتب
للقدماء حوت من هذه المعاني أشياء كثيرة ، فكان في الأول طائفة كبيرة من
ألفاظ القرنين الأولين للإسلام ، وفي الثاني ألفاظ لم يعرفها هذان القرنان ،
ونسيت في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الثالث ألفاظ وتراكيب عرفت كثيراً
في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الرابع ألفاظ علمية اشتهرت في الخامس
والسادس ، وكان ابن القرون السابقة بمزحل عنها . وفي الكتاب الخامس ألفاظ
وتراكيب عرفت في فارس وخراسان .

وأعني بالكتاب الأول «رسائل البلغاء» وفيه نصوص نادرة لعبد الله بن المقفع ،
وعبد الحميد الكاتب وغيرهما من أئمة البيان . وبالكتاب الثاني «سيرة احمد بن طولون»
للبلوي من أهل القرن الرابع ، وبالكتاب الثالث «المستجد من فعلات الأجواد»
للمحسن التنوخي من أهل القرن الخامس ، وبالكتاب الرابع «كتاب البيزرة»
لبازيار العزيز بالله الفاطمي من أهل القرن الخامس (تحت الطبع) وبالكتاب
الخامس «تاريخ حكماء الاسلام» للبيهقي فيه من ألفاظ الفلسفة والحكمة التي
كانت معروفة لأهل القرن السادس .

الكتاب الأول من محصول العراق وفارس في الجملة . والكتاب الثاني مما
أخرجه مصر . والكتاب الثالث مما صدر عن الدور العباسي الأول والثاني .
والكتاب الرابع مما ألف في مصر أيضاً وفيه ألفاظ مصر . والكتاب الخامس
مما صنف في فارس وفيه ذرور من مصطلحها .

والألفاظ التي حملها الكتاب الأول من سهل الألفاظ ، استعملت قروناً
ثم بدأ الناس ينسونها فهجرت وصار ابن هذا العصر اذا سمع بعضها فكأنه يسمع
ألفاظاً أعجمية واذا جاول الكشف عنها في المظان ملّ وكلّ ، ولا عجب فقد
بلغ بنا الضعف في لغتنا أحياناً أن صرنا الى حالة اذا حاولنا قراءة شعر جادلي
فكأنما نقرأ لغة غير لغتنا ، وقع فيه على ألفاظ نجد في بعض الألفاظ الفرنجية
أنسة أكثر مما نجد في هذه الألفاظ العربية ، ولا أحيلكم للتدليل على دعواي
إلا على بعض ما طبع من دواوين الجاهليين وبعض الاسلاميين أمثال زهير بن
أبي سلمى وجريز والفرزدق . وعوض الله شراح هذه الدواوين المعقدة خيراً
عما بذلوه من أوقاتهم في سبيل حلها .

فمن ألفاظ الكتاب الأول : الاعتال الاضطراب في العمل والحركة . زمين
كسبخ . الزيت الوقور . قذعه منعه وكفه . أنق أحسن وأعجب . استعجب
طلب الاعتاب واستقال من الذنب . يندخول في أموره فيها غش وعيب وفساد .

أرض تهمة منصوبة الى البحر ومنه تهامة • أرض جلس غليظة • الواهن الضعيف
 في العمل التارك له • الفالج الفائز • المناقلة المحادثة • الاستطراد نوع من المكيدة •
 الخبار مالان من الأرض واسترخى • الجدد الأرض المستوية الغليظة وما استرق
 من الرمل ، وفي المثل : من تجنب الخبار أمن العثار • وفيه : من سلك الجدد
 أمن العثار • العقدة العقار ونحوه يقال : اعتقد فلان عقدة : اذا اشترى ضيعة
 أو اتخذ مالاً من عقار وغيره ، وهي مستعملة عند عوام الشام • الكفاة الخدم
 الذين يقومون بالخدمة • الخانة جمع خائن والقدرة جمع غادر ولا تستعمل هذين
 الجمعين اليوم ، وكثير من الجموع أغفلناها مع الزمن كالجورة والحزمة والخوثة
 والكذبة • الاعتاب مصدر قولك اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن
 الاساءة • الاستئثار المشاورة • أعذر الرجل بالغ في اظهار عذره • الطارق ضعف
 العقل ، وفلان به طريقة أي هوج • أجم الطعام كرهه ومله • استجهم القلوب
 اراحتهما • السوق خلاف الملك نطقه على أهل الأسواق وليس بصحيح • الاحتلاط
 (بالحاء) المبالغة في الحلف واليمين • البأو الفخر بالنفس ورفعها • اتلاد المال
 تنميته • فاش الرجل اذا افتخر ومنه التفتيش وهو الكبر والادلال • اتزركب
 الوزر أي الاثم • حقورية الدلة • خبال الأمر اضطرابه واختلاطه • الشرج المثل
 والنوع • يتيسع يهيج • الاستجراح الفساد والعيب • استحسر أعيا وتعب • القعدة
 الكرمي أو الطنفسة • الظهري ما يجعله المرء عدة له عند مسيس الحاجة اليه •
 الشكيمة قوة القلب وشكه أثبتة • أغمر في فلان اذا غابه واستضعفه وصغر من
 شأنه • استأكل الضعفاء اذا أخذ أموالهم • أوتخ دينه بالاثم أفسده • ألحجه بغرض
 فلان أحتكه منه بشته • الانتهاق في الشيء التوسع فيه • اكتهف وتكهف
 لزم الكهف والكهف المغارة والملجأ • أخطر جعله في خطر • رضح له من ماله
 اذا أعطاه عطاءً غير كثير • وضح الشيء يرضه فهو موضحون ووضين ثني بعضه
 على بعض • وضاعفه ونضده • العقوة ماحول الدار والمحلة • الكسي (بالضم) مؤخر

العجز في كل شيء والجمع أكساء وركب أكساءه سقط على قفاه • اجتاهم
حوّاهم عن طريق قصد الخ • •

ومن ألفاظ الكتاب الثاني : البزبون ضرب من نسيج البز أو من رقيق
الدبياج • المطبق كمحسن سجن تحت الأرض • العقابان خشبتان يشبع الرجل بينهما
ليجلد • الفينج الحارس أو رسول السلطان أو حامل البريد • العظمة حكاية صوت
المجان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قومًا • الابلز وطين الابلز طين
مصر وهو ما يعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض (لغة مصرية) • تقبل العامل
العمل تقيلاً التزمه بعقد ومنه المتقبلون أي الملتزمون باصطلاحنا اليوم • هذا
عول الدولة أي المستعان به أو أحد خدامها • يعرب عليه يرد عليه بالانكار •
المحمل المستعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة جاءت هكذا • عرض الغلام
عليه مجلاً بما يجري يوماً يوماً وليلة ليلة • المطرح المفرش وزناً ومعنى • المسورة
(بكسر الميم) مخدة مدورة • الخردادي ابريق من البلور الحجري ذو عنق ضيق
وجسم يزداد اتساعاً من أعلى الى أسفل والخردادي الخمر والغالب ان هذا الاء
كان خاصاً بوضع الخمر الباطية وقال العلامة كرنكو أنها خرداذية (بالذال)
في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من أنواع الشراب كانوا يشربون فيه أيام
الأعياد • القصرية كالإجانة اناء لوضع الزهور أو الطين • الرقاص أجير البناء
وهاتان اللفظتان مصريتان • بعض الشيء جزأه • وتبعض تجزأ أي يتناوله بعض
ما على المائدة من الطعام تحيياً • ورد : يزل معه ما يقدر على حمله • زل الطعام
أخذه وتناوله والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك • البذرة الخفارة •
في الكلام على هندسة جامع ابن طولون : « فأمراً بأن تحضر له الجلود فأحضرت »
فسرته بأنهم كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد • ثم اطلعت على كلام للجاحظ
يقول فيه : « وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكوك والعمود وفي
الشروط وصور المقاربات وفيها تكون نموذجات النقوش ومنها تكون خرائط

البرد وهن أصلح للجُوب وإلغاص الجرة وسداد القارورة . ورد : فتخرج الينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تطاريف . وفي كتب اللغة : اختضبت المرأة تطاريف أي أطراف أصابعها ، وطرفت المرأة بنائها اذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . الزيرباج : قطع لحم صغير يجعل في القدر عليه غمرة ماء وقطع دار صيني وحمص مقشور ويسير ملح فاذا أغلي تأخذ رغوته ثم يطرح عليه رطل خل خمر وربع رطل مبكر وأوقية لوز حلو مقشراً أو مدقوقاً أو ناعماً يداف بهاء الورد وخل ثم يطرح على اللحم . البوارد : البقول المطبوخة الموضوعة في الخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والرياس (وأرجو رصيني الأستاذ ابو حديد أن يعذرنني علي ذكر ألفاظ الأكل فالدينا كلها أكل وشرب) . السفجة كقرطقة أن تعطي مالاً لا آخر وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه اياه ثم فتستفيد أمن الطريق ، وفعله السفجة بالفتح والمال المسفج المرسل الى بلد آخر سفاتج . الدرب فساد المعدة .

ومن ألفاظ الكتاب الثالث : أبرد القوم دخلوا في آخر النهار . جبا الرجل مشى على يديه وبطنه . نظر اليه عن عرض وعرض من جانب . أبرد وجهه وتربد احمر حمرة فيها سواد عند الغضب . يقال هو يحدث ملوك (بالكسر) صاحب حديثهم أو كثير الحديث حين السياقة لهم . المتلدد الحائر المتلفت يميناً وشمالاً : تذمم استنكف يقال لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذباً . أنانا بعد هده من الليل وهداة وهديء وهدوء ، أي بعد هزيع من الليل أي حين سكن الناس . يقال : ما يريم بفعل ذلك أي ما يبرح وما رمت أفعله وما رمت المكان وما رمت منه ورثم بالمكان أقام فيه . احتشم منه وعنه وحشمه واحتشمه أخجله . فلان موطاً العقب صاحب سلطان يتبع . رجل أنير مكين مكزوم . أوجره الزمخ أو الخنجر طعنه به في فيه . تكذ زيد حاجة عمرو منعه اياها . غمزه بيد نخسه . الطائف العسن . والعس القدح العظيم (ج) عساس . القعب

القدح الضخم • تطفيل الشمس غروبها ووجبت الشمس غربت • شق الدار
والخيمة ناحية منها • فلان ما يلبق درهماً من جوده ما يسك • الصرم البيوت
المجتمعة • يوم صائف حار • تقز نفسه تنقبض • الخريطة وعاء من آدم (جلد)
وغيره • يشرج على ما فيه أي يشد • عاقه خاصمه • فلان ملزوم لازمه غرماؤه •
البهلول كسر سور السيد الجامع لكل خير • حاربت السنة اذا قل ماؤها ومطرها •
الأشراف (بالشين) الحرص ومنه الحديث : (من أخذ الدنيا بأشراف لم يبارك
له فيها) • غبر الشيء بقيته • زهر السراج تلاًلاً • العوراء الكلمة أو الفعلة
القيحة • الشاكري الاجير أو المستخدم • ابن نفي كفتي نقاه أبوه • رجل ألخ
وأمة لحناء لم يختنا • يقال أفل ذلك وكرامة لك وكرمي وكرمة لك وكرمالك
وكرمة عين ونعيم عين ونعمة عين ونعامي عين • ويقال نعم وحبا وكرامة •
دهر قطم صؤول ، انقطع به ان كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طيبته
وهو منقطع به • يقال للرجل عند التوديع معاناً مصاحباً ومن قال معان مصاحب
فمعناه أنت معان مصاحب • إذالة عرضة الاستحقاق به • صهرته الشمس أي
صخرته آلمت دماغه • انناد القاتل بالقتيل قتله به • ليه جمع ثيابه عند نحره في
الخصومة ثم جره • استشرف الشيء : رفع رأسه لينظر اليه • تطول عليهم امتن
كطال عليهم وتطول تفضل • الباطية انا عظيم والرطلية وعاء يعمل فيه الخمر
وغيره • رب الأمر أصلحه • الرافعة الجماعة تذيب الى الناس بنا يقال • تقول :
أوطأتني عشوة أي جعلتني أطأ ما لا أراه أي أوقعتني في أمر ملتبس وغررتني
حتى اعتدرت • احسب عليه أنكر ومنه المحتسب : تواعدوا واتعدوا أو الأولى
في الخير والثانية في الشر • وثب به هجم عليه وتوثب في ضيقتي استولى عليها
ظلاً • الربع الدار بعينها حيث كانت (ج) رباع وربوع وأربع وأرباع •
الفحل الرجل الكامل الرجولة • القوم السيد •
ومن ألفاظ الكتاب الرابع : السهك قبع رائحة اللحم الحنز (المنن) وريح السمك :

غَضَفُ الأذنين استرخاؤهما • البَشْتَارَك هو الذي يكون في آخر الأضلاع من داخل الحَمَل ويسمى الكِمَارَك وهذا تعريف المؤلف له ولم نجد له ذكراً سِوَ كُتُب اللغة • امطارم الغالب أنه من أمراض الجوارح ولم نجده في المعاجم ، ومعلوم أن المعاجم لم تستوف جميع ألفاظ اللغة وقد وجد العلامة دوزي الهولندي مئات من هذه الألفاظ ملأ بها كتاباً له في يملدين أسماء ملحق المعاجم العربية • الحوجلة القارورة • القدير اللحم المطبوخ في القدر • قمر فلان الرجل غلبه في القمار • الكندرة مجثم البازي يهبط له من خشب أو مدر • الحُقَّ وعاء الطيب • تَقَرَّش الشيء أخذه أولاً فأولاً • خَرَّبَق المِشَارِع جعل فيها الخربق والخربق نبت كالسهم يغشى على آكله ولا يقتله والمِشَارِع جمع مشرع معناها طريق الحوض • التبان كَرَمَان سراويل صغير يستر العورة المقلظة Maillot • القالص الثوب الذي يتكش بعد الغسل • قرنص فلان البازي اقتناه للصيد • أو كَب الطائر تهباً للطيران أو ضرب بجناحيه عبر الطير زجرها • رمج الطائر ألقي ذرقه (زبله) • سَبَق الطائر ألقى السباقين في رجله والسباق القيد • الشهدانج ويقال له شهدانج حب القنب وفي اللغة الشامية القنبس • قبض الطائر وغيره أسرع في الطيران وهو قابض وقبيض بين القباضة والقبض منكش مربع ومنه والطير صافات ويقبضن • الفانيذ نوع من الحلواء يصنع من السكر ودقيق الشعير والزنجبين •

ومن ألفاظ الكتاب الخامس : الأَسْطَقْسَات أو العناصر ، الأكسير دواء إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة أو غيره إلى البياض أو إلى الصفرة • الطين ويعرف بالطين الأرمني وفي الشام يسمونه الترابية وهو الطين الذي يؤكل • ومثل عما كان يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدققة والمرققة والملبة والمزوقة (الملبق الملين بالسمن) البرَبَطُ العود وأصلها بالقارصية يربت أي صدر البط ، لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه • وأهل هذا الفن وغيرهم اعتمدوا على لفظة

العود • السكبينج نوع من العقاقير • الايجانجين عقار من ورد وعسل •
 متريديطوس ويقال منرا اختصاراً ومعناه المنقذ من ضرر السم (والاصل في
 هذا الاسم اسم الطبيب مخترعه ومركبه) • التفسرة بول يستدل به علي حال
 المريض وعلة • الاضطراب مقياس النجوم • القيفال عرق في اليد يفصد •
 الأثير المادة التي تملأ الفضاء • الدستور الوزير الكبير الذي يرجع في أحوال
 الناس الى مايرسمه • القولنج مرض معوي يعسر معه خروج الثفل والريح •
 وقد وقعت له عدة تعابير وتراكيب أنسيتها أو تناسيتها ومنها : تشورخجل •
 اجعلني من أدمه أهلك وارض عني • ويقال جمعت فلاناً أدمه أهلي أي أسونهم
 وأدمه بأهله خلطه بهم وجعله كواحد منهم • ومنها الخافد أي المعوان ورجل
 محفود يخذه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته •

سيداتي • سادتي :

هذا ما أمكن اقتباسه من ألفاظ الأنصار الخمة ، فكم في الكتب المطبوعة
 والمخطوطة من أمثالها أنسيتها ونحن لها محتاجون كما أنسيتها من الحلويات اسم
 العصيدة والخبيصة لما جاءنا من الفرس الفالودج واللوزينج ثم أنسيتها لما جاء الترك
 يرواني وكلاج ثم أنسيتها جميعاً لما أتانا الافرنج يريوش وبودنج ، والله أعلم
 ما يدخر الغيب لنا من الألفاظ في المستقبل • وفي هذا دليل آخر على خبوية
 هذه اللغة وقابليتها للتطور بحيث الزمن مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها وبالفضيح
 من مفرداتها وشواردها •

محمد كرد علي

مكتبة

سورية

عاج - منذ زمن طويل - كثير من المؤرخين واللغويين الغموض الذي يكتنف اسم سورية ، الى ان انكشفت في العصر الحاضر بعض الوثائق القديمة فكشفت لنا عما كان مجهولاً من قبل . وهو ما نستطيع ان نعرضه لكل من مرض لهذا الغموض .

بعد أن خرب الماديون والبابليون المتحالفون مدينة « نينوا » في سنة ٦١٢ قبل المسيح أصبحت بلاد اشور يجمعتها ، وهي شرقي دجلة ، جزءاً متمماً لدولة « مادي » . كذلك كان الأمر في الدولة الثانية - وهي دولة الفرس القديمة - اذ كان نهر دجلة من جبال ارمينيا حتى مصب (دباله) يؤلف الحد الغربي لمملكة مادي . وكان سبق للدولة الآشورية قبل خمس عشرة سنة ان امتدت حدودها الى الجزيرة حتى عاصمتها حران . ودعا الملك بختنصر حملته الظافرة على حران (حملة آشور) مع ان العاصمتين « نينوا » و « آشور » كانتا قد زالتا من الوجود .

وقد بقي هذا الاصطلاح مستمراً حتى بعد ان فتح « قورش » العراق والجزيرة سنة ٥٣٩ قبل المسيح . ولم تستعمل التقاويم الرسمية لممتلكات امبراطورية الفرس اسم « آشورية » بل استعملت شمالي ما بين النهرين و « آشورا » ، اللفظ الذي حرفته اللهجة الآرامية عن « آشور » . والآرامية كانت لغة العامة في ذلك العصر . وفي القرن الثاني للمسيح اطلقت التقاويم الآرمينية على ملوك العرب في حران والرها لقب ملك الأرمن والأشوريك أو آشور . وأريد بأشور منطقتي حران والرها لا آشور القديمة .

واسم آشورا في التقاويم الفارسية القديمة مرادف لكلمة « آرايا Arabia » . وهي لفظة حرفتها اللهجة الآرامية عن لفظة العرب (بأبدال الالف بالعين وهو حرف ز غير موجود بالفارسية) .

ولما وصل (كزيفون) مسير العشرة الآلاف يوتاني في سنة ٤٠٠ قبل المسيح وصف « آرايا » هذه بأنها واقعة شرقي الفرات بين مصب (بليخ) ومضيق (هيت) اول حدود العراق .

وقبل ذلك بمائة سنة سمي الجغرافي (هيكتيوس) بادية الشام بآرايا . والاسم المركب اثورا - ارايا هو الاسم الرسمي لسورية يوم كانت ولاية فارسية . والرُّقْمُ البابلية تكتب آشور وآرايا (والبابليون ايضاً ليس عندهم حرف عين) ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء في الرقيم الكبير المنسوب الى دارا^(١) فقد استعاض عن الاسم المركب بعبرنار Ebirnari وهو عبرنرا في الارامية أي ما وراء الفرات . وفي العهد البابلية الحديثة واليونانية أصبح هذا الاسم الذي أطلقه البابليون على سورية يستعمله أبناء البلاد انفسهم . وكان من نتيجة ذلك ان أصبحت هذه الولاية الفارسية تشمل عبرنار أو الشام وآرايا أو البادية واثورا وهي الجزيرة بأمرها . وأصبح كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة يدل وحده على الولاية كلها . وفي التقاويم الرسمية ثلاثة أمثلة أخرى على الولايات الثنائية الاسماء أو الثلاثية الاسماء يستعمل احدها موضع الآخر . ولا شك ان التقسيمات الادارية السياسية المختلفة هي السبب في نقل اسم اشوريا القديم نحو الغرب . ولقد وقع مثل ذلك في الأناضول ففي سنة ٦٠٠ قبل المسيح كان يطلق على المنطقة الواقعة على ساحل البحر الأسود ما بين سامسون وطرايزون اسم كاتباتوكا Katpatuka . وهو الاسم الذي اختير للأناضول الأوسط بأمره وامتدت حدود هذا الاسم من سنة ٤٠٠ حتى بلغت طوروس . وفي العهد الروماني زال هذا الاسم عن الجانب الشمالي واحتفظ به في الجانب الجنوبي في منطقة ما كانت في تاريخها جزءاً من كاتباتوكا القديمة .

وليس في النصوص الاشورية والبابلية والارامية اسم يوافق اسم سورية .

(١) هنا كلمة لم مترجم لأنه لم يفهم المراد منها تماماً .

واليونان دون غيرهم هم الذين استعملوا هذا الاسم منذ عهد (داريوس) في القرن السادس قبل المسيح . وقد دون (هيرودوس) ملاحظة قديمة في سجله عن جيش « Xerxes » سنة ٤٨٠ قبل التاريخ المسيحي قال فيها :

(اما اليونان فقد استعملوا اسم السوريين على حين استعمل العجم البرابرة اسم الاشوريين) . ويتكلم مؤرخو الاسكندر عن سوري سورية الواقعة ما بين الجبال ، وعن سوري سورية ما بين النهرين . وبذلك يكون اسم سورية قد أطلق معاً على الشام من جهة وعلى أثورا ، أي الجزيرة ، من جهة ثانية . والاسم اليوناني اذن هو استعارة يونانية من الصيغة الفارسية القديمة « اثورا » .

وقد كانت من نتيجة تحول اللغة الفارسية القديمة الى الفهلوية (الفارسية المتوسطة) ، وذلك في نحو سنة ٤٠٠ قبل المسيح ، أن حذفت جميع الهمزات الخفيفة في اوائل الكلمات وقد وقع شيء من مثل ذلك حتى في الفارسية القديمة . ولا تزال الفهلوية تحتفظ احياناً بهذه الحروف كتابةً لا لفظاً . فتكتب مثلاً في الفهلوية (اسورستان) وتلفظها (سورستان) على ما كتبها فيما بعد حمزة الاصفهاني . وبعد الفتح الروماني لم يبق في حوزة (الاشكانيين) وبني ساسان إلا جنوبي الجزيرة وحده . ثم اجتاحت شمالي الجزيرة قبائل عربية . واطلق في ذلك العصر على العراق اسم جديد هو (اسورستان) . ولا ريب في ان هذا الاسم أُريد به مطمح ساساني . وهو ما حصل يوم اطلقوا لفظ (اذريجان) على منطقة (باكوم) ولم تكن في يوم من الأيام منه .

وفي نحو سنة ٣٦٤ للميلاد وضع (سابور الأول) على (كعبة زرادشت) التي رفعها على مقربة من مدينة (نرسيبوليس) كتابة ثلاثية اللغات للتفريق ما بين الولاية الفارسية (اسورستان) أي العراق والولاية الرومانية (اسوريا) أي الشام . وقد جاءت لفظ (اسوريا) بلا ألف . واستعمل النص الفارسي النسبة (سولياي) ، السوريين ، (كذا) ، على حين اطلق النص اليوناني على الجزيرة اسم (سوريا بين النهرين) كما ذكرها مؤرخو الاسكندر .

واقصر النص الفهلوي على ميان روزان اي بين التهرين ويريد بذلك أيضاً الجزيرة^(١) وهو اصطلاح جرى عليه في ذلك العصر جميع الكتاب من اليونان والرومان فقالوا: (سوريا) بدلاً من الشام و (اسوريا) بدلاً من العراق . وأطلق (اديابيني Adiabene) وهي (خديب) القديمة على مقاطعة (إربل وكر كوك) وهي آشور القديمة .

وبعد ان عقد صلح (يونيانوس) بعد موت (يونيوس) المارق في سنة ٣٦٣ للميلاد لم تقف القبائل العربية في فتوحاتها عند حران والرها بل نزلت أيضاً المناطق ما بين نصيبين ودجلة ومنذ ذلك العهد صارت الجزيرة ديار بكر ومضروبيعة .

ارنست هرتزفلد

ملاحظات على تاريخ حكماء البسطة

- ١ - جاء في ص ٢٣ ذكره لأبي الحسن البسطامي الطيب الحكيم ، وعلقتم عليه بأن في التاج ذكره بصورة «أبي الحسن البسطامي النهرواني علي بن احمد بن يوسف . . . البسطامي توفي سنة ٤١٧» . ولعمري لئن اتفقت الكنيثان ما بين الرجلين اتصال ، لأن الحكيم بسطام بلده ، ولأن النهرواني بسطام جده ، وليس له بالحكمة والطب علاقة ولا مع أصحابها صداقة ، ثم انه نهرواني محدث معروف بابن كردي ولكن ابا سعيد السمعاني - رح - يتكثر في ذكر الرجال في غير مواضع انسابهم وكان حربياً ان يذكره في «الكردي» قال الخطيب البغدادي «ج ١١ ص ٣٣٠» : «علي بن احمد بن هارون . . . ابو الحسن المعروف بابن كردي المعدل النهرواني . . .» وذكر سماعه للحديث حسب روايته له وسنة ولادته «٣٣١» سنة وفاته ٤١٧ ، ونقل السمعاني أقوال الخطيب ثم نقل السيد مرتضى ما وجد في أنساب السمعاني .

وبيت كردي النهرواني معروف عند مؤرخي العراق منهم احمد بن علي بن الحسن

(١) هكذا فهم ظاهر العبارة .

ابن محمد بن كردي القاضي المتوفى سنة ٦٠٥ ومحمد بن الحسن بن الحسين بن كردي القاضي المتوفى سنة ٥١٨ والحسن بن محمد بن احمد بن كردي الشاهد المعدل ولم أعلم وفاته إلا أنه عدل سنة ٥١٧ هـ وعلي بن الحسن بن محمد بن احمد بن كردي والد احمد ابن علي المذكور قبل هذا ، توفي سنة ٥٦٠ وكان شاحداً معدلاً أيضاً ، فهم بين قضاة وشهود .

٣ - وذكرتم في حاشية ص ٣٦ « زيد بن رفاعه » أحد مؤلفي رسائل اخوان الصفا ولم تذكروا قول الخطيب البغدادي فيه قال « ج ٨ ص ٤٥٠ » « زيد بن رفاعه ابو الخير ، حدث ببلاد الجبال وخراسان . . . وكان كذاباً » وذكر أنه روى كتب الأدب عن ابن دريد وابن الأنباري وأنه كان معنياً بالفلسفة وادعى الهاشمية ، والظاهر أن القوم ظنوه لاعتنائه بالفلسفة ، فان اخباره تدل على سلامة نفس وخلق . وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات بصورة « زيد بن عبد الله بن رفاعه ابو الخير الهاشمي احد الأدياء العلماء الفضلاء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد . قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا عنه أنه قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال . . . » وذكر ابن الجوزي في المنتظم « ج ٩ ص ١٢٧ » أن ابن ودعان الموصلي مرق الأربعين حديثاً التي وضعها زيد بن رفاعه الهاشمي وأعاد كلامه ابن الأثير ، وذكر زيد بن رفاعه هذا الذهبي في الميزان و « لسان الميزان ج ٢ ص ٥٠٦ ٥٠٨ » ونقل ما قاله ابو حيان فيه ، نقلاً عن كتاب الابتاع والمؤانسة . ومن مؤلفات زيد بن رفاعه « جوامع اصلاح المنطق » وقد طبع بالهند سنة ١٣٥٤ وعندني منه نسخة .

٣ - وجاء في ص ٤٤ س ١ « فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة » . والأولى بالمقام « المستطرفين » أي الذين اخذوا العلم من اطرافه لا من صميمه ، ومنه قول الجاحظ في رسالته مناقب الترك ص ٢٦ « مروتى شاء الخارجى . أن يقرب منهم ليتطرقهم او ليصيب الفترة منهم »

- ٤ - وورد في ص ٥١ « أبو العباس أحمد ... كاتب فيلسوف ... من كتاب الأمير خلف بن أحمد (الذي) دوّخ البلاد وتعلق بيد بن حسنويه » • وعلقتم على « دوّخ » بأن الأولى بها « طوّف » وأنا أرى أن زيادتكم « الذي » غيرت المعنى فصار خلف بن أحمد المدوخ وليس ذلك بمراد والصحيح أن أبا العباس هو الذي دوّخ البلاد أي أكثر وطأها على ما في مجاز أساس البلاغة • وكثرة الوطء تدل على السياحة •
- ٥ - وجاء في ص ٥٢ من ٤ « في أيام الأمير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور » والذي أراه أنه « الحميد » لا الحميد لأن القدماء لم يصفوا انساناً بالحميد لكونه من الأسماء الحسنى فاذا زال الالتباس باسناد الحمد إلى الخلق والدين قالوا « حميد السجيا وحמיד الدين » ويؤيد قولنا ما ورد في ص ١١٥ قال المؤلف فيها « فأصاب عميد خراسان محمد بن منصور قولنج » • فالحميد مستعمل لأمرأى ذلك القطر •
- ٦ - وورد في حاشية ص ٥٣ « وكان الطوفي من أهل القرن الثامن جامعاً لأضداد المذاهب » • وقد ولد الطوفي سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١٦ « الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥٤ » فهو من أهل القرن السابع وأدرك القرن الثامن أما إدخال ابن حجر له في أعيان القرن الثامن فهو وهم وكان أخرى أن يسمي كتابه « الدرر الكامنة في متوفي أوفيات المائة الثامنة » •
- ٧ - وفي حاشية ص ٦١ أن زبدة النصره للأصفهاني والصحيح أنها للفتح بن علي البتداري • ونصرة الفترة وعصرة الفترة للعاد •
- ٨ - وورد في ص ٦٢ « وكان علاء الدين سأل الشيخ المصير إليه » وجاء في ص ٦٣ « علاء الدولة » وهو الصواب •
- ٩ - وورد في ص ٦٣ تصحيح أبي جعفر بن كا كويد (ابن كا كويه) اعتماداً على الوفيات والكامل • وفي المكتبة الظاهرية كتاب تجسيم عظيم كان يمكنكم الاعتماد عليه وهو « معجم الألقاب » لمجمل الدين ابن النوطي الذي هو أول نوعه • قال ابن النوطي : « علاء الدولة أبو جعفر بن دشتيبار بن كا كويه الديلمي صاحب

اصبهان...» ومرد أخباره الى ان قال ان اسمه محمد • ومن المعلوم ان الكتاب بخط ابن الفوطي مؤرخ العراق الكبير فالاعتماد على الخط من البراهين المعتمدة في مثل هذا الباب •

١٠ - وجاء في ص ٦٧ س ٥ اسم «ابي سهل الحمدوني صاحب الري» ولم تعلقوا عليه بكلمة ، قال ابن الفوطي في مجمع الألقاب ايضاً : «العמיד ابوسهل احمد بن الحسن الحمدوني العارضي» ذكره ابو منصور عبد الملك بن سعد الثعالبي النيسابوري في كتاب نعمة اليتيمة^(١) ، وقال : هو سليل الرياسة وغذي السياسة وبدر الأرض وشمس الفضل وعمدة الملك • وأنشد له من شعره : ...»

فهو «الحمدوني» نسبة الى حمدويه « لا الحمدوني المنسوب الى حمدون •
١١ - وورد في ص ٦٨ «حارب فيها علاء الدولة الأمير حسام الدولة ابا العباس تاش فراش على باب الكرخ» • وجاء في الفهرس ايضاً «الكرخ» محالاً به على هذه الصفحة ، ولم يكن لذين حرب قط على باب الكرخ والصواب «الكرج» بالجيم لا باخاء وهي من مواضع بلاد العجم بالقرب من همذان من نواحي الجبال بين همذان ونهاوند وهي كرج ابي دلف العجلي القائد العربي المشهور •

١٢ - وجاء في ص ٧٢ أن اسم ابي الريحان البيروني في التاج هو «احمد بن محمد» قلت وفي معجم الأدباء «ج ٦ ص ٣٠٨» محمد بن احمد ابو الريحان البيروني الخوارزمي «وفي روضات الجنات للخونساري «ج ١ ص ٦٨» انه احمد بن محمد ابن احمد المروزي البيروني الخوارزمي» ثم ترجمه في باب المحمدين «ج ٢ ص ١٧٩» وقال «الحكيم العظيم الشأن ابو ريحان محمد بن احمد البيروني صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية ...»

١٣ - وورد في ص ٧٣ س ٣ «وله مناظرات مع ابن علي» والصواب «ابي علي» اي ابن سيناء يؤيد قولي ما ورد في ص ١٠٢ «ولما اجاب ابو علي عن اسئلة ابي الريحان

اعترض على تلك الأجوبة ابو الريحان وتنفوه بكلمات متضمنة سوء ادب «...»
 ١٤ - وعلقت في ص ٨٤ على وفاة البوزجاني وانتقاله الى العراق من مختصر
 الدول ، والأولى مراجعة مصدره أعني تاريخ الحكماء لابن القفطي «ص ١٨٨»
 من طبعة الخانجي فقد ذكر أن وفاته يقع في ثالث رجب سنة ٣٨٨ .
 ١٥ - وورد في ص ٤٣ ذكر «ابي الحسن كوشيار بن ليان بن باهري (?)»
 الجيلي . قلت : ورد في تاريخ الخطيب البغدادي «كوشيان بن ليالروز بن الحسين
 ابن عيسى بن مهدي ابو علي الجيلي» ج ١٢ ص ٤٩٣ . وأحال طابعه على الانساب
 وانه فيه «كوشيار بالراء ابن ليالون» ، وفي وفيات الأعيان «ج ٢ ص ٣٢٠ من
 طبعة العجم» : قال كوشيار بن ليان بن باهري الجيلي صاحب كتاب الزيج
 في رسالته «...» .

وفي ص ٧ من باب الحروف من المجلد الرابع من فهرست المكتبة البلدية
 بالاسكندرية «كتاب في اصل صناعة الأحكام الفلكية» تأليف العلامة ابي الحسن
 كوشيار بن ليان بن باهري الجيلي من علماء اواخر القرن الرابع الهجري «...» .
 وفي ص ٥ من المجلد الخامس منه في باب الرياضيات «الزيج الجامع تأليف الامام
 السعيد كوشيار بن ليان بن باهري الجيلي» من علماء اواخر القرن الرابع
 الهجري «...» وفي الحاشية أن مؤلف كشف الظنون سماه «كوشيار بن كنان»
 وخطأه المفهرس . فهو جيلي لا غير ذلك وابن باهري .

١٦ - وورد في ص ١٠٧ «وتقصان الفعل على القول» . ولعل الأصل «عن لقول» .
 ١٧ - وجاء في ص ١١٢ أن فرامرز بن علي هو ملك الري وأن الأصل
 «ملك يزد» فأصلحتموه ، ولم أدر السبب فراجعوا معجم الألقاب في باب
 «علاء الدولة فرامرز» وأخيه كرشاسف فانهما يزيدان وكانا ملكي يزد لا الري .
 ١٨ - وجاء في ص ١٣١ «ثم ارتبطه علاء الدين بن قماج يلمج» والصواب
 «علاء الدين قماج» قال ابن الفوطي في معجم الألقاب «علاء الدين قماج بن

عبد الله البلخي الأمير ، كان عالي الهمة وكان السيد الايلاني مقيماً بباخرز وكان عالماً بالحكمة العلية والعملية وارتبطه علاء الدين قماج ببلخ وقتل في بعض الحروب .
والظاهر أن مصدره تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي أيضاً إلا أنه طوى ذكره .
هذا أهم ما استوقف نظري في أثناء المطالعة ، أما في المقدمة فقد ورد في ص ٤ « نثمة دمية القصر » والأحسن « نثمة دمية القصر المعروف بالوشاح أي وشاح الدمية » .
مصطفى هوار

استدراك

على ترجمة الأمير شكيب أرسلان المدرجة في الصفحة الـ ٨٦
من الجزء الاول والثاني من المجلد الـ ٢٢ .

الكلمة التي قالها الأستاذ الرافعي في الأمير شكيب - رحمها الله - ونوهت بها في مقالي السابق ، هذه هي :
« الأمير شكيب أرسلان اذا غاب عن أرضه ، فالعلم به في كل أرض ؛ وهو امام في كل فنونه : من الأدب واللغة والترسل والشعر والتاريخ والسياسة ، مقدم في جميعها ، منظور اليه نظرة أهل المسجد لإمام المسجد ، ولو أوجزت في شرح حقيقته العظيمة لقلت : انه رجل بعثته القدرة الالهية في اقطار الدنيا ، لتخرج منه هذا المجموع الذي لا يجمعه فرد ، ثم ليخرج من هذا المجموع قوة ، ثم لتعمل هذه القوة عملها في نهضة العالم العربي ، فروحاً للشورة ، وقلبه للآيات ، وعقله للسياسة ، ولسانه للبيان ، وهو في جملة جملة متميزة تعارض عليها الأفراد ، ولا يعارض هو بفرد .

ولا عيب في شعر الأمير شكيب الا انه شعر الأمير شكيب ، فالشاعر هنا تام بكل أسبابه ، ولكنه مصروف عن الشعر برسالة عظيمة يؤديها في غير تملكة الخيال ، فهو في الميدان لا في الرياض ، وفي الخنادق لا في القصور ،

وفي الحقائق لا في الأخيلة ، ومع الأسود لامع الظلمات ، وهو لتأليف أمة
لا لتأليف ديوان » .

ومن الكتب التي لم تحضرني أسماؤها مما وضعه أو أخرجه الأمير رحمه الله :
الدرة الينيمة لابن المقفع .

وجاء في المقال السابق ص ٨٩ (والقائم مقامية) ولعل قائم المقامية هنا أفضل .
وفيها المبعوثات وصوابها المبعوثان .

وجاء في ص ٩٠ (الناسيون آداب الأمة العربية) وصوابها : (الناسيون
آداب الأمة العربية) .

وفي الصفحة ٩٥ (فعني عنهم) وصوابها (فعفا عنهم) .

عارف السكري

•••••

مؤلف محاسن المساعي^(١)

وقع في يدي كتاب « محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي »
الذي نشره العلامة الأمير شكيب أرسلان سنة (١٣٥٢) فاستفدت مما فيه
وخاصة التعليقات . وقد لفت نظري ما كتبه ص (٣) وما علق عليه في ص (١٦٥)
من قوله : الذي يظهر لنا ان جامع هذا الكتاب الذي اعطاه هذا الامم
« محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي » هو من اهالي القرن التاسع لما تقدم
من رواية احاديث حضر مجالسها بنفسه سنة (٨٢٢) وان زين الدين بن تقي الدين
ابن عبد الرحمن الخطيب انما هو ناسخ هذا المخطوط وذلك في سنة (١٠٤٨) هـ .
رجعت الى مذكراتي فראيت انه ورد ذكره في الضوء اللامع للسخاوي
واذا بي أتعرف الى مؤلف هذا الكتاب المترجم في الضوء فقد جاء في
(٧١/٢ و ٧٢ منه) ما يلخصه به يعرف مؤلف « محاسن المساعي » وهو :

(١) كتبت هذه المقالة قبل وفاة الفقيه المرحوم الأمير شكيب بنهر وتأخر نشرها الى الآن
ولدينا كلمة في هذا الموضوع للأستاذ محمد راجب الطباخ ينشرها في الجزئين القادمين .

أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد الشهاب أبو العباس بن الشمس الموصلي الدمشقي ويعرف بابن زيد . لازم العلامة ابن زكنون حتى قرأ عليه الكتب الستة ومسند امامها . وحدث ودرس وافتي ونظم يسيراً وجمع في أشهر العام ديوان خطب واختصره . وكذا اختصر السيرة لابن هشام وعمل منسكاً على مذهبه ^(١) سماه ايضاح المسالك في اداء المناسك . وافرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمي الأول تحفة الساري الى زيارة تميم الداري ، والثاني « محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي » . . . الى ان قال : مات في يوم الاثنين تاسع عشرين صفر سنة سبعين (اي وثمانمائة) ودفن بمقبرة الحميرين ظاهر دمشق ١٠ هـ

ولما كانت كثيراً ما تتوارد خواطر المؤلفين على اسماء الكتب فتسمى عدة مؤلفات باسم واحد كان من الجائز ان يؤلف مؤلفان في مناقب الأوزاعي يسمي كل منهما كتابه « محاسن المساعي » فطفقت أنشد في الكتاب دليلاً آخر على ان مؤلفه هو « ابن زيد » فاذا في ص (١٤٧) من محاسن المساعي يقول المؤلف : ولندكر حديثاً آخر من طريق الامام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى . اخبرنا بجميع صحيحه - بقراءتي عليه وهو يسمع بجامع دمشق في مجالس آخرها يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وثمانمائة - للشيخ الامام العالم العامل الزاهد بقية السلف الصالح أبي الحسن ^(٢) علاء الدين علي بن الحسين بن عمرو المشرقي ثم الدمشقي .

وبالرجوع الى ترجمة المذكور في الضوء اللامع (٢١٤/٥) اذا بالسخاوي يقول عنه : علي بن حسين بن عمرو العلاء أبو الحسن المشرقي ثم الدمشقي الحنبلي ويعرف بابن زكنون . ومن هذا يتضح ان العلاء بن زكنون شيخ المؤلف - الذي

(١) كان حنبلي المذهب بدليل قول السخاوي : قرأ على ابن زكنون الكتب الستة ومسند امامها يريد بذلك مسند الامام أحمد وجاء في ترجمة ابن زكنون أنه حنبلي المذهب . (٢) مكذا في الأصل المطبوع والصواب فيه : الشيخ الامام . . . أبو الحسن الخ . لأنه فاعل أخيراً .

قرأ عليه الكتب الستة - هو أبو الحسن علاء الدين علي بن الحسين بن عردة المشرقي
الدمشقي نفسه الذي روى عنه صحيح الامام مسلم بجامع دمشق سنة (٨٢٢) .
وبعد هذا كله يكون من المحقق ان مؤلف كتاب «محاسن المساعي» الذي
نشره وحققه الامير شكيب ارسلان هو «الشهاب أبو العباس احمد بن محمد بن
احمد بن أبي بكر الشهير بابن زيد الموصلية الدمشقي الحنبلي المتوفى بدمشق سنة (٨٧٠)
محمد احمد دهمان

— ٣٥٥٤ —

كنت أشرت في كتي المنشورة في الصفحة ٥٧١ من المجلد ٢٠ من مجلة الجمع
بمعنوان حَبْرُونَ لَا جَبْرُونَ الى الخطأ الذي وقع في نسخ القاموس المحيط أو طبعه
والآن أذكر في هذه الكلمة والتي تليها :

- ٢ -

مَشَارِف لَا مَشَارِق

جاء في مادة «مؤنة» موضع بِمَشَارِقِ الثَّام قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَفِيهِ
كَانَ تَعْمَلُ السُّيُوفُ .

ورد هذا في طبعة القاموس المطبوع باليمن بمصر عن نسخة المؤلف الصلاحية
الرسولية التي قبلت نسخة الشيخ محمد الشنقيطي عليها وهي التي اعتمدت حين
الطبع وكذلك جاء في نسختي المخطوطة القديمة .

ورجعت الى معجم البلدان لياقوت الحموي لأستأنس به عن «مؤنة» فإذا فيه ما يأتي :
وفي مغازي - ابن اسحاق في حديث مؤنة : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا يتخوم
البلقاء لقيتهم جموع هراقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارق .
فهذا نخذ تجعلها بعينها قرية بعد أن قال انها تنسب اليها السيف المشرف .

اللبن لا البان

وورد في القاموس في مادة ل . ب . ن : أَلْبَانُ موضع بين القدس ونابلس . قلتُ ولم يذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان الا ان بين القدس ونابلس قرية تسمى اللبن كما ان بالقرب من هذه القرية عين ماء يستقي منها أهلها ولا تزال هذه القرية مأهولة وعدد سكانها (٤٧٥) نسمة . وكان في القديم خان على رأس تلك العين ظل الى أوائل القرن الحالي الا انه أهمل بسبب استعمال آلات السفر البخارية التي تطوي الأرض كطي السجل وتقرب الأبعاد . وقد ذكر عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م في رحلته المسماة الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية خان اللبن فقال :

ولم نزل سائرين والى جهة بيت المقدس متوجهين حتى وصلنا الى عقبة اللبن وهناك خان وبركة فنزلنا ساعة وأبدلنا الحركة بالسكون ثم أكلنا ما نيسر من الزاد وشكرنا رب العباد وشربنا من ذلك الماء اللطيف الذي يطفي حرارة الأكباد ثم ركبنا وصعدنا تلك العقبة الكؤود وبذلنا في قطعها المجهود الى آخر ما هنالك .

عبد الله خلص

الجائزة

التي وضعتها جامعة الدول العربية للمؤلفين
قررت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وضع جائزتين للتأليف تحقيقاً لمشاريعها الثقافية في تشجيع التأليف والكتابة في البلاد العربية .
١ - الموضوعان المقترحان لنيل جائزة الجامعة العربية هما :
(أ) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى خروج العرب منها وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب .
(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق - الشام - مصر والسودان - بلاد المغرب

جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى اول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

٢ - يكتب الكتاب بلغة عربية صحيحة كتابة علمية لا عاطفية انشائية في مستوى الجمهور المثقف .

٣ - في عرض الموضوع تذكر مصادر البحث في حواشي الصفحات مع ذكر ارقامها وتذكر النصوص اذا دعت الحاجة .

٤ - يعني في الكتاب بتاريخ الأمة والشعب والحضارة ولا يقتصر على تاريخ الأشخاص والحروب .

٥ - على المؤلف ان يطلع على المصادر الهامة المكتوبة في الموضوع بلغة اجنبية ويشير اليها .

٦ - لا يجوز تقديم كتاب في أحد الموضوعين سبق نشره .

٧ - لا تقل صفحات الكتاب عن (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط .

٨ - يزود الكتاب بالخرائط التي يحتاج اليها .

٩ - يقبل الكتاب الذي اشترك في تأليفه اكثر من مؤلفه .

١٠ - الجائزتان كل منهما (٥٠٠) جنيه .

١١ - يحق لكل عربي ان يشترك في المسابقة اياً كان قطره .

١٢ - اذا قبلت لجنة التحكيم كتابين متقاربين في الجودة في احد الموضوعين

وزعت الجائزة بينهما - ولا يجوز ان تقبل اكثر من كتابين .

٣ - يكون الكتاب ملكاً للمؤلف بشرط ان يطبعه وينشره في ظرف

سنة من قبول لجنة التحكيم فاذا لم يطبعه في هذه المدة كان للجامعة ان تطبعه .

١٤ - آخر موعد لتقديم الكتاب اول مايو (ايار) سنة ١٩٤٨

مدير ادارة الشؤون الثقافية

احمد امين

الصفحة فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الثاني والعشرين

- ٩٧ كنوز الأجداد (٢) للأستاذ محمد كرد علي ...
 ١١٠ شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لالعكبري (٢) = مصطفى ...
 ١٢١ الخيل والابل في الشعر الجاهلي خلدون ...
 ١٣٠ كنز من كنوز الجاحظ (٣) عبد ...
 ١٣٨ آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري (٤) = عباس ...

مخطوطات ومطبوعات

- ١٥٠ أقوالنا وأفعالنا للأستاذ شفيق جبري ...
 ١٥١ المستجاد من فعلات الأجواد = = =
 ١٥٢ تبسير الكتابة العربية = = =
 ١٥٤ التبراس في تاريخ خلفاء بني العباس عارف النكدي ...
 ١٥٥ آراء وأحاديث في الوطنية والقومية = = =
 ١٥٦ ابن طفيل وقصة حي بن يقظان للدكتور جميل صليبا ...
 ١٥٩ نظام التربية في اميركا = = =
 ١٦١ الدكتور (كنوك) أو انتصار الطب = = =
 ١٦٢ العلويون من هم؟ وأين هم؟ للأستاذ جعفر الحسني ...
 ١٦٤ كتاب اللغات في القرآن للأستاذ محمد احمد دهمان ...

آراء وأنباء

- ١٦٥ تطور الألفاظ والتراكيب والمعاني للأستاذ محمد كرد علي ...
 ١٧٨ سورية = = =
 ١٨١ ملاحظات على تاريخ حكماء الاسلام مصطفى جواد ...
 ١٨٦ استدراك = = =
 ١٨٧ مؤلف محاسن المساعي محمد احمد دهمان ...
 ١٨٩ مشارف لا مشارق عبد الله مخلص ...
 ١٩٠ المجازة التي وضعتها جامعة الدول العربية للمؤلفين = = =

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٧ جمادى الآخرة وشهر رجب سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

— ٣ —

عبد القاهر الجرجاني

٤٧١ — ٤٧٤

(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن وقيل ابن عبد الواحد)

خلاصة ما قال فيه مترجموه انه لما أخذ العربية عن أبي الحسين الفارسي النحوي ابن اخت أبي علي الفارسي وانه قرأ على القاضي علي بن عبيد العزيز الجرجاني واعترف من بجره وكان اذا ذكره في كتبه ينجس به ويشمخ بأنفه بالانتماء اليه وكان يزحل اليه من الآفاق ولقب بالنحوي وعد من كبار أئمة العربية وقال صاحب الطراز انه علم المحققين وأول من أسس قواعد علم البلاغة ذلك قيد الغرائب بالتنديد وفتح أزهاره من أكامها وفتح ازواره بعد استغلاقتها واستنباطها . وقالوا انه كان شافعي المذهب متكياً على طريقة الأشعري مع تدوين وورع ولم يخرج من بلده . وقالوا انه كتب كتباً في النحو منها شرح الايفاح في ثلاثين

مجلداً وله غيره . وأهم كتبه المطبوعة « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وبها
 خلد اسمه في عالم الأدب . ودلائل الإعجاز صحيفة من الأدب العالي لم يكتب
 اليان ولا النحر ولا الفقه بثل هذا اللسان العذب . ولا يجازف إذا قلنا ان
 جودة كلام عبد القاهر في تقرير القواعد واللسانير قل ان يدانيه فيه أحد
 من المصنفين ونعني بالمصنفين ارباب التواليف في قرون ازدهار اللغة والكتابة .
 تظن نفسك وأنت تتلو فصلاً من دلائل الإعجاز أنك في كتاب ادب كتب
 بسلاسة وعذوبة لا يفي كتاب علم جاف بقرر حقائق ويأتي بمسائل فيحلبها ،
 ويناشئ مخالفيه ويغضب منهم وينفضهم ، ويورد من الأمثلة ما يؤيد دعواه .
 وربما لا نعدو الحق إذا قلنا ان عبد القاهر كاتب القرن الخامس وهو اكتب
 من صديقه جار الله الزمخشري فجار الله انما اشتغل بمتن اللغة كثيراً وهذا انصرف
 الى البيان والتبيين وجمع بين صحة المباني وجودة المعاني . وخصلة أخرى وهي
 أنك إذا قرأت صفحة من دلائل الإعجاز تعتقد لساعتك ان المؤلف من الرعيل
 الذين هضموا ما تعلموا وعرفوا كيف يحملونه الى من يحاولون تعليمهم وانه
 مارس علمه اي ممارسة وتدارسه أي مدرسة .

كان الجرجاني ينظم الشعر في بعض ما تأثر به نفسه وعرفنا بالقليل الذي روي
 عنه انه كان حائقاً على الأيام متبرماً بأهل زمانه فما عثره اليه وهو مشهور قوله :

كبر على العلم يا خليبي وميل الى الجهل ميل هائم
 وعش بليداً نعيش سعيداً فالسعد في طالع البهائم
 وله في شكاية من أبناء الزمان واستبلاء تقصهم على فضله :
 هذا زمان ليس فيه سوى النذالة والجهالة
 لم يرق فيه صاعد الا وسلكه النذالة
 وله أيضاً :

لا يوحشك انهم ما ارتاحوا مما جلاه عليهم المداح

فهم كقوم علفت بازائهم يفض المرأى والرجوه قباح
ومن شعره :

لا تأمن النشئة من شاعر مادام حياً سالماً ناطقاً
فان من يندحك كاذباً يحسن ان يهجوكم صادقاً
ذكروا له شعره ولم يذكروا كتابته وكتابه هي موضع السمو فيه ذلك
لأنه لم يتول من أعمال السلطان ما تكتب له به شهرة وجرت عادة اصحاب
التراجم ان يهتموا أبداً بتلقط شعر المترجم لم أكثر من اهتمامهم بالتقاط نثر
الناثرين وكتابة المثنئين .

ومن كلامه يصف كساد سوق الفضل في عصره : «ثم إنا وإن كنا في زمان
هو على ما هو عليه من احالة الأمور عن جياتها وتحويل الأشياء عن حالاتها
وتقل النفوس عن طباعها وقلب الحقائق المحمودة الى اخدادها ، ودهر ليس
للفضل واهله لديه الا الشر صرفاً ، والفيظ بجنأ ، والا ما يدهش عقولهم ، ويسلمهم
معتولهم ، حتى صار أعجز الناس رأياً عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد
علماً او يزداد فهاً او يكتسب فضلاً او يجمل له ذلك بحال شغلاً .

الازدواج في كلام عبد القاهر أكثر من السجع واذا سمع فسجعه ينطوي .
على معنى آخر قد لا تجده في السجعة الأولى ، ورصف الالفاظ ومتانة التراكيب
هو محل العجب في كلامه . ونرى ان عدم التكلف في ارسال جملة هو الذي
مأس به بيانه . انظر اليه يقول في وصف اعجاز القرآن لا يخرج عما يقوله في
درس او يحاور به شخصاً : فاذا كنت لا تشك في ان لا معنى لبقاء المعجزة
بالقرآن الا ان الوصف الذي له كان معجزاً قائم فيه ابداً وان الطريق الى
العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل تكون اذا انت زهدت
في ان تعرف حجة الله تعالى ، وآثرت الجهل فيه على العلم ، وعدم الاستبانة على
وجودها ، وكان التقليد فيها احب اليك ، والتمويل على علم غيره آثر لديك ،

ونحن أقوى منك ، وراجع عقائد ، وصدق نفسك ، بين لك نحن الغنط فيا
رأيت ، وقبح الخطأ الذي توهمت . وحل رأيت رأياً عجز ، واختياراً اتبع ،
من كره ان تعرف حجة الله تعالى ، من الجهة التي اذا عرفت عنها كنت انور
وأبهر ، وأقوى وأقهر ، وآفر ان لا يقوي سلطانها على الشرك كل القوة ولا
تعلو على الكفر كل الملو .

ونحنم الكلام في هذا العظيم ، ونحن معترفون بالعجز عن توفيقه بعض حقه ،
بقوله في خطأ بعض المفسرين في عدم التفريق بين الحقيقة والمجاز في الألفاظ
قال : . ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان توهموا ابدأ في الألفاظ
الموضوعة على المجاز والتشبيه انها على ضواصرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض
ويتعوا انفسهم والسمع منهم انعلم بوضع البلاغة وتبكان الشرف وتاهيك بهم
اذا هم اخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثروت في غير طائل . هناك ترى
ماشتت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد قدحوا به .

القاضي علي بن عبد العزيز

أبو علي

لم نعرف شيئاً عن حياة أبي الحسن علي بن عبد العزيز في طفولته وشبابه ،
وغاية ما ترجموا له أنه ولد في جرجان ، وأخذ العلم عن بعض علماء نيسابور ،
وطوّف في العراق والشام وصار عالماً في أنواع العلوم والآداب ، وأنه تولى القضاء ،
وأخيراً منصب تولاه القاضي قضاء الري واتصل بالصاحب بن عباد الوزير الأديب
فكان لا يفارقه مقياً وخائناً ويقول إنه من أفراد الدهر في كل قسم من
أقسام الأدب والعلم ، وقالوا إنه كان حسن السيرة صدوقاً في قضائه ، يقضي
ويقتي على مذهب الشافعي وهو كصاحبه صاحب معتزلي الرأي والمذهب .
وكان أكثر أهل بلده جرجان في عصره حنفية والباقيون شيعية ، وللشيعية فيها
جلبة وتقع فيها عصبية على المذاهب .

وقالوا إن القاضي علي بن عبد العزيز كان يجمع خطاً ابن مقله الى ثمر الجاحظ ونظم البحري ، فهو إمام في الصناعتين ، وإمام في الفقه عظيم ، ومؤرخ حجة ثبت ، وقد ألف في الفقه والتاريخ كما ألف في الأدب والشعر ، فهو عزيز الفضل صحيح الحجة وديع النفس ، تام المروءة جهم الوفاء ، صلحت يده من الرشا ، ونفسه من الدنايا ، وعرف كيف يقيم العدل ، ويذهب بعموم الفضل . لا نعلم أي الملكتين كانت أقوى في القاضي ابن عبد العزيز الشعر أم النثر ؟ ولا أي الفصيلتين أرسخ في قلبه العلم أم العدل . وشعره سلس قرصه قصائد ومقطعات ولا سيما في الغزل ، وثره السهل المحتج . وما تنوّل شعره القرن بعد القرن إلا لما فيه من حكم شائقة تذوقها النفوس ، وقل أن يظفر بمثلا في كثير من دواوين الشعراء . وما كان لشعره طابعه انخاص إلا لأنه صورة من أخلاقه ، ومنزع من منازعه في الحياة ، وما قال في وصف الشعر :

وما الشعر إلا ما استقر مدحاً وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضياً
أطاع فلم توجد قوافيه تُقرأ ولم تأت له الألفاظ حسرى لو اغنيا
ومن شعره ما جرى بجرى الأمثال لأنه حوى إبداعاً ليس لغيره مثله ،
ومنه قصيدته المشهورة التي يجب على كل من اتخذ العلم صناعة أن يجعلها دستوراً
يسير عليه في حياته وهي :

يقولون لي فيك اتقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الدل أحجماً
أرى الناس من دانا هم هان عندهم	ومن أكرمه عزه النفس أكرماً
: ولم أفض حق العلم إن كان كما	بدا طمع صيرته لي سلماً
وما زلت متحازاً بعرضي جانباً	من الدل أعتد الصيانة مغناً
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكن نفس الحر تحتل الظماً
أنزدها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أولمناً
فأصبح عن عيب اللثيم مسلماً	وقد رحت في نفس الكريم معظماً

وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت
ولكنه إن جاء عفواً قبلته
وأقبضُ خطوي عن حظوظ كثيرة
وأكرم نفسي أن أضاحك تائباً
وكم طالب رقي بنعماء لم يصل
وكم نعمة كانت على الحر نعمة
ولم أبتذل في خدمة العلم ميعتي
أأشتي به غرساً وأجنيه ذنبة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن اهانونه فهان ودنسوا
وما كل برق لائح لي يستفزني
ولكن إذا ما اضطرني الضر لم أبت
إلى أن أرى ما لا أغصُّ بذكره

ومن مقطعاته :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب حليماً
ليس شيء أعزُّ عندي من العلم فلا تبتغي سواء جليماً
إنما الدل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

وقال :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع
إذا لم يكن في الأرض حرث يميني
فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
ولم يك لي كسب فمن أين أرزق
وقال من آخر :

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغني
وبيني وبين المال بابان حرماً
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
عليّ الغني نفسي الأية والدهر

وهذا من الشعر الذي يشمر بمظم تنفس صاحبه ، ولم يتناقل شعره في النزل والمدح على رفته تناقل شعر المجيدين مثله ، ولكن هذه المعاني وهذه الحكم عزت في شعر الشعراء فأصبحت بحكم المتنبي من خير ما حملته ديوانه .
أما ثمره فهو مرسل على الأغلب ، تقرأ صفحات بارعة منه في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره . ومثله جدير بأن يدافع عن شعر شاعر عظيم وهو شاعر يعرف من أين تؤكل الكتف ، يعرف بعلمه وتوسعه في صناعة الكتابة ، كيف يورد حججه ويصدرها بهذا البيان المرقص المطرب . والسبب في دفاع القاضي أبي الحسن عن المتنبي أن صاحب بن عباد لما عمل رسالته في إظهار مساوي المتنبي عمل هو كتاب الوساطة ، ولم تتمه صلته بالصاحب عن رده عليه رأيه ، وما جالت الصداقة دون تزييف رأيه ، والحق أولى بالصداقة من كل صديق .

وفي هذا الكتاب كما قال الثعالبي « أحسن وأبدع وأطال وأطاب » وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبجّره وفي الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد . وكتاب الوساطة من أجمل كتب النقد الأدبي لا نعرف له مثيلاً قبله ، وكأنه نبأ بطرق الغريبيين في تقدم في العمور المتأخرة ، وأوضح لهم المنهاج فساروا عليه وتوسعوا فيه .
رد في كتابه أجمل رد على من تحاملوا على المتنبي ، وأسقطوه بغير حق . وعرض فيه لجمال هذا الشعر وإبداعه وحكمه وبديعته ، وما تأخر عن إيراده ما يرذل من شعره . ومما قال فيه : « وقد نجد كثيراً من أصحابك يتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه ، ونحن نستقري القصيدة في شعره ، وهي تناهض المائة أو ثربي أو تضيف ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين ثم قد تسحّ قصائد منه وهي واقعة تحت ظلها جارية على رساها ، لا يجدل السامع منها إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ ، وانت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من

أبيات تختار وممان تستفاد ، والفاظ تروق وتعذب ، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرف لا يصدر إلا عن شجاعة وإقدام . ولو تأملت شعر أبي نوّاس حتى التأمل ، ثم وأزنت بين انحطاطه وارتفاعه ، وعددت منفيه ومخناره ، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحققت ، وعلمت أنك لا ترى لقديم ولا يحدث شعراً أعم اختلالاً ، وأقبح تفاوتاً وأبين اضطراباً ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطاً من شعره ، هذا وهو الشيخ المقدم ، والامام المفضل ، الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي ، ونشر ديوانه الكيت ، فهل طمست معاييه محاسنه ، وهل نقص رديئه من قدر جيده ؟

وتلطف واحناط قائلاً إنه لم يدع الإحاطة بشعر الأوائل والآخر ، بل لم يزعم أنه نصفه سماعاً وقراءة . قال وإنما اجسر في الوقت بعد الوقت فأقدم على هذا الحكم اتقياداً للظن ، واستئماناً إلى ما يفلب على النفس ، فأما اليقين الثقة والعلم والإحاطة فمعاذ الله أن أدعيه ، ولو ادعيته لوجب أن لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء ، واختلاف الحظوظ وخمول أكثر ما قيل في ضياع جل ما نقل ، وأظنك قد سمعت وانتهى إلى علمك أن المجتري أمستط خمسمائة شاعر في عصره فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري وما يدريني ما فيها .

هذا ما عرف من حال القاضي العظيم ، والمجال لا يتسع لإيراد شواهد من كلامه ، وفي كتاب الوساطة نموذج مهم منه يرجع إليه من شاء .

الزمخشري

(أبو القاسم محمود بن عمر)

ولد أبو القاسم الزمخشري سنة ٤٦٧ في قرية كبيرة من قرى زمخشري من بلاد خوارزم وأخذ العلم في بخارى وورد بغداد غير مرة وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري وتخرج بأبي نصر محمود بن جرير الضبي الاصفهاني . وكان

هذا وحيد دهره في علم اللغة والنحو والطب وهذا رجل عظيم اشتهرت به بلده وأنشأ لها فضله اسماً باقياً بقاء كتبه ، أقام بخوارزم مدة وتخرج به جماعة من الأكابر منهم الزمخشري ، وهو الذي ادخل الى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه اخلق جلالته وتذهبوا بمذهبه ، ومنهم الزمخشري وكان حنفياً . فأخذ بمذهب اهل العدل والتوحيد وجاهر به .

أخذ ابو القاسم عن كثير من الشيوخ في خوارزم والعراق وجاور في مكة فنقلب بحار الله ونخر خوارزم . وما منعه من التنقل في البلاد ما كان من عاهة في رجله وكان أصابه في شبابه خراج فيها فقطعها ووضع عوضها رجلاً من خشب . وكانت مقبولة من القلوب كثير الأصحاب والتلامذة وعلم هو اشادة العلماء والشعراء بذكره بما رأوا من حسن النصيح للمسلمين وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع ، وعزة النفس ، والاقبال على خويصته . فهذه الصفات أورثته مكانة زادت في الاقبال عليه وحيث الأخذ عنه والانتفاع بكتبه .

كان جارا لله اماماً في التفسير ، وتفسيره الكشاف من خير التفاسير ، وهو المعتمد عند أكثر طلاب هذا العلم في عصرنا هذا وقبله ، وكتابه « أساس البلاغة » وفيه فرق بين الحقيقة والمجاز آية في التحقيق . واشتهر له بالطبع كتب أخرى وهذان الكتابان أجملها . ومن كتبه « الفائق في غريب الحديث » لم يقتصر فيه على احاديث الرسول بل تعرض لشرح احاديث الصحابة والتابعين وتابعيهم فهو كتاب في بليغ القول جيد كأساس البلاغة على حروف المعجم وشرحه ومن كتبه مقدمة الأدب ومقاماته واطباق الذهب في المواعظ والخطب وإعجب العجب شرح لامية العرب وكتاب الجبال والامكنة والمياه والكلم التوابغ أو نوابغ الكلم والمفصل في صناعة الاعراب وكلها مفيدة لا تخرج على اللغة والاعراب والمفصل أمتها وأفيدها لما حمل من شواهد تدعم القواعد ، أما طريقتة في الانشاء فطريقة اهل القرن الخامس والسادس ، إلا انها تتم عن تمكينه

في اللغة تمكينا عظيماً . ونعني بهذه الطريقة اعتماده على التسجيع في كلامه حتى كاد يأتي على محاسن كلامه ويندحب يروثق بلاغته ، ولا نحيل القاري إلا على مقدمتي الكشف والأساس وهما كتاباه اخاليدان ولو عرنا من السجع لاستجمعتا أسباب الكمال كله ، وكذلك مقاماته وأطواقه ونوابغ كله . أما اضطلاع باللغة فهو اضطلاع اللغوي الذي تمثل ما تقل ويوبه ونسقه وأبرزه في قالب اخرجه من جفاف اللغة بمض الشيء .

ان من يطالع كتب الزمخشري يستفيد لغةً والفاظاً وتراكيب فصيحة أما البلاغة وهي في السبك فأمر ثان ذلك لأن عصره متأخر . وهو يقصد في الكشف والمفصل . ومقدمة الأدب امداد من يريد اتقان العربية بالمادة الأولى اللازمة أولاً ثم هو وان درس الزمخشري دراسة عظيمة قل ان يتيسر مثلها لغير أبناء العربية لا يخرج عن كونه أعجمياً ويئسته غالبه عليه على كثرة مقامه في بلاد العرب ، قالوا وكان لا ينطق بلغته الأصلية الا اذا اراد ان يشرح شيئاً لمن يأخذون عنه والا فهو يتكلم العربية وقد فاخر في مقدمة المفصل بنفسه فقال : الله احمد على ان جعلني من علماء العربية . وجبلي على الغضب للعرب والعصية . . وحده على ان لم ينضو الى لقيف الشعوية قال : ولعل الذين ينضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفصوا ما رفع الله من منارها حيث لم يجعل خيرة رسوله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربيه ، لا يبعدون عن الشعوية منابذة للحق الأبلج ، وزيفاً عن سواء المنهج ، والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم وفرط جورهم واعنسانهم وذلك انهم لا يجدون علماً من العلوم الاسلامية فقيها وكلامياً وعلمي تفسيرها واخبارها الا وافتقاره الى العربية بين لا يزيغ .

ان الرجل الذي ضرب به المثل في علم الأدب وكان الغاية في ادب النفس والعزوف عن الدنيا لم يحل من حبياد أيضاً ومن كلامه يخاطبهم :

اذا سألوا عن مذهبي لم أربح به واكتنه كنهه لي أسلم
 فان حنفياً قلت قالوا بأنني ابيع الطلا وهو الشراب المحرم
 وان مالكيّاً قلت قالوا بأنني أبيع لهم اكل الكلاب وهم هم
 وان شافعيّاً قلت قالوا بأنني أبيع نكاح البنت والبنت تحرم
 وان حنبليّاً قلت قالوا بأنني ثقبيل محلولي بغيض مجسم
 وان قلت من اهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس بدري ويفهم
 تعجبت من هذا الزمان وأهله فما احد من السن الناس يسلم
 وآخرني دهرني وقدّم معشراً على انهم لا يعلمون وأعلم
 وقد أفلح الجبال ابقت اني انا الميم والأبام افلح اعلم

وقال :

زمان كل حب فيه ضب وطعم اخل خلّ لو يذاق
 لهم سوق بضاعته نفاق ففاق فالنفاق له نفاق

ان ما خلفه الزمخشري من مصنفاته لا غنية لطالب لغة العرب عن تدارسه
 كما عرض له مشكل من مشاكلها لأنها كلها منسوجة اجمل نسج مرتبة خير
 ترتيب واضحة كل الايضاح ليست بالمطولة حتى يملأها الطالب ولا بالمختصر حتى
 ينقطع دون بغيته ومن حفظ الكشف والأساس والفائق والمفصل جاء منه عالم
 لا يحتاج الى أشياء كثيرة أخرى .

توفي الزمخشري بمرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ .

محمد كرد علي

اللغة العربية

في البلاد الإسلامية غير العربية^(١)

— ٣ —

اللغة العربية في الهند

(١)

لما امتد الفتح بالعرب شطر الشرق حتى جاوزوا أفغانستان ، هبطوا إقليم
المُتَان من الهند ولكنهم لم يستقروا فيه .

ثم حاولوا فتح الهند من جهة الساحل حيث يصب نهر السند في البحر المحيط
فغزوا غزوات هناك . فلما كان زمان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك
سير الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً لفتح الهند وجعل امرأته لابن أخيه محمد
ابن القاسم فتفتح العرب إقليم السند حتى المُتَان ولم يتوغلوا في الهند . دام لهم
سلطان فيها فتحوه زهاء مائتي سنة وبثوا هناك المدائن وعمروا الأرض .

وفي القرن الرابع الهجري اتخذ المسلمون لفتح الهند طريقاً آخر وتولى الفتح
السلطان محمود الغزنوي أحد ملوك الدولة الغزنوية (٣٥١ — ٥٧٩ هـ) وقد أعد
العدة وحشد الجيوش واحتفل للغزو وهبط سيول الهند بجيوشه أكثر من خمس
عشرة مرة ما بين سنة ٣٩١ وسنة ٤١٧ فدانث له بنجاب وكشمير وكجرات .
واستقر سلطان الغزنويين في بنجاب .

ولما غلبوا على غزنة دار ملكهم — فلبتهم عليها الدولة الغزنوية — اتخذوا
لاهور حاضرة الملك سنة ٥٠٣ هـ . فكانت لاهور أول حاضرة في الهند
لدولة إسلامية .

(١) تمة المقال المنشور في الصفحة ٣٠ من الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والشرين .

ومهد فتح الغزنويين طريقَ الدول الإسلامية الى الهند ، وحيّاً البلاد لنشوء
دول إسلامية فيها ، ففتح الغزنويون طرفاً من البلاد ، ونشأت في داخلها دول
كثيرة منها دول سلاطين دهلّي التي سيطرت على دهلّي وما يتصل بها من سنة
٦٠٣ الى سنة ٩٣٢ .

وقد فتحت الدول الإسلامية شماليّ الهند حتى خليج بنغالة وبسطت سلطان
الإسلام وحضارته هنالك .

وفي القرن العاشر الهجري توجه إلى الهند داعية عبقرى لا تنبئ الأجيال
مثله الا قليلاً ، فأقام فيها أعظم الدول الإسلامية الهندية .

ذلكم محمد ظهير الدين بابر من حفدة الفاتح الجبار تيمورلنك .

ورث هذا الأمير من أبيه إمارة قرغانة وسمرقند سنة ٨٩٩ وهو في سن الثانية
عشرة وتقلبت به غير ، وتداولته خطوط حتى غلب على إمارته الموروثة بعد
سبع سنوات . ولكن هذا الشاب العبقرى كان أجراً وأصبر من أن يستكين
للمحادثات فبقي ثلاث سنين شريداً ليس في يده من الملك شيء ، ولكن كان
في ضمان عزمه وهمته أن يكون ملكاً في بلاد أوسع من قرغانة وسمرقند .
فتوجه تلقاء كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ .

وتمكن ملكه في كابل واتجه طامحه وهمه الى الأرض الواسعة الغنية ، عزم
على فتح الهند .

فأخذ يغير على اطرافها منذ سنة ٩٢٥ حتى مكنته شجاعته وهمته ودهاؤه أن
يهزم السلطان ابراهيم اللودي سنة ٩٣٢ في موقعة بانديبات التي سقط فيها السلطان
بين خمسين ألفاً من جنده .

وبعد هذه الموقعة بستة أيام خطب لظهير الدين بابر سيفه دهلّي يوم الجمعة
الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ هـ .

ولم يثبت له جيش بعد ذلك حتى الجيوش التي جشدها أمراء الهند وحشروا

فيها من الجند والقيلة جموعاً يقودها مائة وعشرون قائداً على رأسهم سانجا زعيم
أمراء رَجَبِيَّات . فلقى بابر بعد سنتين من موقعة بانيبات ظفراً أعظم من ظفرها
في موقعة كندها .

لم يثبت أحد من بعد لسطوة بابر ، فأقام دولة في الهند دام سلطانها ثلاثة
قرون ونصف على اختلاف الغير وتبدل الحالات .

توالى على عرش الهند ملوك عظام مدوا سلطانهم على أرجاء الهند ، وأقروا
فيها القانون ، والعدل ، وأشاعوا فيها الحضارة والثقافة ، ولا سيما السُّنة الأولون
من ملوك هذه الدولة من بابر إلى أورتك زيب ، فقد تدارلوا السلطان مائتي
عام ، وبلغت الدولة في سلطانهم أوجها .

وقد شرعوا شرائع عادلة ، وسنّوا سنناً حسنة ، وجمعوا حولهم العلماء والفلاسفة
والأطباء والأدباء والصناع من أقطار الأرض ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال
يحدث بقوتهم وحضارتهم .

وقد بقيت هذه الدولة إلى سنة ١٢٧٤ هـ حين أزالها الإنكليز بعد أن
نقصوا أطرانها وزلزلوا أركانها .

(٢)

هذه الدول الإسلامية التي توالى على الهند منذ الفتح العربي الأول عملت
في نشر الحضارة الإسلامية واللغة العربية .

نشر العرب لغتهم هناك ، واتخذ مسلمو الهند ، كسائر مسلمي العالم ، اللغة
العربية لغة علم وأدب على مرّ العصور .

وكان دخول العربية إلى الهند على طريقتين :

الأولى : في ثنايا اللغة والآداب الفارسية . فالفارسية قد أخذت من العربية
على النحو الذي بينت من قبل ، ثم صارت لغة الدولة ولغة التدوين في الهند
منذ عهد الغزنويين . لا سيما في عهد الدولة المغولية التي ذكرتها آنفاً .

وقد عدّ الشيخ شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحداً وخمسين شاعراً فارسياً جاءوا إلى الهند في عهد السلطان جلال الدين أكبر (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ) وعدّ المدثري أكثر من هؤلاء ومعظمهم فارسي الأصل ، منهم من نشأ في الهند ، ومنهم من طرأ عليها . كما عدّ من العلماء والفلاسفة والأطباء الذين عاشوا في كنف هذه الدولة أكثر من مائة وخمسين .

ثم نشأت اللغة الأردية في كنف اللغة العربية والفارسية ، فكان أثر العربية فيها كأثر العربية في الفارسية :

شرع أدباء الهند يدخلون في الأدب الفاظاً وجملاً من الهندية في القرن السابع الهجري إذ استعمل الشاعر الكبير الأمير خسرو الدهلوي (٦٥٣ - ٧٢٥ هـ) كثيراً من هذه الألفاظ ، ونظم شعراً ملعمّاً من الفارسية والهندية .

ثم كتب بعض الصوفية في القرن التاسع الهجري بالهندية ليقرّبوا إلى العامة آراءهم ومواعظهم ، ولم يكتب لهم بدّة من استعمال كثير من الألفاظ العربية والفارسية ، إذ كانتا لغتي العلم والأدب حينئذ .

وكتبوا هذه الهندية المشوبة بالعربية والفارسية باخط العربي فنشأت اللغة التي عرفت من بعد باسم الأردية .

ولم ينبغ شعراء الأردية العظام إلا منذ القرن الثاني عشر الهجري .
فهذا دخول العربية إلى الهند في ثنايا الفارسية والعربية .

وأما استعمال العربية لغة مستقلة فقد عرف في عصور الهند كلها منذ النسخ العربي الأول ، ولا سيما بعد أن توغل المسلمون في أرجاء الهند ونشروا لغة القرآن ، فكتب فيها مؤلفون على مرّ الزمان .

ومن المؤلفين بالعربية فيخفي تحت راية ١٠٠٤ هـ وهو صاحب التفسير المسحوق «سواطع الإلهام» ، وقد التزم أن يخفي تفسيره من الحروف المعجمة كلها .
وهذا ، على قلة جدواه ، لا يتاح إلا للتمكن في العربية ، واسع العلم بها .

ومن كبار المؤلفين عبد الحلیم السیالکوتی المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، ومؤلفاته في علم الكلام معروفة .

ومن الفقهاء محب الله البهاري ، له مؤلفات في الفقه والمنطق . ومنهم الشيخ نظام اللهی أشرف علی جمع الفتاوى الهندية في عصر السلطان اورنگ زيب (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ) .

وفي مقدمة هذه الفتاوى ما يدل على التأنيق في العربية والادلال بمعرفة غريبها ، جاء فيها :

« وبعد فان الفقه حاجز بين الهداية والضلال ، وقسطاس مستقيم لمعرفة مقادير الأعمال ، وتعيالمد الزاخرة لا يوجد لها قرار ، وأطوارها الشائخة لا يدرك قبورها بالأبصار . . . فن الله عليهم باستتارة صديع سلطنة الملك الصاهم ، وانفلاق صبح دولة السلطان الحميد مع القمقام ، القمر المكرم ، والقزم النليذم ، رزم آجام الوغى ، وقفصل غياض المزدحم المطيم على العدل والشجاعة والندی ، والمفتور تننه من الزهد والورع والتقوى أمير المؤمنين ورئيس المسلمين ، إمام الغزاة ، ورأس المجاهدين أبو المظفر أورنگ محي الدين محمد زيب بهادر عالم كبير بادشاه غازي أبد الله تعالى سلطانه وعمم على البرية كلفة احسانه » .

ومن المؤلفين بالعربية الشيخ ولي الله الدهلوي مؤلف « حجة الله البالغة » ، وكتب أخرى .

ولا يزال علماء المسلمين وأدبائهم في الهند يؤلفون بالعربية وينشرون التميم من كتبها ، ويشرحونه أحياناً ، ولا تزال الهند موطناً من مواطن لغة القرآن . ومن المؤلفين بالعربية في عصرنا الشيخ شبلي النعماني وأصحابه من رجال ندوة العلماء والسيد صديق حسن خان مؤلف كتاب حقوق النسوة وكتب أخرى قيمة . وكرامات حسين مؤلف فقه اللسان في اللغة ، والشيخ عبد العزيز الميمني ،

له كتب قيمة في الأدب منها كتابه عن أبي العلاء و «زيادات شعر المتنبي»
 وقد نشر في القاهرة كتاب سمط اللآلي في شرح الأمازي للزيدي .
 ومنهم زاهد علي ناشر ديوان ابن حاتم ، وكثيرون غير هؤلاء . وقد نشروا
 من كتب العربية القيمة كتباً كثيرة منها الجهرة لابن دريد ولزوميات المعري .
 وقل أن لقيت في مصر من مسلمي الهند عالماً أو متعلماً الا يعرف العربية
 ويتكلم بها على حداثة غيبه ، بالبلاد العربية ، ولولا عنايتهم بتعلمها والتكلم بها
 في ديارهم ما تبسر لهم كتابتها والتحدث بها في بلاد العرب بعد اقامة قصيرة .
 وكثيراً ما أتلقى رسائل عربية من علماء في الهند لم يقيموا بالبلاد العربية ،
 وهي تشهد بتمكنهم من العربية ، ومسايرتهم تطورها في هذا العصر .

عبد الوهاب عزازم

—•—

مكتبة المجلس النيابي

في طهران

تحتوي مكتبة «مجلس شوري ملي» - وهو الاسم الذي يطلق على المجلس النيابي الإيراني - على بعض ذخائر قسمة من الكتب العربية والفارسية . وقد أتيج في خلال السنة التي قضيتها في طهران ان اتردد الى هذه الخزانة وأنقب بين مخطوطاتها العربية ، وقد حيات نفسي دفترأ أحصيت فيه بعض كتبها لأرجع اليه وقت الحاجة ، ثم رأيت ان انشره ان يهتمون بالكتب ودورها فعمل بعضهم يجد فيه فائدة ، وخصوصاً حينما رأيت انصراف بعض أدبائنا الى هذا العلم القيم - اعني علم الكتب والمكتوب - بعد ان رأوا عناية المستشرقين الشديدة به خطره وكثرة فائده ، فكشفه النقاب عن كثير من تراثنا العقلي . ثم ان لبحثي هذا هدفاً آخر هو أن أبين للناس بعض ما في زوايا ايران من نفائس الأعلام العلمية والفنية ، وان ايران الحديثة وفارس القديمة حربية بأن يعنى بها عناية كبرى تليق بتاريخها انجيد الحافل سواء في الفن او العلم .

وقد نبغت اليوم في ايران ناشئة طيبة اخذت على عاتقها ان تبين للناس ، من مشاركة ومقاربة ، وجه ايران العلمي الحقيقي وفي مقدمة هؤلاء السادة الأجلاء المؤرخ العالم محمد قزويني ، والجغرافي المؤرخ عباس اقبال اثنائي ، والعارف الفقيه ضياء الدين حدائق المشهور بابن يوسف الشيرازي ، والشاعر المبدع بهار المعروف بملك الشعراء وزير المعارف السابق وغيرهم من اولي الفضل والعرفان الذين أخذوا ينشرون البحوث والتأليفات القيمة ، كما أخذوا يبعثون بعض المخطوطات القديمة من خزائنها ، مصححة مضبوطة احسن تصحيح واجود ضبط ، وأرجو ان يوفقوا في مشروعاتهم العلمية الكثيرة التي حدثوني بها .

لمحة عن تأسيس هذه المكتبة

أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان المجلس النيابي في عطلة ، فرأى بعض أهل الفضل من رجال ايران الحديثة تأسيس خزانة للمجلس تضم بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة في قصر بهارستان حيث يقع المجلس ، وقد لقي هؤلاء الفضلاء معارضة تشكر من المرحوم أرباب كينسرو شاه رويح ، الفاضل الزردشتي الذي قضى نحواً من ثلاثين سنة وهو أمين على هذا القصر ، وكان أول ما عملوه أن اشتروا نحواً من مائتي مجلدة من الوصي على ورثة العالم الفاضل الحكيم المشهور بهيرزا ابي الحسن جلّود ، بإشارة السيد التقوى نصر رئيس محكمة التمييز سابقاً . وكان كثير من هذه الكتب المائتين قديماً ونقيصاً لأن الميرزا ابا الحسن كان من رجالات ايران فضلاً وعلماً اضطلاعاً بالعلوم الفلسفية خاصة . ثم زادت كتب الدار الف كتاب آخر اشار السيد مهدي بقلي هدايت المشهور بمخير الدولة بشرائها من خزانة المرحوم الفاضل السيد غلامير احتشام السلطنة وكثير من الكتب خطي حين الخط لما عرف عن السيد احتشام من عناية بجمع المخطوطات الحسنة . وفي سنة ١٣٠٢ هجرية شمسية (= ١٩٢٣ ميلادية) عاد المجلس النيابي الايراني الى مراوطة أعماله ، فاعتنى القائمون بأمر المكتبة عناية كبرى ، وافتتحت المكتبة انمادجاً رسمياً بحضور رجالات الدولة ، ومنذ ذلك التاريخ أضحت مكتبة تفتتح أبوابها للمطالعين وجعل لها في موازنة المجلس اعتماد خاص لشراء الكتب ، والاتفاق على الموظفين والعاملين فيها . وقد زادت كتبها منذ ذلك التاريخ الى سنة ١٣١٦ هـ ش (= ١٩٣٧ م) فبلغت (١٨٠٠٠) كتاباً ما بين مخطوط ومطبوع بالعربية او الفارسية او غيرهما من اللغات الحية . وما تزال كتب الدار في ازدياد مستمر منذ سنة ١٩٢٧ حتى هذه الأيام فقد بلغ عددها في سنة ١٣٢٥ هـ ش (= ١٩٤٦ م) نحواً من (٢٥٠٠٠) كتاب . ولم يكن لهذه الدار يوم تأسيسها فهارس منظمة ، ولا سجلات دقيقة وإنما

كان لما دقت سرودت فيه اسماء الكتب سرداً بجانب اسماء مؤلفيها وعدد اجزاء كل كتاب ووزن تمييز كتب كل علم عن الآخر . ولكن في سنة ١٣٠٥ : هـ . ش (= ١٩٢٦ م) طبع أول فهرست منظم وكانت كتبها في ذلك الحين لا تتجاوز (٣٥٠٠) كتاباً مطبوعاً و (٢١٦) مخطوطة . وكان هذا الفهرس بعناية المرحوم السيد يوسف آشتياني الملقب باعتصام الملك والذي كان أميناً على الدار وينبغي ان يلاحظ أن هذا الفهرست خال من التدقيق العلمي الحديث .

ثم تولى امانة هذه الدار السيد ابراهيم شريفى فمضى بها عناية فائقة طبق علم المكتبات الحديث فنظم لما اجذاذات على النظم الفنية الدقيقة وقد بلغت كتبها في عهده نحواً من (٢٤٠٠٠) كتاب منها (٣٢٠٠) مخطوطة عربية او فارسية و (٦٠٠٠) مطبوعة عربية او فارسية و (٧٣٠٠) كتاب افرسي و (٥٥٠٠) كتاب انكليزي و (٢٥٠٠) كتاب روسي و تركي والماني . وقد هيا لهذه الكتب اكثر من (٦٠٠٠٠) جذاذة لتسهيل المراجعة والبحث لدى طلاب العلم .

وقد كان من أعمال السيد شريفى المهمة شروعه بتهيئة فهرس للمخطوطات التي لم تكن قد فهرست في عهد المرحوم اعتصام الملك ، وقد اعانه في تنظيم هذا الفهرست العالم الفاضل الاختصاصي في علم المكتبات السيد ابن يوسف شيرازي ضياء الدين حدائق . ويعتبر الجلد الذي نشره السيد اعتصامي أول فهرست علمي منظم لهذه المكتبة وقد اشتمل على وصف (٧٨٨) مخطوطة وصفاً طليماً دقيقاً ، صنفها بحسب موضوعاتها هكذا : المصاحف من رقم (١) الى (٩) ، فالأدعية والأذكار من رقم (١٠) الى (٢١) فالأحاديث والأخبار من (٢٢) الى (٣٦) فالفقه من (٣٧) الى (٥٣) فعلم التفسير من (٥٣) الى (٨٠) فعلم الكلام من (٨١) الى (١٠٣) فعلم الحكمة والفلسفة من (١٠٤) الى (١٤٦) فعلم الرياضيات والتجوم والهندسة من (١٤٧) الى (٢١٤) فعلم التاريخ من (٢١٥) الى (٢٧٦) فعلم الأدبيات من (٢٧٧) الى (٣٠٩) فكتب العربية والبلاغة من (٣١٠) الى (٣٢٠) فالدواوين والمجموعات الشعرية من (٣٢١) الى (٤٥٩) فكتب اللغة

من (٤٦٠) الى (٤٩٠) فكتب الطب من (٤٩١) الى (٥٣٠) فكتب السير
والمناقب من (٥٣١) الى (٥٦٤) فكتب الأخلاق والنصائح والمواعظ من (٥٦٥)
الى (٥٩١) فكتب انجمايع من (٦٩٢) الى (٦٤٤) فكتب التصوف من (٦٤٥)
الى (٦٧٥) فكتب القدس من (٦٧٦) الى (٦٨٤) فكتب الجغرافية من (٦٨٥)
الى (٦٩١) فكتب الرحلات من (٦٩٢) الى (٧٠٣) فكتب معرفة الأحجار
والحيوان من (٧٠٤) الى (٧١١) فكتب الردود من (٧١٢) الى (٧١٥)
فكتب علوم الصناعات من (٧١٦) الى (٧٣٨) فكتب مختلفة الموضوعات من
(٧٣٩) الى (٧٨٨) .

والنسخ من هذا الجزء قليلة جداً فقد حدثني القائم بأمر الدار اليوم انهم
لم يطبعوا منه حين طبعه الا عدداً قليلاً جداً لا يكاد يتجاوز المئة .

وفي سنة (١٣١٨ - ١٣٢١) د ش طبع المجلد الثالث من فهرست كتب
هذه الدار بعناية السيد ابن يوسف الشيرازي وهو مجلد في (٨١٥) صحيفة فهرس
فيه المؤلف ل (٤١٧) مخطوطة عربية او فارسية وقد صدر هذا الجزء يبحث
لطيف بالفارسية عن تاريخ هذه الدار والأدوار التي مرت بها ، وبالمراجع العديدة
التي رجع اليها في تنظيم هذا الجزء وقد ابتدأ فيه بكتب التفسير وعلوم القرآن ،
ثم بكتب الأدعية والأذكار ، ثم بالأحاديث والأخبار ، ثم بالفقه ، ثم باللغة ،
ثم بالعربية والبلاغة ، ثم بالشعر . وقد ختم كتابه هذا بأربع فهارس قيمة
لمحتويات هذا الجزء .

ولا شك في انه قد بذل جهداً عظيماً دل على علمه الواسع وفضله في الثقافة
الاسلامية ولكن لا بد لي هنا من ابداء ملاحظة رفيقة على ما تجل لي من
تعمسه للتشيع وحمله على بعض رجالات الاسلام من غير الشيعة ، وقد كان
ينبغي عليه وهو العالم المحقق ان يتجرد من ذلك التعصب ، ويختصصا ونحن المسلمين
في فترة يجب علينا فيها ان نتجرد عن تلك الجهالات التي خلقتها السياسة للتفريق
بين المسلمين من شيعي وسني . ولا اريد ان اسرد شواهد على ما تجل لي في

هذا الكتاب وثما أكتفي بأن أشير إلى حملته الشديدة التي حملها على امام
المحدثين وشيخهم على الإطلاق وهو الامام البخاري .

وصف بعض المخطوطات النفيسة في هذه الدار

انتقلت المخطوطات النفيسة في هذه الدار ووصفتها بما فيه الكفاية وقد صنفها
إلى أقسام: الأول في القرآن وعلموه ، والثاني في الكلام والحكمة وما إليها ،
والثالث في التاريخ ، والرابع في العربية وعلومها ، والخامس في الشعر والأدب ،
والسادس في علوم شتى .

١ - القرآن وعلومه

١ : نسخة من القرآن المجيد كتبها المخطاط الإيراني الأشهر في القرن
الثاني عشر للهجرة وهو السيد الميرزا أحمد الشيرازي ، وفي صدر هذه النسخة
لوحتان بارعتان في تذهيبها وتلوينها ، وقد تغللت سطور الصفحات تذهيبات جد
جميلة ، كما جعل في أول كل سورة إطار تفنن في تزويقه ونثيقه ، وهذه النسخة
جلد حسن الصنع والنقوش صنعها الميرزا عبد الوهاب مذهب باشي سنة ١٢٩٢ .
وقد أتم الناسخ كتابة هذه النسخة سنة ١١٣٨ للهجرة وهو في ٤٩٦ ورقة
في كل ورقة ١٢ سطراً ، وطول الصفحة ٢٣ ١/٢ سنت في ١٤ ١/٢ سنت .
ورقم النسخة ٣٩٤٣ .

٢ : نسخة أخرى من الكتاب المجيد كتبها المخطاط الإيراني حسن الخانيساري
وفي صدرها لوحتان مذهبتان ومنقوشتان نقشاً جميلاً ، وهي مكتوبة بقلم النستعلیق
وفي آخر النسخة ما نصه بقلم الثالث الجيد « قد تشرف وتبرز وتكرم بكتابة
هذا المصحف العزيز الشريف الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد من أوله إلى آخره مع ترجمته بالجمرة وقرء وصحح
بالروايتين أبي حفص وبكر على عمدة القراء والمجودين مولانا وجيه الدين عبد الله
القاري وعلى زبدة الأذكياء والمتزوين مولانا نعيم الدين نعمت الله القاري إدام

الله بركاتها وضاعف اجرهما . المرجي عنو ربه الباري حسن بن حسين بن محمد ابن علي اخايساري) .

والنسخة مكتوبة سنة سبع وسبعين وتسعائة للهجرة ، وقد وضع خلال سطورها ترجمتها الى الفارسية ، وهي في ٤٣٩ ورقة (٢٤ x ١٦ سنت) ورقها ١٦٧١ .

٣ : مفاتيح الأسرار ومفاتيح الأبرار :

لأبي القاسم محمد بن عبد الكريم الشيرستاني المولود في شهرستان من أعمال خراسان سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧١ م) والمتوفى في شعبان سنة ٥٤٨ هـ (تشرين الثاني ١١٥٣ م)^(١) .
والشيرستاني هذا كتب قيمة أشهرها « الملل والنحل » المطبوع المشهور ويظن ان في مكتبة الاسكوريال في اسبانية نسخة منه بخطه كما ذكر ذلك يروكلان في ذيل كتابه لتاريخ الأدب العربي (١ / ٧٦٣) ، وكتاب تاريخ الحكماء (الفلاسفة) ولا يعرف له أثر ، وكتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ، وقد طبعه المستشرق آ . غايوم في اكسفورد سنة ١٩٣١ ، وكتاب مصارعات الفلاسفة او المصارعة والمذاخرة او المصارع الفلسفية وكتاب مفاتيح الأسرار ولا تعرف منه الا هذه القطعة وهي عبارة عن المجلد الأول من تفسير لقرآن ذكر انه في اثني عشر مجلداً ، ولا تحتوي هذه القطعة الا على تفسير الفاتحة وسورة البقرة وقد ذكر في المقدمة ما نصه « فنقلت القراءة والنحو واللغة والتفسير والمعاني من اصحابها على ما اوردوه في الكتب نقلاً صريحاً صحيحاً من غير تصرف فيها بزيادة ونقصان سوى تفصيل مجمل او تقصير مطول وعقبت كل آية بما سمعت فيها من الأسرار وتوسمته من اشارات الأبرار » .

والنسخة جيدة جداً كتبها محمد بن محمد الزانجي للشيخ الدامل ابراهيم بن محمد ابن المؤيد ابي الجامع الحموي الجويني سنة سبع وستين وستائة بقلم نسخي جيد مضبوط . وعدد أوراقها ٤٣٣ (٢٤ x ١٣ ١/٢ سنت . ورقها ٨٠٨٦) .

(١) . انظر أخباره في طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٢٨ والتمتة للبيهقي ١ : ١٣٢ ، ولوفيات لابن خلكان : ٥٨٢ ، ومجمع الأدباء لياقوت ٣ : ٣٤٣

٤ : مفاتيح الغيب

لحمير صدر الدين محمد بن المير غياث الدين منصور الحسيني الشيرازي المولود في شيراز سنة ٨٣٨ هـ (١٤٢٥) ومنتوفى سنة ٩٠٣ (١٤٩٧ م)^(١) .
وقد ألف كتباً ورسائل في علم الكلام والتفسير من أشهرها « رسالة في اثبات الباري تعالى وصفاته الحسنى » و « رسالة في مسألة خلق العمال » و « رسالة في تحقيق التصور والتصديق » و « حواشي على تجريد العقائد للنصير الطوسي »^(٢) ، و « مفاتيح الغيب » هذا نسخة في ٢١٢ ورقة أولها « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ٠٠٠ » وهي في علوم القرآن وغرائب البحوث التأويل والاسرار والرموز الإلهية ولا نعرف من هذا الكتاب نسخة غير هذه ، ولم يشر إليها بروكلمان في تاريخ الأدب ، وهي مكتوبة سنة (١٢٤٦ هـ) بقلم نستعليق حسن رقمها ١٣٢٠ .
٥ : تفسير فاتحة الكتاب وسورة البقرة :

للامام صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم القوامي المشهور بالمللا صدرا الشوفي سنة ١٠٥٠ (= ١٦٤٠ م) .

والنسخة قطعة من كتاب كبير في التفسير سلك فيه مسلك اصحاب المكاشفات الفلسفية والتفسيرات الصوفية وأوله « سورة الفاتحة المسماة بأمر القرآن لاحتوائها على مجامع المعاني التي في القرآن ، وسورة الكنز ، والعافية ، وسورة الحمد والمثنائي ٠٠٠ » وهو في (٣٥٠) ورقة (٣٠ × ٢١ سنتيم) وهو بقلم نسخي رقمه (٩٠٦١)

٢ - الكلام والحكمة

٦ : الشفاء

لامام الحكماء ابني علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا الفيلسوف الاسلامي الأشهر ومؤلف « النجاة » و « الاشارات » و « القانون » والرسائل الاخرى المشهورة في الطب والفلسفة والحكمة .

(١) انظر ووضات الجنات ٣٥ ، والكشف لحاجي خليفة ٣ : ٣٦٣ و GALE بروكلمان

٢ : ٢٠٤ وذيله ٢ : ٢٢٩ (٢) انظر بروكلمان ١ : ٩٢٩

وقد اختلف في مولده فقيل انه ولد سنة ٣٧٠ هـ (= ٩٨٠ م) كما في ابن خلكان وابن القفطي ، وقال آخرون انه ولد سنة ٣٧٣ هـ ، وزعم ادوار فانديك انها سنة ٣٧٥ هـ ، كما اختلفوا في وفاته فقال بعضهم انها سنة ٤٦٨ هـ (= ١٠٣٧ م) وقال آخرون انها سنة ٤٢٧ هـ^(١) .

والنسخة نفيسة جداً مكتوبة على ورق الحرير وفي صدرها لوحات مذهبة ومرصعة احسن التذهيب والترصيع على ارض من اللازورد ، وقد كتبت بقلم نستعليق وفي آخرها مانصه «تم كتاب الشفاء بعون الله تعالى وحسن توقيفه في اوائل شهر شعبان سنة احدى وسبعين وثمانمائة الهجرية على يد العبد الضعيف الراجي الى رحمة الله تعالى علي بن فتح الله المعداني الاصفهاني المشتهر بالصائري احسن الله احواله ٠٠٠٠» والنسخة في ٤٧١ ورقة (٣/٢٣١ × ٢١ سنتيم) ورقمها (٢٠٢) .

٧ : الأسفار الأربعة في الحكمة

لقدوة المتأهلين صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي القوامي المشهور بالمالا صدرا^(٢) المتوفى سنة (١٠٥٠ هـ) (= ١٦٤٠ م)^(٣) وهو صاحب كتاب شرح حكمة الاشراق للسهروردي شهاب الدين ومنه نسخة في هذه الدار رقمها ٥٠٩٥ واخرى رقمها ٢٢٨٢ ، والحكمة القرشية ، وشرح اصول الكافي ومنه نسخ في هذه المكتبة رقمها (١٣٣) ٨٩/١٦٤ ، وتفسير الفاتحة المذكور في رقم (٥) ومغابيع الغيب في علوم القرآن ومنه نسخة في هذه المكتبة رقمها (١٣٢) وشواهد الربوبية في علم الكلام ورقمها في هذه المكتبة (١٦٩) والشاعر في اصول حقائق الايمان والحكمة والكلام وكتاب الواردات القلبية في الكلام والحكمة وسياتي الكلام عليهما ، واكسير العارفين ومنه نسخة في المجموعة الموجودة في هذه المكتبة تحت رقم (٧٩) .

(١) انظر اخباره في ابن القفطي وابن ابى أصينة وابن خلكان ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، وسركيس في معجم المطبوعات ، وبيروكلمان في تاريخه ٢٥٢:١ والذيل ٨١٢:١ (٢) هو غير صدر الدين الشيرازي السابق المذكور في رقم [٧] (٣) انظر بيروكلمان تاريخ آداب العربية ٢: ٤١٣

وتسمى هذه الأسفار الأربعة أيضاً «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية»
وأولها «الحمد لله فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومشئول
واعلم ان للسالك من العرفاء والآولياء أسفاراً أربعة احدها السفر من الخلق الى
الحق ، وثانيها السفر بالحق في الحق والسفر الثالث يقابل الأول لأنه من الحق
الى الخلق بالحق والرابع يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق فرتبت كتابي
هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على أربعة أسفار» .

والنسخة حسنة الخط عليها كثير من التعليقات بخط الشيخ الحكيم المرحوم
ميرزا أبي الحسن جلوه ، وهي مكتوبة بقلم نستعليق جيد سنة ١٢٧٠
(٢٧ x ١٧ سنت) وعدد أوراقها (٣٢٢) ورقمها (٧٨) .

وفي المكتبة قطعة أخرى من هذا الكتاب تحتوي على السفر الأول من
الأسفار الأربعة أولها «نفسية مفهوم الوجود الى افراده . . .» وهي مكتوبة
بقلم نستعليق أيضاً في (٢٦٧) ورقة (٢٢ ١/٢ x ١٣ سنت) ورقمها (٩٧) .

٨ : شواهد الربوبية في المناهج السلوكية

لصدر الدين السابق

وهو كتاب في علم الكلام والأبحاث الإلهية أوله « الحمد لله الذي تجلى
لقلوب العارفين بأسرار المبدأ والمعاد » والنسخة مكتوبة سنة (١٠٦٠) بقلم
نسخي في (٢٥) ورقة (١٩ x ١١ ١/٢ سنت) ورقمها (١٦٩) .

٩ : المشاعر

لصدر الدين السابق

وهو في اصول حقائق الايمان والحكمة وهو مؤلف من ثلاث مناهج وثمانية
مشاعر وأوله « نحمد الله ونستعين بقوته التي اقام بها ملكوت الارض والسماء . . . »
وهي بخط جيد كتبت سنة (١٢٥٢) في ٣٩ ورقة (١٠ x ١٦ سنت) ورقمها (٨٣) .

١٠: الوردات القلبية في معرفة الربوبية

لصدر الدين السابق

وهو رسالة لطيفة في الحكمة وعلم الكلام اطلها «بعد الحمد لمبدع النفس والعقل ...»

وهي في ٤٥ ورقة (١٩ x ١٠ سنت) ورقمها (٩٠١٩) .

١١: التحصيل او التجميعات

لأبي الحسن بهمنيار بن مرزبان الأذربايجاني المتوفى في سنة ٤٥٨ وهو من خواص تلاميذ ابن سينا ذكره ظهر الدين ابو الحسن البيهقي في ذيله لحوادث الحكمة فقال «وكان بهمنيار يبحث عن غوامض المشكلات ... ومن تصانيفه كتاب التحصيل ٤ وكتاب الرتبة في المنطق وكتاب سبب الموسيقى ورسائل كثيرة ...» ولم يبق من آثاره الا رسالة في مراتب الموجودات ورسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة وقد طبعت بمصر في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٩ ٤ ونطعة من كتابه في اثبات العقول الفعالة والدلالة على عددها وإثبات النفوس السماوية^(١) وكتاب التحصيل هذا في ثلاثة اقسام والموجود منه هو قطعة تشتمل على القسم الأول في علم المنطق ٤ وبعض القسم الثاني في علم ما بعد الطبيعة ٤ والنسخة جيدة أولها «...» وبعد فاني محصل في هذه الرسالة للخال الرئيس الأجل ابي منصور بهرام بن خورشيد بن يزديار ادام الله تمكينه لباب الحكمة التي هذبها الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله مقتدياً في الترتيب بالحكمة العلانية وفي استيعاب المعاني بعامة تصنيفاته وبما جرى بيني وبينه محاوره ومضيف اليه ما حصلته بنظري ...»

وهي مكتوبة بقلم نسخي حسن في ١٥٤ ورقة (١٥ x ٨ ١/٢ سنت) ورقمها (١٦٥) .

... (١) انظر البيهقي في تكملة سوان الحكمة ٩١ الطبعة الأولى ٩٣ طبعة كرد علي وجهار

مقاله ٢٥٢ وپروكلاني ١ : ٤٥٨ والذيل ١ : ٨٢٨ . . .

١٢: مدينة الحكاء

لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري الاشرافي احد رجال القرن السابع^(١) وهو كتاب قيم في ترجمة المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة، وقيل ان اسمه نزهة الأرواح وروضة الأفراح» أو «روضة الأفراح ونزهة الأرواح» وقيل بل هما كتابان مختلفان كما حقق ذلك المرحوم اعظمي ناسر الجزء الأول من فهرست كتب المكتبة ص ٣٢٧ فقد ذكر ان الكتابين مختلفان وان كانت ديباجتهما واحدة فان محتوياتها وعدة الأشخاص تختلف في واحد عن الآخر كما تختلف تقديمًا وتأخيرًا واسيابًا واتصارًا. والنسخة حسنة أولها «الحمد لله القديم الأزلي الدائم السرمدي المتعالي بجلال احديته عن جمال احداث النواظر المتفرد بكمال صمديته ٠٠٠» والنسخة قيمة جداً لا يعرف لها خريب وهي في ٩٦ ورقة (٣٢ × ٢١ سنت) مكتوبة سنة ١٣٢١ بخط حسن ورقها (٩١٩٤) ٠

١٣: الباحث الشرقية أو المشرقية

للإمام فخر الدين ابني عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (الحسين) بن الخطيب الرازي التيمي البكري الطبرستاني الملقب بملك المناظرين وإمام الدنيا في العلوم العقلية والشرعية ولد سنة ٥٤٣ هـ (= ١١٢٩) ومات سنة ٦٠٦ هـ (= ١٢٠٩) (١). والكتاب قد طبع في حيدرآباد سنة ١٣٤٣ ولكن النسخة جيدة جداً كتبت سنة ١٠٩٨ بخط نستعلیق في ٣١٣ ورقة (٢١ × ١١ سنت) ورقها: (١٢٤) ٠

١٤: ميامر ارسطو

الميامر كلمة صريانية معناها المحاضرات، وقد ترجم هذا الكتاب للمرة الأولى عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي المترجم المشهور الذي كان في ايام الخليفة المنصور بالله العباسي (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ثم ترجمه للمرة الثانية فيلسوف

(١) انظر طبقات الشافعية للبي ٣: ٢٣ وابن القنطري: ٢٩١ وابن الساعي في عنوان التواريخ

٣٠٧ واليانبي في مرآة الجنان وابن الهادي في النذرات ٢١: ٢ وابن أبي أصيبعة ٢: ٢٣

وحبيب السير ٣: ٦٠ وروكمان ١: ٥٠٦ والذيل ١: ٩٢٠

العرب أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، وقد زاد عليه وأصلحه للخليفة العباسي المستعين بالله .

والنسخة جيدة أولها « بسملة المبحر الأول من كتاب ارسطاطاليس الفيلسوف المسمى باليونانية اثولوجيا وهو القول على الربوبية تفسير فريفورس الصوري (٠٠٠٠) » وهي في ٤٧ ورقة (٣٣ x ٢١ سنت) مكتوبة بسنة ١٣٢١ ورقمها (٩١٩٠) وفي المكتبة نسخة أخرى منها رقمها (٤١٣٩) كتبت سنة ١٣٤٠^(١) .

١٥ : شرح المقالات الأربع في القضاء بين النجوم لبطليموس الحكيم لأبي الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري الخيري المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٧)

وهو في علم الفلك واحكام النجوم وأوله « قال أبو الحسن علي بن رضوان ابن علي بن جعفر المطيب قصدنا ان نشرح أقاويل الحكيم بطليموس في صناعة القضاء بالنجوم على الحوادث ٠٠٠٠ »

والنسخة جيدة مكتوبة بقلم نسخي سنة ١٢٨٤ وعدد أوراقها ١٢٤ في (٢٩ x ١٦ سنت) ورقمها ٥٠٩٢^(٢)

١٦ : شرح جوامع ارسطو

لأبي الوليد محمد بن احمد بن حافظ بن رشد الأندلسي الفيلسوف الأشهر المولود سنة ٥٢٠ هـ (= ١١٢٦) والمتوفى ٥٩٥ هـ (= ١١٩٨)^(٣)

نسخة حسنة أولها « — أما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة على النبي بالصدق والهدى فان قصدنا في هذا القول ان نعلم الى كتب ارسطو فنجد منها الأقاويل العلمية التي يقتضي مذهب اعني أوثقها ٠٠٠٠ » والكتاب مؤلف من ستة كتب (الاول) كتاب السماع الطبيعي وهو مشتمل على ثمانية مقالات أوله « لما كان العلم اليقيني والمعرفة التامة ٠٠٠ » (الثاني) كتاب السماء والعالم

(١) انظر بروكلمان ١ : ٣٠٣ والذيل ١ : ٣٦٥ (٢) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٨٨٦

(٣) انظر أخباره في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٧٥ و بروكلمان ١ : ٤٦١ والذيل ١ : ٨٣٣

وأوله « غرضه في هذا الكتاب المترجم بكتاب السماء والعالم التكلم في الأجسام البسيطة الأولى و (الثالث) كتاب الكون والفساد وأوله « وغرضه في هذا الكتاب التكلم في التغيرات الثلاثة و (الرابع) كتاب الآثار العلوية وأوله « ولما تم له هذا النظر شرع في هذا الكتاب ليفحص عن الأشياء التي توجد في الاسطوانات ٠٠٠ » و (الخامس) كتاب النفس وأوله « الغرض هنا ان ثبت من أقاويل المفسرين في علم النفس ما ترى انه اشد مطابقة ٠٠٠٠ » و (السادس) كتاب ما بعد الطبيعة وأوله « قصدنا من هذا القول ان نلخص الأقاويل العلمية ٠٠٠ » والنسخة مكتوبة بقلم نستعليق جيد في (١٧٢) ورقة (٢٠ x ٨ سنت) ورقها (٨٠) .

١٧: التلويحات في الشطق والطبيعات والآليات

لأبي الفتح يحيى بن حبش بن اميرك المشهور بشهاب الدين السهروردي المقتول في حلب أيام الملك الظاهر بن صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ (= ١١٩١) وله آثار في التصوف والحكمة اشيرها هذا الكتاب ^(١) .
والنسخة جد قيمة كتبت في ملاطية سنة سبع وستائة اي بعد وفاة الشيخ بعشرين سنة وأولها « السبحات لجلالك يا قيوم ، اقض من عظامي بركاتك ، ويسر لنا العروج الى عرش قدسيانك » وآخرها « لا تبذلن العلم وأمراره الا لأجله وائق شر من أحسنت اليه من اللثم فلقد أصابني منهم شذائد واذكرنا في صالح دعائك وفقنا الله وإياك ورحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواحب العقل حمد غير مثناه » .
وهي في (١٠٥) ورقة (١٤ x ٩ سنت) ورقها (٦٩٣٢) . وفي المكتبة نسخة أخرى منه كتبت سنة ١٣٢١ ورقها (٩١٩١) .

يتبع : (طهران) اسعد طلس

(١) انظر أخباره في ابن أبي أصيبه ٣ : ١٦٧ وروكن ١ : ٤٣٧ والذيل ١ : ٧٨١ وابن خلكان ٢ : ٧٨٤ وابن الهيثم في الشذرات ٢ : ٢٩٠ وياقوت في الارشاد ٧ : ٢٦٩ والباقى في سرآة الجنان ٣ : ٤٨٧

آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عربرهم

(٥٥٢٢ - ٥٦٣٠)

- ٥ -

من. يورد اربل من العلماء المشاهير

لا يحصى العلماء الذين وُردوا اربل وان ابن المستوفي خص تاريخه بمن ورد اليها من أرباب المواهب وسماه (نباحة البلد الخامل بمن ورد من الأمثال . وانما نذكر من اشتهر بوروده أكثر وعرف بالوصول اليها ، والاتصال بعلمائها وأدبائها . ولو كان عندنا تاريخ ابن المستوفي لوقفنا على الكثيرين من هؤلاء النوابغ . والظاهر أنه استقصى أهل المعرفة والكمال .

وهنا نذكر بعض المعروفين فنقول :

١ - أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي ، وهذا بسط ترجمته في مجلة المجمع الفراء^(١) .

٢ - ابن الدعان . ذكره ابن خلكان وهو من أهل بغداد . عدّه ابن المستوفي في زمرة الواردين الى اربل . وهو مؤرخ . وله أوضاع في الجداول وغيرها من الفرائض وصنف غريب الحديث في ١٦ مجلدًا لطائف^(٢) .

٣ - البوازيجي الشاعر :

هو الشرف عبد الرحمن بن ابي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر . كان قد وصل الى اربل في سنة ٦٢٨ هـ . وكان ابن المستوفي وزيراً .

(١) ج ١٩ ص ٢٢١ (٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٥

فسير له مثلاً علي يد الكمال بن الشمار الموصل صاحب التاريخ . فقال له صاحب
يسلم عليك ويقول لك اتفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك . فتوهم
ذلك الشاعر ان يكون الكمال قد قرض القطعة من الديار ، وان شرف الدين
ماسيره الا كاملاً وقصد استعماله ائحال من جهة شرف الدين فكتب اليه :

يا أيها المولى الوزير ومن به في الجود حقاً تضرب الأمثال

أرسلت بدر التّم عند كماله ~~بهيماً~~ فوافى العبد وهو حلال

ما ضاله النقصات الا انه بلغ الكمال كذلك الآمال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه ^(١) .

٤ - ياقوت الرومي :

هو صاحب معجم البلدان ، وردت في مادة (اربل) مشاهداته للبلد ، وذكر
ابن المستوفي وأثنى عليه ، ورجعه على غيره بل عدّه الوحيد في كمال فضله . . .
ولعله لم يعمل للآخرين قيمة لأنه لم يعتبرهم في عياره من الفضل والمكانة
العلمية والأدبية . والا فقد جاء البوازيجي الى اربل فكان فيها ابن المستوفي ،
والكمال ابن الشمار . . .

٥ - الفرضي البغدادي :

محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي ، أستاذ ابن المستوفي ، أقام باربل
مدة . مات بالقاهرة سنة ٦٠٢ هـ ^(٢) .

٦ - الكمال ابن الشمار :

هو الكمال ابن الشمار من الأدباء الأفاضل ، والمؤرخين المعروفين . كان
في خدمة ابن المستوفي . ورد ذكره هناك في ترجمته ^(٣) . وهو صاحب عقود
الجمال في شعراء الزمان في عشر مجلدات كبار رأيت منها ثماني مجلدات باستانبول .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٣ (٢) الروافى بالوفيات ج ١ ص ١٢١ نسخة خطية .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٢

ويعدّ من الواردين اربل ، والمقيمين بها ، ويترجم كثيرين من الاربليين وليس في الوسخ الآن النقل منه . كان ينقل من تاريخ ابن المستوفي . وربما نقل جميع ما هنالك من أهل الأدب وزاد . ورد ذكره في ابن خلكان في ترجمة ابن المستوفي . وبين انه من أصحابه ، وذكر كتابه عقود الجمان ونقل منه بعض الأشعار^(١) . ويعدّ من رجال اربل ، أو مؤرخيهم للعلة المشهورة . ولم يتعين لنا تاريخ ورودده ، وبمقدار خدمته في اربل . وكل ما علمناه انه توفي سنة ٦٤٤ هـ ، وذكره في ترجمة البوازيجي .

٦ - نوشر واثب البغدادي :

ويعرف بـ (شيطان العراق) . كان ضريراً اشتهر شعره فيها سالكاً طريق الهزل . راكباً سنن الفكاهة ، مورداً ألفاظ البغداديين والاكراد ، ثم ألقه عن ذلك ورجع عنه ، ومدح اربل .

قال ياقوت في معجم البلدان :

« وانا أورد مختار كلمته ما هنا قصداً لترويج الأرواح ، والاحماض بنوع ظريف من المزاح . . . » اهـ^(٢)

وأورد مختارات ما جاء في القصيدتين . وكلمنا في ذلك تدل على أمر آخر وهو أن الأقوام كانت مختلطة فيها ، واللغات متداخلة فصح ما قال ، وعدوله لا يغير الموضوع إلا ان العلم والأدب غير الوجهة ، فبرز أكابر في العلم والأدب . وذكر من رجال المدينة (الرئيس مجد الدين داود بن محمد) واعتذر له من هجائه لأربل . . .

٧ - ابو المعالي اسعد بن علي الحظيري :

عمل لمجاهد الدين ابي منصور قايمآز أيام نيابته باربيل (كتاب الاعجاز في حل الأحاجي والألغاز) ، حمله اليه وكتبه برسمه ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق الى أهله بالخطيرة . فقال :

(١) كذا : ابن خلكان ج ٢ ص ٥٠٢ (٢) منجم البلدان ج ١ ص ٧٢ طبعته بهمر

الآ من لعب قليل العزاء غرب يحن إلى المنزل
ينادي بأربل أحبابه وإلى الحظيرة من أربل^(١)

الحالة الاجتماعية في أربل

تعيين وضع أربل الجغرافي في مختلف العصور كتب البلدان ، وكتب التاريخ ، وقد جاءت بيانات مهمة موضحة عنها ، مرة بعض النقل عن معجم البلدان ، وتصادف أيامه آخر أيام مظفر الدين كوكبري . أما ما قبل ذلك فمن أهم ما جاء عنها عن ابن سعيد أنها مدينة محدثة ، وهي قاعدة بلاد شهرزور . وقال في المشترك : مدينة بين الزابين ومنها إلى الموصل يومان خفيان . قال في تقويم البلدان وعن بعض أهلها أربل مدينة كبيرة وقد خرب غالبها . . . ولم يزد سبأه زاده على ما نقل . وما ذكره أبو الفداء كان بعد انقراض أمارتها بنحو مائة سنة .

ولا يهملنا نقل النصوص الخاصة بالبلدة ، وإنما العبرة باللواء ، وما يندرج هذه الإمارة ، فأربل متفرقة العراق تحوي المنطقة بين الزابين ويقال لها « صوران » ، ووررت في بعض الآثار « صهران » ، وفيها الجبال المنبثة ، والأراضي الزراعية ، يحيط بها الزابان الأعلى والأدنى ودجلة والجبال ، وتعتبر كالسور لها ، بل سداً منيعاً ، وحارساً مكيناً ، وقراها لا تحصى كثرة .

ولا يمكن أن نقول أنها كاملة في مناعتها ، فالقوة الفائقة لا تقاوم ، ولكنها تدافع لأمد ، حتى لقد تمكنت أن تقف في وجه كثيرين . وقد سهل ذلك قلة مياهها ، وبعد الزابات عنها ، فتعد حصناً طبيعياً آخر إذا طال حصارها يضاف إلى ذلك ما فيها من سور وقلعة .

جعلها الوضع الجغرافي في وسط اللواء لأسباب اقتصادية ، فهي جامعة الخيرات ، وإن وجودها في المكان الذي هي فيه يسهل الحصول على متوجاتها ، والقرب من مراقبتها ، سهلها عظيم في زراعته ، تزرع جميع مواطنها حتى وهادها ، ففي

أوقات الزرع لا يشاهد سوى الأراضي المزروعة ، مياهها متدفقة ، وأمطارها غزيرة ، ونعمها وافرة . تأتيها الأثمار والقواكه من الجبال المجاورة . جمعت ما لم يجمع في غيرها وقامت بإدارة إمارة مدة في خلالها بذل العلم لكل طالب ، حتى صارت تضارع المدن الكبيرة في ثروتها وفي رجالها وفي حسن إدارتها . وجندتها من خير الجنود قوة وشجاعة ، أعجزت الفاتحين الكثيرين ، وقهرت العتاة الجبارين أهلها ذوو طاعة وإذعان ، لا يتخلفون عن أمر ، ولم يعصوا في حياتهم لما كانت بينهم وبين الإمارة من الفة ، وهم أصحاب أخلاق عالية فلم يروا أرهاقاً أو اجحافاً أيضاً ، استخدمت الإمارة رؤساء العشائر الذين ضبطوا الإدارة ، فلم يروا ما يعيث بالمرّة والكرامة ، ولم يجد الأفراد الأمانة وعدلاً . فكانت التقام والعدل ورعاية الرؤساء على أتم حال . ومن ملك جيشاً كبيراً أمن الفوائد ، ومن تمكن من حسن الإدارة اكتسب الخير والنفع والعظيم . أو ملك بهم ما ملكه الأتابكة . ويعزى سبب الخلل في الإدارة إلى ضعف هذه القوة وعدم المبالاة في سيرها بالحق ، ودعا التجكم أن تنفصل عن الأتابكة ، وأن يقوى سلطان الدولة الأيوبية بالاتفاق معهم والاتصال بهم ، والتعويل عليهم في تهديد الأتابكة ، فاستخدموا للصالح العام بل لولا هذه الإمارة لما أذعنت الأتابكة لآل أيوب .

وينسب ظهور هذه الإمارة (إمارة آل بكتكين) بحسن إدارة هذه البلدة وما يتصل بها من عشائر وقرى والتبض على قيادتها حتى أذعنت بالطاعة ، وإنما كانت قد دبرت مواهبهم الحالة التي كانت عليها الأمراء ، وأحسنت الإدارة ، فلم يداخلها سوء ، ولم تعرف بمكره ، بل اشتهرت بالسعة المقبولة ، وعرفت بالأخلاق الفاضلة . ولذا خذلت الإمارات قبلها وبعدها . وإذا كانت البلدة قديمة ، فإنها لم تبلغ من الشهرة ما بلغت أيام هذه الإمارة ، فلم تشبه من سبقها . وحالة أربل بعد إقراض هذه الإمارة تعين مكانتها في تلك الأيام ، فالحمل لا ينفك عن المدينة أو اللواء .

وعدها صاحب صبح الأعشى قاعدة بلاد شهرزور ولا شك ان السياسة الرشيدة والادارة القوية من أعظم العناصر الفعالة التي اكتسبتها شهرة سابقاً وخمت في هذه الأيام بل أصابتها الضربة القاسية في أيام المغول ، فدمرت غالبها ، ولم يحدث فيها تجديد من تاريخ اقراض آل بكتكين .

لم يتبدل وضعها كثيراً ، يؤيد ذلك الحال المشاهد منها ، فقد تطورت بها الحالات ، ولا تزال على ما حكاه الجغرافيون في مختلف الأزمان .

وما كانت عظمة المدينة في شاطئ قصورها أو أبنيتها الضخمة ، فهذه ضواهر ، وإنما تتجلى العظمة في بقعتها الصالحة ، والأنهر الوفرة ، والحالة الزراعية الملائمة ، والجبال الشاهقة ، والأراضي المبنية وهكذا في هذه حياة المدينة ، وعليها قامت اربل . كانت شهرزور في أيام آل بكتكين من مخافاتها ، وكذا كرخينا (كركوك) .

قال ياقوت : وهي قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق ، وهي في طرف من المدينة ، وسور المدينة ينقطع في نصفها وهي على تل عال من التراب عظيم واسع الرأس . وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة . وهي شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع رقعة . وهي بين الزابين . تعد من أعمال الموصل ، وبينهما مسيرة يومين .

ولا تزال على وضعها هذا إلا أنها لم تكن في أيام ياقوت من أعمال الموصل . وإنما تابع الجغرافيين قبله . وإلا فإنها انقطعت من الأتابكة .

* * *

ربض القلعة

وهذه اكتسبت صفة أيام مظفر الدين كوكبري ، ونالها ما نالها من عمار قال ياقوت : « وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة بحريضة طويلة ، قام بعمارتها ، وبناء سورها ، وعمارة أسواقها ، وقبساتها الأمير مظفر الدين .

كوكبري بن زين الدين كوجك علي ، فأقام بها ، وقامت بمقامه بها لما سرق ، وصار له حية ، وقام الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه ، فأنحفظ بذلك أطرافه ، وقصدوا الغرباء ، وقطنها كثير منهم حتى صارت مصراً كبيراً من الأمصار ، وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة ، فانه كثير الظلم ، عسوف بالرعية ، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها . وهو مع ذلك مفضل على الفقراء ، كثير الصدقات على الغرباء ، يسر الأموال الجمّة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن . وأكثر أهلها أكراد قد استعربوا ، وجميع رساتيقها وفلاحها وما ينضاف إليها أكراد . وينضم إلى ولايتها عدة قلاع . وبينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل . وليس حولها بستان ، ولا فيها نهر جار على وجه الأرض . وأكثر زروعها على القني المنبطة تحت الأرض . وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريئة التي لا فرق بين مائها وماء دجلة في العذوبة والخلقة . وفواكهها تجلب من جبال تجاورها» اهـ^(١) .

مشاهدات صاحب معجم البلدان هذه قيمة ومهمة جداً في بيان وصفها ، إلا ان قوله لم يجد فيها من أهل الفضل سوى ابن المستوفي يدل على ضعف في التحقيق . وإن ياقوت لم يبصر دقائق الأمور أو ما يحتاج إلى خبرة وافية في إدارة أميرها ، فبعد أن نسب إليه أعمالاً جليلة لم يلتفت إلى أنه لا يشبه غيره ، وإن ما ألصق به من ظلم لعله كان قد تقلد من أعداء كوكبري والظاهر أنهم التجار وأرباب الأموال ، فيعدون القيام بأعمال هذه مما يضرهم ، فحاولوا التشجيع عليه ، وانه ثقل عليهم . والرجل دبن ما سمع ، واءتقد بصحة ما قيل . ومن المهم قوله أكثر أهلها أكراد استعربوا . فهذا كان بسبب الثقافة العربية الإسلامية بلا ريب ، وكان من أهم ما تعرض له ياقوت اللغة المختلطة ،

وما أدت إليه ، وهي اللغة العامية الجارية بين الأملين والقصائد المنقولة عن
(شيطان العراق) تدل على ما قامت به المدارس من خدمة .

ومثلها ما هو شائع في هذه الأيام ويعدّ كنز بين الكرد والعرب ولا غرض
فيه الا تصوير الحالة ، وبيان درجة الاختلاط في اللغة . ومن الصواب الانلفت
الى جبة التبر بل إلى ازالة النقص بيث روح العلم . وما كتبه ياقوت عن
اربيل الجديدة (ربض القلعة) كان عن أيامها الأخيرة ، ونسب العمل الى
مظفر الدين كوكبري . فعدها مدينة محدثة باعتبار ما بنى بصورة موسعة جداً
والآ فهي موجودة قبل ذلك بمدة . فكأنها مدينة محدثة ، وان الأصل قد
أهمل أو لم يبق منه ما يعدّ قديماً . وبعد وفاة كوكبري أصابتها ضربات عظيمة ،
وحدثت فيها وقائع فلت من غريبها ، وكادت تندثر لولا ان الحالة تقتضي التوسع
دائماً فيعمر ما خرب ويعاد ما دمر عند عودة النظام واستقرار الحالة .

مر بنا ذكر بعض الحوادث الى انتهاء الدولة العباسية . أما ما جرى بعد
ذلك وفي العهد العثماني فقد تقلبت فيها الأحوال فصارت تابعة للسليمانية مرة ،
ولشهرزور اخرى او لكركوك وهكذا عدت أحياناً من مضافات الموصل بما
زاد أو نقص في نطاق نفوذها حسب ما كانت تقتضيه السياسة وادارة المملكة .
وفي مواطن عديدة من هذا اللواء يسكن بعض القبائل العربية ، وفي
اربيل والتون كوبري (القنطرة) يسكن بعض الترك ، وفي بعض القرى ايضاً .
وغالب أسماء بعض المواطن تركية والظاهر ان الزيادة جاءتهم أيام المغول من
أذربيجان والاتصال قريب . ومن قبائلها التركية المعروفة (صاره لو) .
وقرى عديدة .

ومن عشائر الكرد المعروفة :

١ - خوشناو .

٢ - ديزه بي .

٣ - گردي .

٤ - بلباس .

٥ - يشدر .

٦ - آكو .

٧ - بالكي .

٨ - سيان .

٩ - زراري .

١٠ - بالك .

١١ - ساله بي .

هذا . وقد تكلمنا في (كتاب عشائر الكرد) في العراق بصورة موسعة ،
ومن بين هذه القبائل ما يطول القول فيه . فاكثفي بالإشارة .

خاتمة القول

وهنا نهي كلامنا بأن هذه الامارة من أقطاع أتابكة الموصل سنة ٥٣٢ هـ ،
فرأت منهم جفاء فمالت الى آل أيوب سنة ٥٨٠ هـ ، ودامت على ولاء هؤلاء
حتى سنة ٦٢٢ هـ وفي أول المحرم سنة ٦٢٨ هـ انقادت للخلافة العباسية حتى
انقرضت سنة ٦٣٠ هـ فكانت في سياستها الخارجية ، وادارتها الداخلية وحمايتها
لثقافة ، وقيامها بأعمال البر قدوة ، انتجت جملة صالحة من جملة العلم وأرباب القلم ،
فخلدت أجدان الذكريات ، والوثائق التاريخية في مطالعها كثيرة لا محل لاستقصائها
وكل ما ظهرت النصوص اكثر تجلت عظمتها . والأمل أن تتكامل المطالب .

(بغداد)

عباس الزاوي

مدارس دمشق وحماماتها

دخل حديثاً في حوزة دار الكتب الظاهرية مجموع خطي يحوي ثلاث رسائل
عن مدينة دمشق وهو في صتين ومئة ورقة . في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً
بخط واضح جلي . أبعاد الصفحة (٢٠ x ١٥) أحيطت كتابة كل الصفحات من
جميع أطرافها بخطين أحمرين على هيئة إطار بأبعاد (١٥ x ٩٥) وذلك عدا
الصفحتين من مفتح الرسالة الأولى والثانية فقد جدد حول اسطر صحائفها
بثلاث خطوط دقيقة سوداء عليها بخط عريض من الذهب .
هذا المجموع خلو من تاريخ يدل على زمن كتابته ، وورقه من الورق المستعمل
بعد القرن العاشر الهجري وكتابته تشبه خطوط الموصل .

الرسالة الأولى : تبدأ من الورقة الأولى وتنتهي في الورقة الحادية
والسبعين . وقد جاء في أولها : « وبعد فاني قد اتيت في هذه الأوراق بذكر تاريخ
بناء مدينة دمشق ومعرفة من بناها ، وطرف من أخبارها مما اخذته من تاريخ
مدينة دمشق للشيخ الامام الحافظ ابي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر الدمشقي
رضي الله عنه حسب ما توخيته من الاختصار ، وحذف الأسانيد من الأخبار
المأثلة بها ، وتلخيص المعنى من اللفظ الذي أورده المصنف » .

على ان المؤلف في آخرها نقل عن الذهبي والنووي وابن الاثير .
وجاء في آخر هذه الرسالة ما يلي : هذا ما وجد بخط الامام شيخ الاسلام
تقي الدين ابن قاضي شبة الشافعي تغمده الله برحمته والحمد لله وحده .
ومن هذا يظهر موضوع الرسالة الأولى واسم مؤلفها . وفيه هذه الرسالة
في الرجوع الى نصوصها لمقابلتها بما ورد منها في الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر
المطبوع والمخطوط بالظاهرية بدمشق لكثرة التصحيف فيها .

مؤلف هذه الرسالة : هو تقي الدين ابو بكر بن احمد بن محمد بن عبد الوهاب الاسدي الشهيبي الدمشقي . فقيه ومؤرخ ، له تاريخ كبير ابتداء فيه من سنة مئتين الى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وله تاريخ آخر جمعه ذيلاً على تواريخ : الذهبي ، والبرزالي ، وابن رافع ، وابن كثير ، ابتداء من سنة احدى واربعين وسبعمائة وانحى به في سنة نيف وعشرين وثمانمائة . وهو في ثمان مجلدات . اختصره في مجلدين ، ثم اختصره في مجلد واحد وكتب حوادث زمانه الى يوم وفاته — اكثر من النقل عنه النعمي في تنبيه الطالب تارة بقوله : قال ابن قاضي شعبة ، وأخرى بقوله : قال الأسدي . فها لقبان لشخص واحد — ومن مؤلفاته طبقات للشافعية ، وأخرى للحنفية ، والمنتقى من نخبة الدهر في عجائب البر والبحر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر — ولعله هذه الرسالة ، او ان له انتقاء آخر منه — والمنتقى من تاريخ الاسكندرية للنويري ، والمنتقى من الأنساب للسمعاني توفي سنة (٨٥١)^(١) .

* * *

الرسالة الثانية : تبتدى من الورقة (٧٣) وتنتهي في نصف الوجه الأول ، من الورقة (١٤٥) ويفصل بينها وبين الرسالة الأولى ورقة بيضاء . وقد جاء في أول صفحة منها :

« كتاب فيه جزء من فضائل الشام ودمشق^(٢) * وذكر ما فيها من الأمارات والبقاع الشريفة تأليف * ابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربيعي المالكي رواية ابي الحسن * علي بن احمد بن زهير التميمي المالكي رواية ابي الفضائل * ناصر بن محمود القرشي رواية سديد الدين ابي محمد * هبة الله بن الخضر بن طارس عنه مباح * عبد الله بن عبد الغني المقدسي * وابنه ابي محمد الحسن بن عبد الله بن * عبد الغني رحمة الله تعالى * عليهم اجمعين * بمحمد * وآله * آمين .

(١) الضوء اللامع ، وشرحات الذهب . (٢) جاءت في الأصل علي شكل مثلث ولذلك جعلنا النجمة علامة لكل سطر منه .

وفي الورقة الثانية منها : حدثنا الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن شجاع الربيعي المالكي بدمشق حرسها الله في المسجد الجامع سنة خمس وثلاثين واربع مئة .
 وقسمه لقرا الكتاب غير قليلة باعتباره مصدراً من مصادر تاريخ ابن عساكر رغم انه يحتوي كالمسألة الأولى على قسم كبير من الأحاديث المنحولة .

مؤلف هذه الرسالة : ترجمه ابن عساكر في ج (١٢) ورقة (٢٥٧) وجه (٢) من تاريخه مخطوطة الظاهرية وقال عنه : علي بن محمد بن صافي بن شجاع ابن محمد بن هارون ابو الحسن الربيعي المعروف بابن ابي الهول . وتقل انه كان يزور سماعات يلصقها على الكتب لأجل ان يحدث فيها فهو كذاب أو كائنه ، توفي سنة (٤٤٤) او (٤٤٣) .

* * *

الرسالة الثالثة : تبندى من نصف الوجه الأول من الورقة (١٤٥) وتنتهي في آخر الوجه الأول من الورقة (١٦٠) وقد جاء في أول صفحة منها :
 جزء يشتمل من عاشر دمشق على عدد * مدارسها وربطها ودور الحديث * النبوي بها وعدد جوامعها ودور * القرآن وعدد حماماتها جمع * لنفسه الحسن بن احمد بن زفر الاربلي * الشافعي المتطبيب عفا الله عنه .

وهذه الرسالة هي خير ما في هذا المجموع ، فقد تضمنت تصنيفاً جميلاً لمدارس دمشق ، صنف فيها الى ستة فصول :

« فصل اول » في عدد مدارس دمشق ، وحصرها المؤلف في إحدى وتسعين مدرسة . ثم قسمها الى : مدارس الشافعية ، مدارس الحنفية ، مدارس الخنابلة ، مدارس المالكية ، مدارس الطب .

« فصل ثان » في دور الحديث النبوي .

« فصل ثالث » في دهر القرآن .

« فصل رابع » في عدد اخوانك ، وختمه بحثاً عن الربط ، وعرف الربط بانها اخوانك التي تختص بالنساء .

« فصل خامس » في عدد جوامع دمشق وحواضرها وما اتصل بحواضرها .

« فصل سادس » في عدد حمامات دمشق ، ما هو من داخلها ، وفي حواضرها ، ومتصل بحواضرها .

وكل هذه التصنيفات مقسمة الى قسمين : ما هو داخل سور دمشق ، وما هو خارج عنها .

واول من صنف في الكلام على مدارس دمشق فيما نعلم هو عز الدين ابن شداد فقد ضمن كتابه « الاعلاق الخطيرة » فصلاً قبيلاً عن مدارس دمشق وتصنيف انواعها كان اسماً ودستوراً لمن ألف في هذا الموضوع من بعده ، كما ضمنه أيضاً فصلاً لمساجدها ، وآخر لحماماتها وزياراتها وغير ذلك من مصانعها وأبنيتها ، وقد فعل مثل ذلك بقية المدن الشامية كحلب وحماة وحلب وبعض بلدان الجزيرة الفراتية .

على ان اشهر كتاب في هذا الموضوع هو « تنبيه الطالب » للنعماني فقد تداولته أيدي الناس واختصر عدة اختصارات تداولتها الأيدي أيضاً . وقد جعل دستور في هذا الموضوع ما كتبه ابن شداد في الاعلاق الخطيرة فزاد عليها تراجم المنشئين لها والمدرسين فيها واستدرك على ابن شداد من المدارس ما بني بعد عصره .

ورسالتا هجره التي صنفها الاربلي المتوفى سنة (٧٢٦) في حلقة وسطى بين ما كتبه ابن شداد المتوفى سنة (٦٨٤) وما كتبه النعماني المتوفى سنة (٩٢٧) فهي ترشدنا الى ان فكرة التأليف في مدارس دمشق كانت مرطدة الأركان

قبل النعمي صاحب تنبيه الطالب ، وقيل احمد بن حجي^(١) صاحب كتاب « المدارس من أخبار المدارس » . كما انها ترشدنا الى ان هذه المصانع لم تكن مهمة الشأن بل كانت مسجلة في سجلات رسمية كما نقل الاربلي ص (٢٤٥) احصاء اخوانك والربط من جريدة الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حمويه .

وصف الشيوخ : وظيفة موضوعها التحدث على جميع اخوانك والقراء التي تكون في بلدة شيخ الشيوخ والعادة في دمشق ان يتولاها من يكون شيخ اخاتقاء السيساطية^(٢) . ولا شك بأنه كان لدى صاحب هذه الوظيفة سجلات وجرائد تحوي اسماءها واسماء النازلين فيها ومبلغ المال المنفق على كل خانكاه كل يوم وما الى ذلك .

وتقابل ذلك فقد يجب ان يكون للمدارس على اختلاف انواعها سجلات عند قاضي القضاة وناظر الأوقاف وشادها . ومن الجائز ان يكون الاربلي مؤلف هذه الرسالة لجأ الى هذه السجلات في المدارس كما لجأ اليها في اخوانك والربط .

وتزبر في قيمة هذه الرسالة الاعتبار التي اعتبرها المؤلف فالنعمي والعموي ، يعتبران المدرسة العربية مثلاً في مدارس الفقه الحنبلي ، ولكن الاربلي يعتبرها مثلها ص (٢٤٣) ويعتبرها أيضاً دار قرآن ص (٢٤٥) . ويؤيد ما ذهب اليه الاربلي شهادة ابن بطوطة فهو يقول في رحلته عن الصالحية : فيها مدرسة تعرف بمدرسة ابي عمر ، موقوفة على من اراد ان يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس^(٣) . وقد يكرر الاربلي ذكر المدرسة مرتين كالعزبة البرانية ، ذكرها مرة مع المدارس الخفية ومرة ثانية في دور الحديث . وهو في ذلك يرشد الى ان هذه المدرسة كان لها فرعان : فرع للفقه الحنفي ، وفرع للحديث .

(١) توفي سنة (٨١٦) راجع ترجمته في الضوء اللامع ، وثغرات الذهب .

(٢) راجع صبح الأمتى ١٩٠/٢ (٣) مذهب ربيعة ابن بطوطة ٨٠/١

وقد يسمي المدرسة باسم يختلف عن تسمية النعيمي كمدرسة الكردية ص (٢٤٢) التي سماها النعيمي المجامدية نسبة الى مجاهد الدين بزاز بن مامين الكردي .

كما انه ثبت مدارس لم يمر علينا اسمها كمدرسة ابن سني الدولة ص (٢٤٢) الى غير ذلك من الفوائد الدقيقة التي توجد فيها .

ولا أعرف أحداً نقل عن هذه الرسالة الا ابن عبد الهادي في كتابه «عدة المليات في تعداد الحمامات» فقد نقل عنها ولقب مؤلفها بأبي علي الاربلي .

وان ما تقدم من مميزات هذا بي الى نشرها ، فجملت لجميع ما أحصاه أرقاماً ليتضح احصاؤها على الصحة لأن بعض ما أثبتته المؤلف من الأسماء يختلف عما أحصاه عدداً ، وعلقت على الحمامات بما اطلعت عليه من النصوص المتعلقة بها ، وتركت التعليق على المدارس والخوانق والجوامع - الا ما لا بد منه - لوجود المصادر التي توسعت في الكلام عليها كتنبية الطالب للنعيمي المخطوط ، ومخطوط الشام ، ومختصر تنبيه الطالب للعلموي المطبوعين . وقد تصرفت تصرفاً قليلاً في بعض الكلمات فأثبتتها في النص بما رأيته صواباً ونهيت في التعليقات على نص الأصل . وهناك أشياء أخر اكتفي بالتنبيه اليها هنا وهي الأعداد فأنها في الأصل غير مطابقة للقواعد العربية مثل :

ثلاثة مدارس ، وخمسة وثلاثون مدرسة

وعشرة ، وثلاثة وأربعون ، وأمثالها

فمبينا مع القاعدة فأثبتناها ثلاث مدارس وخمس وعشر مدارس خلافاً للأصل .

مؤلف هذه الرسالة : لم يجوزنا كثيراً الى التنقيب عنه . فهو قد عرض

علينا شخصيته في أول رسالته ، فقال : يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب أتني حين وردت دمشق المحروسة وطال مقامي بها شاهدت بلداً

كثير المحاسن الخ . فأفادنا اسمه واسم أبيه وبلدته ومذهبه وصناعته ، وعرفنا العصر الذي عاش فيه فقال عن دار الحديث السكرية : وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، أعاد الله علينا من يركناته ، وعن الرباط القلاسي : تم بناؤه والفراغ منه في آخر سنة عشرين وسبعائة ، وعن جامع الصاحب بالقماطلة : أنه تم بناؤه سنة ثمان عشرة وسبعائة ، وعن جامع تذكر : أن بناءه تم في مثل هذا التاريخ ، وعن جامع كريم الدين : تم بناؤه سنة إحدى وعشرين وسبعائة ، وعن حمام درب الحجر : جدد سنة إحدى وعشرين وسبعائة ، وعن حمام تذكر : مثل هذا التاريخ ، وعن حمام أنشأه الأمير ايلجي بغا سنة عشرين وسبعائة ، وعن حمام الأمير ابن صبح : تم سنة اثنين وعشرين وسبعائة وهذا يدلنا على العصر الذي كان فيه لأنه لم يؤرخ لشيء من المدارس والجامع والحمامات على كثرة ماعدته الا ما كانت معاصراً لزمته . كما يدل أنه شاحد في دمشق نهضة عمرانية أثرت في نفسه .

نُكْتُمُ : لا نعلم عن نشأته الا ما حدث الحافظ الذهبي انه سمعه يقول : خلف لي ابي مالاً فأنفقته في الشهوات حتى أتلفتته ، ففنتت ورقة فوجدتها وثيقة على فلاح بفرارة شعير ، فأخذت له هدية بشيء يسير وتوجهت فأعطيتها لامرأته ، فقالت لي هو في الحرث ، فتمشيت اليه فكلمته ، وإذا في رأس النكة في المحراث شيء مدور وقع ، فأخذته فأجدها برنية ^(١) صغيرة ثقيلة ملفوفة ، فقلت له انا اسبقك الى البيت ، ثم ابعدت ففتحتها فإذا فيها سبعون ديناراً ، فبت عنده وحالته وسرت الى المدينة ومشي الحال بعد ذلك ^(٢)

ويقول ابن العباد : انه سافر وتغرب ودخل الى بلاد المعجم واشتغل بالطب ^(٣) .

(١) آفة من خزف . قاموس (٢) الدرر الكامنة (٢ : ١١)

(٣) نذرات الذهب (٦ : ٢٢)

الاربلبي في دمشق : يظهر مما جاء في مقدمة رسالته من قوله : اني حين وردت دمشق المحروسة ، وطال مقامي بها ، شاهدت بلداً كثير الحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً من الاعتدال الخ انه اقام في دمشق مدة طويلة وأنه أحبها وألف هذه الرسالة شاهداً على شدة حبه لها ، وقال عن جامع الصاحب بالقماطلة انه تم بناؤه سنة (٧١٨) ، واذا ثبت ان المؤلف توفي في دمشق سنة (٧٢٦) نجزم انه اقام في دمشق مدة لا تقل عن ثمان سنين كانت فيها مشغولاً بالعلم يستفيد ويفيد ، فالنحوي يقول عنه ، سمع معنا الكثير وحصل أثبات سماعته ، وألف كتباً وتاريخاً وسيرة نبوية ^(١) ، ولكن كيف كانت حياته في دمشق ؟ إن ما يفيد كلام المؤرخين أنه كان يعيش عيشة زهد وتقشف يسكن منزلاً من منازل الصوفية هو دويرة حمد ^(٢) . وهي خانكاه من خوانكهم ذكرها المؤلف في هذه الرسالة ص (٢٤٦) ويذكر الدكتور احمد عيسى انه كان مقبلاً بدويرة حمد صوفياً بها وهو مرتب في مدرسة الطب وأذن له في المعالجة فلم يفعل ^(٣) ومن هذا يظهر زهده وقناعته ، فهو قانع بمرتب طالب يتقاضاه من ناحيتين

(١) الدرر الكامنة (٢ : ١١) .

(٢) البداية والنهاية ١٢ : ١٢٠ الدرر الكامنة ٢ : ١١ شذرات الذهب ٦ : ١٢٠ معجم الأطباء ١٦٠ ويذكر الترمذي ان هذه الخانكاه كانت في درب السلسلة بباب البريد ، واذا كان درب السلسلة هو درب الذي يؤدي الى قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث يوجد في آخر هذا درب حمام لا يزال يدعى بحمام السلسلة ترجع لدينا أن يكون محل هذه الدويرة في الطريق الآخذ الى المدرسة العادلية والظاهرية من جهة باب البريد . وقد هذه الدويرة أقدم مدارس دمشق وخوانكها فنشأ توفي سنة ٢٠١ فتسكون أقدم من السيساطية المتوفى منشأها سنة ٢٠٣ ومن السادرية المنشأة سنة ٢٩١ . وقد ترجم العبي لعدة علماء ممن تولوا مشيختها أو تولوا فيها ومن جملتهم مؤلف هذه الرسالة الحسن الاربلبي قل ترجمته عن ابن كثير .

(٣) معجم الأطباء ص ١٦٠ قل فلك عن ابن كثير وشذرات الذهب وايست هذه البارة موجودة في النسخ المطبوعة منها ولا في تيه الطالب الذي قل نس ابن كثير ولعل الدكتور قل هذا النص من نسخة خطية من تاريخ ابن كثير فيها هذه الزيادة .

من دويرة حمد صوفياً، ومن مدرسة طبّ طالباً، وأنه لم يتعاط هذه المينة مع ما كانت تدر من المال الجزيل ورغماً عن زهده هذا وعن ثناء العلماء عليه وتوثيقه فإنه لم يلم من لسان الذهبي الذي كان حاتقاً على الفلسفة والفلاسفة فبعد ان يقول عنه: سمع معنا الكثير وكان صادقاً - يقول - ولكن كان مظلماً في دينه ونحلته متفلسفاً، وغالب تاريخه تراجم شعراء ومعه تراجم غريبة تدل على فضله ^(١).

ومن شعره ^(٢):

واذا المسافر آب مثلي ^(٣) مفلساً صفر اليدين من الذي رجاء
وخلا عن الشيء الذي يهديه لـ لـ لاخوان عند لقائهم اياه
لم يفرحوا بقدومه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقياء
واذا اتاهم قادماً يهديه كان السرور بقدر ما أهداه
توفي المترجم بالمارستان الصغير ^(٤) سنة (٧٢٦) ودفن بباب الصغير عن
ثلاث وستين ^(٥) سنة .

محمد أخصير رحمان

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦

٣ نيسان ١٩٤٧

وهذا مطلع الرسالة:

(١) الدرر الكامنة (٢) شذرات الذهب (٣) أورده الدكتور أحمد عيسى هكذا:

... وإذا للمسافر آب مثلي مفلساً

(٤) ويسمى المارستان الدقاق وله كان قبلي بيوت الطهارة التي على باب الجوامم الاموي التري

(٥) هكذا في تاريخ ابن كثير للطبوع وتلبية الطالب تلاً عن ابن كثير أيضاً...

وفي معجم الأطباء تلاً عن ابن كثير: عن ثلاث وسبعين، وهو يخالف لما في تاريخ ابن كثير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ،
محمد وآله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين .

يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب : اني حين وردت دمشق
اغروسة ، وطال مقامي بها ، شأعت بلداً كثير الحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً
من الاعتدال ، يجد الانسان كل ما يحتاج اليه في انتظام مصالحه ، لسهولة موجوده
ثم رأيت لدمشق خصائص كثيرة : منها حسن تقسيم المياه حتى يدخل بنفسه
الى دورهم وحماماتهم وسقاياتهم ، ومنها دوام سائر الفواكه الطيبة ، واستمرارها طول
السنة ، وكذلك مشروباتها ومحضاتها كالنارنج والاترنج والليمون والكباد ، وهو
نوع من الاترنج ، لا ينقطع وجودها من دمشق صيفاً ولا شتاء .
ورأيت من محاسنها حسن عمارتها ، وبساتينها وكثرة مدارسها وحماماتها ،
فاستخرت الله تعالى ، وجمعت جزءاً يشتمل على مدارسها ، وعلى دور الحديث النبوي
بها ، وعلى خوانكها ، وربطها ، وجوامعها ، وعدد حماماتها .
واعرضت عما سوى ذلك ، فاني لو جمعتها كانت يستدعي مجلداً كبيراً أو
مجلدات وهذا القدر الذي اريد ان اذكره في هذا الجزء من محاسن دمشق كاف
في المقصود ، لأن به يستدل على باقي محاسنها ، وبه يعرف كمال شرفنا ، وهذا
حين الابتداء بالمقصود .

فصل اول

في ذكر عدد مدارس دمشق وعدتها احدى وتسعون^(١) مدرسة .

(١) في الأصل : تسعين

م (٤)

تفصيلها

- (١) مدرسة العادلية الكبيرة (٢) العادلية الصغيرة (٣) الظاهرية (٤) البادرانية^(١)
 (٥) القيمرية (٦) الامينية^(٢) (٧) الناصرية (٨) المسروورية (٩) الاقبالية
 (١٠) الجاروخية (١١) التقوية (١٢) العزيزية (١٣) المجاهدية (١٤) الرواحية^(٣)
 (١٥) الفلكية (١٦) الركنية (١٧) العذراوية (١٨) العصورونية (١٩) الشامية الجوانية
 (٢٠) الاكزية (٢١) الطيبة (٢٢) الصلاحية (٢٣) الكردية^(٤) (٢٤) الطبرية
 (٢٥) السامرية^(٥) (٢٦) العمادية (٢٧) الدماغية (٢٨) النجيبية (٢٩) القليجية
 (٣٠) الفتحية (٣١) الرواحية .

وفي الجامع الاصوي ثلث مدارس وهي : (٣٢) المدرسة الغزالية
 (٣٣) والقوصية (٣٤) والكلاسة .

فهذه جملة عدد مدارس الشافعية التي هي داخل مدينة دمشق وهي خمس
 وثلاثون مدرسة .

ولهم خارج دمشق ثمان مدارس وهي : (٣٥) المدرسة الانابكية (٣٦)
 الشامية البرانية (٣٧) الظاهرية (٣٨) الفرخشامية (٣٩) الاسدية (٤٠) البهنسية
 (٤١) مدرسة ابن صفاء الدولة (٤٢) مدرسة السبع مجانين .
 آخر عدد مدارس الشافعية ٤٠ بمبلغها ثلاث وأربعون مدرسة .

* * *

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنفية

وجملتها احدى وثلاثون . داخل دمشق منها احدى وعشرون مدرسة وهي :
 (١) مدرسة الظاهرية (٢) والنورية (٣) والصادرية (٤) والبلخية (٥) والقليجية

- (١) في الأصل : الباذراية والصواب ما أقتناه لأن منشأ نجم الدين البادراني
 منسوب الى بادرايا قرية من سهل واسط . (٢) في الأصل : الامينية .
 (٣) في الأصل : الدواحية . (٤) المراد بالكردية : المجاهدية .
 (٥) في الأصل : العاصرية .

(٦) واختاتونية (٧) والريحانية (٨) والجوهريّة (٩) والقيّازية (١٠) والطرخانية (١١) ومدرسة القلعة (١٢) والعزبة (١٣) والعذراوية (١٤) والمعينية (١٥) والدماغية (١٦) [و] مقدمة (١٧) والشبلية (١٨) والاقبالية (١٩) والفتحية (٢٠) ومدرسة القصاصين

ولهم بالجامع الاصوي مدرسة واحدة وتعرف (٢١) بزواية الحلبيين^(١) .

ولهم خارج دمشق عشر مدارس وهي (٢٢) المدرسة الزنجارية^(٢) (٢٣) والمعظمية (٢٤) والمرشدية (٢٥) والشبلية (٢٦) والفرخشاهية (٢٧) والعزبة (٢٨) واختاتونية (٢٩) والركنية (٣٠) والعلمية^(٣) (٣١) والماردانية .

آخر مدارس الحنفية

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنبليّة

وجماعتها عشر مدارس . من ذلك داخل دمشق ست مدارس وهي :

(١) المدرسة الحنبليّة (٢) والجوزية (٣) والمسامرية (٤) والصدريّة .

ولهم بالجامع الاصوي مدرستان : وهم : (٥) حلقة الأوزاعي^(٤) (٦) وحلقة المحراب^(٥)

ولهم خارج دمشق بحيل الصالحية خاصة اربع مدارس . وهي : (٧) دار الحديث الاشرقية (٨) والصاحبية (٩) والنبائية (١٠) ومدرسة الشيخ ابي عمر رحمه الله آخر مدارس الحنابلة .

(١) في الأصل : الحلبيين .

(٢) في الأصل : الزنجالية ، وفي مختصر تنبيه الطالب للملوي : الزنجارية ، ويقال لها الزنجيلية

(٣) في الأصل الدالية ، والصواب ما أثبتناه لأنها منسوبة الى علم الدين منجر المعظمي .

(٤) في شذرات الذهب حوآدت سنة ٣٤٢ وفيها توفي الاخوي أبو الحسن بن خرام . وهو

آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي ويقول التبييحي في تنبيه

الطالب (٣ : ٣١١) مخطوطة لمجمع العلمى : وجدت بخط الشيخ قتي الدين الاسدي في تعداد

مدارس الحنابلة : للعتفية والحنابلة حلقة الأوزاعي ، وللحنابلة حلقة الدفينة وحلقة المحراب .

(٥) أي محراب الحنابلة

ذكر مدارس الطائفة المالكية

وهي اربع مدارس ، وكلها داخل دمشق وهي : (١) المدرسة النورية (٢)
والشرابية^(١) (٣) والصحصابية .

ولرسم بالجامع الاموي واحدة وتسمى (٤) حلقة السفينة^(٢) .

* * *

ذكر عدد مدارس الأطباء

الموقوفة على المشتغلين بعلم الطب خاصة وهي ثلاث مدارس ، منها مدرستان
داخل دمشق وهما (١) المدرسة المخوارية ، والمدرسة الدنيسرية ، ومدرسة واحدة
خارج دمشق وهي المدرسة البوذية .
آخر مدارس الأطباء .

* * *

فبعمدة عدد المدارس المذكورة المفصلة ههنا احدى وتسعون مدرسة

تفصيلها

المدارس الشافعية ثلاث واربعون مدرسة .

المدارس الحنفية احدى وثلاثون .

المدارس الحنبلية عشر مدارس .

المدارس المالكية اربع مدارس .

[مدارس] الأطباء ثلاث .

فصل ثان

في عدد دور الحديث النبوي وجملة اثنان وعشرون داراً

منها داخل دمشق ست عشرة داراً وهي : (١) دار الحديث الأشرفية

(١) في الأصل : والتراية (٢) تقدم نص النسخة فيها والعلوي عدها مدرسة حنفية ،

وذكرنا أن للمالكية زاوية في الجامع الاموي ملاصقة بالمقصورة الحنفية من غربي الجامع

(٢) والنورية (٣) والظاهرية (١) وتربة أم الصالح (٤) والنفسية (٦) والقوصية (٧) ومشيد عروقة (٨) والكرومية (٩) ومقصورة المالكية ٤ وتعرف بمقصورة الخضر^(١١) أيضاً (١٠) والفاضية (١١) وقراءة حديث بالمدرسة الناصرية (١٢) والسدرية الخيلية (١٣) والتليجية^(١٢) الخفية (١٤) والشقيشية (١٥) والدوادارية العلمية (١٦) ودار الحديث السكرية وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ٤ أعاد الله علينا من بركاته ٠

ودور الحمير التي في خارج دمشق هي : (١٧) دار الحديث العربية بشرف^(١٣) الميدان ٠

وبجبل الصالحية خمسة وهي : (١٨) دار الحديث الأشرفية (١٩) والضياية (٢٠) والعالمة (٢١) والسراجية (٢٢) والبيضورية ٠

فصل ثالث

في عدد دور القرآن بدمشق

وهما داران : داخل دمشق (١) مدرسة ابن المنجا^(١٤) (٢) وبجبل قاسيون مدرسة الشيخ أبي عمر ٠

فصل رابع

في ذكر عدد اخوانك التي بدمشق لرجال والنساء

اخبرني الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حموية من جريدته فقال : عدة اخوانك والربط التي بدمشق اربع واربعون ما بين خاتناه ورباط ٠

منها داخل دمشق اثنا عشر خانكاد [١٢] (١) الخانكاه السباطية^(١٥)

(١) مكانها موضع محراب الخنابة اليوم وهي غير مقصورة للكنيسة (٢) في الأصل : القليجة (٣) في الأصل : بسوق الميدان والمراد بالشرف الشمالي ٤ والربطة هي التي تقابل مدرسة التميز الأولى من جهة القبلة ٤ والمراد بالميدان ميدان المرجة (٤) هي دار القرآن الوحيية منسوبة للشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان المنجا المتوفى سنة (٧٠١) راجع دور القرآن في دمشق للزميني ص (٥٠) ومختصره للملوي ص (٨) (٥) في الأصل : السباطية

(٢) الأندلسية (٣) الشهاية (٤) النجمية (٥) الاخلاعية (٦) دويرة حمد^(١)

(٧) المجذبة (٨) الثويائية (٩) الاسدية (١٠) رباط الشيخ ابي الياس *

ومنها خارج دمشق اثنا عشر خانكة [٢] وهي (١١) خانكة خاتون

(١٢) المجذبة (١٣) وخانكة الطاحون (١٤) للنجبية (١٥) خسامية (١٦) الطواويس

(١٧) قصر شمس الملوك (١٨) الشقارية^(٢) بالنيرب (١٩) المقدمة (٢٠) والشبلية *

(٢١) مسجد ابي صالح (٢٢) خانكة الناصرية * قال :

وعمر الربط وهي الخوانك التي تختص بالنساء عشرون رباطاً *

ومنها داخل دمشق خمسة عشر رباطاً وهي : (٢٣) رباط الحبشية (٢٤) ورباط

الغرز خليل (٢٥) ورباط جاروخ (٢٦) ورباط اسد الدين (٢٧) ورباط الست عذرا

(٢٨) ورباط الركن الفلكي (٢٩) ورباط بلدق (٣٠) رباط الأساكفة (٣١) ورباط

الحواجبية (٣٢) ورباط صادم الدين المطروحي (٣٣) ورباط جمال الدين المطروحي (٣٤)

ورباط النجارين (٣٥) ورباط باب الجاية (٣٦) ورباط السفلاطوني (٣٧) ورباط البغدادية

ومنها خارج دمشق خمس ربط وهي : (٣٨) رباط المزة المعروف بالحواجبية

(٣٩) ورباط اسد الدين (٤٠) ورباط ابن سويد بالصالحية (٤١) ورباط الحبتيق

(٤٢) ورباط فيروز *

آخر عدد الخوانك والربط

بقول الحسن جامع لقذا الجزء : وقد انشأ صاحب عن الدين حمزة المعروف

بابن القلانسي (٤٣) رباطاً بجبل الصالحية قريباً من حمام الزهور ، وتم بناؤه

والفراغ منه في آخر سنة عشرين ومستمائة * فصارت عدة الربط والخوانك

مع هذا الرباط خمساً وأربعين *

يتبع :

(١) هي التي كان يدكنها المؤلف (٢) كذا في الاصل : وهي التي باق منها بعض بقية

في بيتان الماذنة قرب الربرة ولا يزان فيها حجر نقش عليه اسم الشقاري. فوق السبيل ثلاث قط ولكن

الثان مهمة من القط والذي في تنبيه الطالب وعذرات الذهب : الشقاري

(١) العامي والفصح

- ٦ -

تابع لما نشر ج ٢٠ ص ٤٢٣

دابل على دابه

د اب — وقالت العامة دَابَّك على دَابَّة ودِرْ دابل على دِرْ دابه بمعنى واحد أي عادتك جارية على وفق عادته وأنت ماضٍ في تتبع حالاته

وفي اللغة الدَّاب بالهمزة العادة وترك الهمزة لغة يقال فيها داب يدوب دَوْباً كما يقولون داب يداب دأباً وهو الدَّيْدِير والدَّيْدَن قال الفراء أصله دَأَبَت إلا أن العرب حوَّلت معناه إلى الشأن فهو مجاز كما في الأساس والدَّاب أصله في كلام العرب هو الدَّوْب أي الاجتهاد في السير

وأما الدِرْ داب فهو محرف من الديب ابدلوا الياء راء ومدوا حركة الدال الثانية فولدت. الفاء كما قالوا في تبيس تيرس إذا تبحر وربما يقال إن أصله من الدُرْبَة وهي العادة • دَرَب في الأمر دُرْبَة إذا اعتاده وهي الدُرَابَة أيضاً وتدرَّب اعتاد •

د ب ب دَبَّه — وقالوا دَبَّه إذا رماه من علو إلى سفلى أو ألناه على الأرض دَبَّاً وهي إما من ذب عنه إذا دفع ومنع والذب في اللغة كما جاء في لسان العرب الدفع والمنع والطرْد ذب عنه يذب ذباً إذا دفع ومنع وقال في موضع آخر وذب الذباب وذبيته نجه ولا يزالون في العراق يقولون ذَّبه بمعنى القاه أو يقال هو من تبه بمعنى أهلكه وعذَّبه وهذا الوجه هو ظاهر الكفة •

• د ب س الدُّبُوس — الدُّبُوس بنتج أوله واحد الدبابيس هكذا تلفظه العامة وهي المقامع من الحديد وغيره عن أئمة اللغة وكأنه معرب دبوز قال في التاج والصواب إن يكون مفردة (دُبُوس) بالضم كذا ضبطه غير واحد •

(١) كتابي « رد النامي إلى الفصح » •

ثم استعير لما يُنخرم ويُجمع به الورق والنياب وهو امرة موضع خرقتها 'كرة' تمنع انتقالها ثم عر لكل ما ينخرم به الورق والنياب ولو لم يكن ذا 'كرقر' وبه سمي ما يجمع به الشعر ويُحفظ نظامه ديوساً . وهذا في اللغة يسمى العقاص وفسروه كما جاء في التاج نقلاً عن بعضهم بأنه مثل الشوكة تصلح به المرأة شعرها وهو في الأصل خيط تشد به أطراف الدواب .

دبش دبش - الدبش عند العامة (بالفتح) رذال الحجارة واسقاطها وفي اللغة الدبش (محركة) سقط انتاع من أثاث البيت ، وربما كان محرفاً عن الجماش وهو ما يوضع بين الطي والجال في البئر ويكون غالباً من هذه الحجارة (راجع ج م ش)

وتقول العامة دبش الحائط اذا وضع وراء الساف (المدماك) من هذا الدبش ليقويه ويقوى دعمه كما يوضع جماش البئر ويقولون دبش له وكلامه دبشي اذا كتمه بكلام جاف غليظ وهو مأخوذ من الدبش هذا .

دب ق الدريق دب ق عليه - وتقول العامة دب ق على الشيء اذا لزمه ولصق به وفي اللغة الدريق بالكسر والدابق عن الفراء والديوقاء (من كتاب سيبويه) غراء يعاد به الطير وقال الفراء هو حمل شجرة في جوفه كالغراء يلزق بيناح الطير . ودبقه ودبقه اصطاده بالدبق فتدبقي ودبقي في عيشته لصق فاستعمال العامة صحيح فصيح .

دب ك الدبكة - ويقولون دبك اذا رقص الدبكة وهي ضرب من الرقص الريني فيه خطو متقارب ثم يضرب الراقص برجله الأرض ويقفز الى غير موقفه الأول وهكذا حتى يتم دورة الحلقة .

وأحسب انها من دريك لغة في كريد قال صاحب التاج في مادة ك رب د كريد في عدوه جد فيه وأسرع وقارب الخطو كدريك . فكان الذي

جاء في هذا للمعنى لنتان كريد ودربك والعامية اخذت باللغة الثانية وحوايات
الراء باء ثم ادغمتها في اختها . وتعاقب الراء والباء له مثيل في النصحي فقد
جاء الأصحح والأصحب لذي اللون الضارب الى الحمرة وقالوا نقر البيضة عن
الفرخ وتقينا .

د ب ل الدبلة - ويقول العامي لمن يفتاخذ من عمله ويحلب عليه الهم دبطني
يا فلان ورببت الدبلة على قلبي وأنا مدبول منك . ويعرفون الدبلة بأنها داء في
الجوف ينشأ من الهم .
والدبلة في اللغة خراج في الجوف والبدال قروح تنقب الجوف وهي الدبلة
والدبيلة بالتصغير كما في القاموس مأخوذة من الاجتاج لأنه فساد محتجج
يقوله صاحب التاج

دوبل - ويقولون دويل اذا أطرق برأسه الى الأرض والاسم عندهم
الدويله ويراد بها أنه تشبه بالدويل وهو اختزير لأن من عادة الخنزير ان
يطأطي برأسه الى الأرض دائماً .

دج دج دجدج - تشتش - وفالت العامة دجدج لجه وتشتش اذا كثر
واسترخى وتشتش الورم اذا ربا وانتفخ في استرخاء فاذا قالوا تش الورم
فانهم يعنون به انه ذهب وفش

أما اصل دجدج فهو في ما أرى تنجيج على البدلية اذا صح قول الجوهري
بأن معناه كثر لجه واسترخى ولكن صاحب القاموس خطأ الجوهري وقال
إنما هو تنجيج بالباء الموحدة ورد صاحب التاج على القاموس بأن الذي رد به
(على الجوهري) هو قول الهروي .

نقول ان اصلها ينجج تنججا للخلاف المذكور واما الابدال بين النون والبدال
فهو وارد في النصيح كما في قولهم تمرن على العمل ومزاد عليه . والبدال والباء
أيضا بتعاقبان مثل قولهم زبد شدقه وزبب اذا تكلم فظهر الزبد عليه ووصب
بالمكان ووصد اذا أقام وثبت .

دح ذل دحدله - وقالوا دحدله اذا دحرجه أو لفه كالأسطوانة وألقاه على الأرض وهو في اللغة دحدره بالراء (راجع ح دل) .
 دح س الداحس والدوحاس - الداحس والدوحاس عند العامة بثرة أو قرحة في الاصبع أو اليد يرم وتؤلّم والفعل منها عندهم دَوَحَسَت الاصبع أي أصابها الدوحاس وهو في اللغة الداحس والداحوس كذا في التاج ومثل الأزهرى عن الداحس فقال هو بثرة تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر ورواية اللسان « فقال قرحة تخرج بالبد تسمى بالفارسية بِرْوَرَة » . وقال الزمخشري في الأساس « ما بي داحس . وهو تشعث الاصبع وسقوط الظفر قال ممرزاد : تشاخت إبهامك ان كنت كاذباً ولا تبرئنا من داحس وكُناع^(١) »

أقول وقد اختلفت الرواية في هذا البيت فرواه في اللسان تشاخص بالصاد المهمل ونسب الرواية الى ابي علي وبعض أهل اللغة وذلك في مادة (دح س) ثم أعاد الشاهد في مادة (ش خ س) بالسين المهمل بعد قوله تشاخص قحفا رأسه اذا تباينا واختلفنا .

وجاء في التاج في المادتين بالسين المهمل ونسب الرواية الى ابي علي فهل رواها ابو علي على الوجهين أو ان احدهما غلط والذي يلوح لي ان رواية السين هي أصح الثلاث وان كان يصح تخريج الروايين الاخرين على وجه صحيح أما تشاخص فقد جاء في التاج يقال ضربته فتشاخص قحفا رأسه أي تباينا واختلفنا عن ابن دريد وقد استعمل في الإبهام . ١٠ هـ .

وأما تشاخص فقد جاء في اللغة وشخص الجرح انتبر وورم عن الليث وفي المحكم شخص الشيء يشخص شخصاً انتبر وشخص الجرح ورم . ١٠ هـ .
 وأما تشاخت بالتاء فهي من شَخْتُ شخوثة فهو شخْتُ وشخيت وهو النحيف الجسم الدقيقه وقيدته في لسان العرب لامن هنال ونسبه صاحب التاج الى غير اللسان من الأبهات أيضاً .

(١) الأكناع قهر الدين من داء على هيئة القطم والنمق .

د ح ش دَحْشَه — ويقولون دحش الشيء في الشيء إذا أدخله بقوة وهي في اللغة دَحَسَه بالسین المهملة . قال في اللسان دحس الثوب في الوعاء : أدخله قال :
يؤرُّها بسمعد^(١) الجنبين كما دحست الثوب في الوعاءين

وقال في النهاية الدَحَسُ والدَسُّ متقاربان ومنه حديث عطاء : حتى على الناس أن يدحسوا الصفوف حتى لا يكون بينهم فرَجٌ أي يزدحموا ويدسوا أنفسهم بين فرَجها . اهـ . وفي حديث سلخ الشاة فدحس يده حتى توارت إلى الابط وعلى هذا فتكون العامة أبدلت السين شيناً وهو وارد في الفصح كالروم والروشم والتشمير والتسمير . أو يكون من دَحَسَ قال في اللسان يقال دحس في الشيء إذا دخل . الليث الدَحَسُ اندساس شيء تحت التراب كما تُدَخَسُ الأثنية في الرماد وكذلك يقال للأنثى في دواخس قال العجاج :
« دواخساً في الأرض الا شُعفاً » اهـ .

د ح ل دخل في الأمر وداحل فيه — وقالوا دخل في الأمر إذا عاجل ويقال كثيراً ما دخلت فيه حتى أجاب بمعنى حادته ورددت عليه الكلام مرات حتى أجاب ويقولون داحله في ثمن السلعة أي رادّه وما كده . وفي اللغة الدَحَل الماكس في البيع حتى يتمكن من حاجته وداحله ما كده عن التهذيب .

د خ ش المداخشة — المداخشة والمداغشة (على البدل) عند العامة الممارسة والاختلاط في الأمور يقولون عَرَفَ فلان كيف ينصرف لكثرة مداخشته . وجاء في اللغة دغدشوا وتدغدشوا إذا اختلطوا في حرب وصخب وما أشبه ذلك . الأولى عن ابن الاعرابي والثانية عن ابن عباد .

د و ح الدودحة — وقالوا فلان بتدودح في مشيه وهو يمشي دَوْدَحَة أي

مشية القصار السهات

(١) اسمعده، تلاً غِظاً واسمعت أنامه تورمت .

الدودح في اللغة القصير السمين وقال صاحب التاج الدودح كجوهه الغليظ البطن والدَوْدَحَةُ السمن مع القِصَر ذكره ابن جنى ولم يفسره وفسره صاحب القاموس . وهو لغة في الدَحْدَح والدَحْدَاح . ورجل دَحْدَح ودَحْدَح ودَحْدَاح قصير غليظ البطن كذا في لسان العرب

والعامة لا تزال تعرف الدَحْدَح لهذا المعنى ومن أمثال عامتنا في جبل نامل « كل قصير ودَحْدَح يشي وقلبو يقدح وكل طويل وهابف يشي وقلبو خابف » يريدون من هذا المثل ان القصير شجاع والطويل جبان .

درب . الدَرَب — الدَرَب عند العامة الطريق مطلقاً . والسالكوه هم الدَرَّابَة وقد تَدَرَّب نحو الشيء أي أخذ طريقه اليه

ولكنه في اللغة أخص من ذلك فهو باب السكة الواسع والباب الأكبر وكل مدخل الى بلاد الروم والطريق غير النافذ فاستعمال العامة ، وهو استعمال اخص في العام ، من المجاز .

دردر . ما عاد دَرْدَر علينا — وناؤا ما عاد دَرْدَر لهذه الجهة وما عاد دردر علينا أي لم يتحرك لقبدها ولا سلك الطريق اليها وهو من دَرَز الطريق أي مدرجه كما في اللسان وقالت العرب ادرء حركه وبه فُسر الحديث (بين عينيه عرق 'بدرء الغضب) أي يحركه حكذا فسر في اللسان وجاء فيه أيضاً درء الفرس دريراً ودِرَّةً . عداً شديداً أو عدواً سهلاً متابعاً .

وتدردر يذهب ويحيى . يترجرج . قال الراجز :

اقسم ان لم تأتينا تَدَرْدَرُ ليقطعن من لسان دُرْدُر

أي تَدَرْدَر .

والعامة صاغت من درر الطريق فعلاً فقالت أولاً تدرر أي سلك دَرَر الطريق ثم قالت تدردر أي تدرج على مدرجة الطريق أو هي من تدردر المضاعفة أي تذهب وتحيى .

درغ درغ بالوحل — ويقولون درغ بالوحل ودرغ (للكثير) اذا
لطحه به وأصلها ردغ والعرب قالت ردغ بالتشديد وهو من الردغ والردغ
وهي الطين . ومكان ردغ وحل . وفي النهاية والردغ بسكون الدال
وفتحها طين ووحل كثير وتجمع على ردغ ورداغ وفي الحديث منعنا هذه
الرداغ عن الجمعة .

درف الدرفة — الدرفة عند العامة مصراع الباب ولكل باب درفتان
قال في التاج وهكذا يستعمله العوام . قلت : وهكذا الى اليوم وبعضهم يعجم
الدال فيقول ذرفة .

وأصلها فيما أرى الدقة محوكت الفاء الأولى راء كما حولوها في كدسه فقالوا
كردسه بمعنى جمع بعضه فوق بعض وقد استعمل ابن بطوطة الدقة لمصراع
الباب . والدقة من كل شيء جانبه أو صفحة جنبه ودقنا المصحف جانباه
تم توسعوا في الدف والدقة فأطلقوهما على الألواح التي يتخذ منها مصراع
الباب فقالوا لكل لوح منها دف واشتقوا منه فعلاً فقالوا دف السقف اذا بسط
الألواح فوق خشبه .

دركب دركبه ودركبه — وقالوا دركبه بمعنى القاء من علو الى سفلى
دفعاً ودحرجة ، وربما كان أصلها زردبه اذا دحرجه وألقاه في زرداب وهو منحدر
السيب والزاي والدال يشعaban في الفصيخ مثل دحل عنه وزحل والمستوفد
والمستوفز في قعدته وكذلك يشعاب الدال والكاف مثل صدمه ومكه اذا
دفعه وحشد القوم وحشكوا

أو أصلها دحبه اذا دفعه من ورائه دفعاً وكأنهم قالوا فيها دحبه أولاً
(على القلب) ثم انتهت بالابدال الى دركبه

أو أنها من دكم في صدره اذا دفع ودكه داس بعضه على بعض أو جمعه
أبدلت العامة الميم باء وهذا الابدال كثير في كلامهم فصار دكبه ثم زبدت

الراء ثانية فصارت دركبه وهذه الزيادة أي زيادة الراء معروفة في كلامهم
فخني في العامي من الفصيح شربك وشبكته وتخربت البلاد وتخبّطت اذا وقع
فيها الفساد وفي الفصيح على الفصيح مثل خشب العمل وخشربه اذا لم يحكمه
وبحث التراب وبخثره راجع (ح ر ث) .

دق المدقة الدقاقة — مدقة الكبّة هي التي تسمى في جبل عامل
الدقاقة وجمعها عندهم الدقاقات ولكن تحريفها بهذا الشكل عن المدقة غريب .
وهي ما يدق به اللحم وهي المدق والمدقة (وصفاً) والمدقة (اسماً) ولا يختص
أهل اللغة بها ما يدق به اللحم وإنما هي عندهم المرقس قال في التاج ورفس
اللحم وغيره من الطعام رفساً دقّه وقيل كل دق رفس وأصله في الطعام
والمرقس لما يدق به اللحم اهـ .

دقن الدقن — جاء في الأساس . وأهل بغداد يقولون في دقك أو في
لحيتك . وقال صاحب التاج بعد نقل هذا القول وكذا عند عامة أهل مصر
وليست بفصيحة وأقول وكذا هي عند العامة في بلاد الشام وأما الفصيح فيقال
دقن في لحي الرجل اذا لكزه يجمع كفيه ويقال للمحروم دقن في لحيته
كما في الأساس .

والفصيح في الدقن الدقن محرّكة بالذال المعجمة ، وهي مجتمع اللحيين من
اسفلها (مذكر) جمعه اذقان وذقون وأما تسمية الشعر النبات عليه ذقناً فهو مولد .

احمد رضا

كتاب موقد الأذهان وموقف الؤسنان في الألفاز النحوية والنكت الأدبية لابن هشام

في خزانة كتب مسجد أحمد باشا الجزائر في مدينة عكا وبضمن مجموعة صغيرة بالقطع الأصغر من الصغير طول الصفحة منها (١٢) سائيمترا وعرضها (١٠) سائيمترات وفي كل صفحة منها ١٥ سطرا وفي السطر الواحد من ست كلمات الى عشر كلمات كتيب صغير الحجم بالاسم الذي عنوانا به هذه المقالة جاء في مقدمته وهو بخط أحمد بن سليم المني الشافعي نسخة في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٨٨ هـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : قال الامام العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام رحمه الله تعالى أما بعد حمد الله الفاتح عقد الاعجاز المانع بالايجاز جاعل علم العربية في العلوم كالطراز فيه تنك مقفلات الألفاز وينفج ما في التنزيل من الايجاز في وجه الاعجاز وصلاته على أفضل الانبياء الذي أسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرجاز وعلى آله وأصحابه الذين من ائتم بهم فقد فاز .
فقد جمعت في هذه الأوراق البيرة شذرة من الألفاز النحوية ونبذة من النكت الأدبية جعلتها لاستخراج الأحاجي عنوانا وعلى حل ما لم اذكره معوانا فالشيء يعرف بمثله والوابل يستدل عليه بطله والعدر في اختصاره أني جمعته فيما بين صلاتين وبمقدار ما ينظم الناظم بيتا أو بيتين والله اسأل ان يرزقه من الحضرة الشريفة حظا ويرمقه من الكريم حظا ورتبته على أربعة فصول : الأول في الأحاجي المنوبة ، الثاني في الأحاجي اللفظية ، الثالث في الاشارات الخفية ، الرابع في التصحيقات اللؤذعية وسميته موقد الأذهان وموقف الؤسنان والله اعتمد وعليه اعتمد .

اعلم ان اللغز التحوي قسمان أحدهما ما يطلب به تفسير المعنى والآخر ما يطلب به تفسير وجه الاعراب» وجعل الفصل الأول فيما يراد به تفسير المعنى وأتى على تفصيل وتحليل ثلاثة عشر بيتاً استشهد بها .

ثم جاء الى الفصل الثاني في الألفاظ اللفظية وهي التي يراد بها تغيير الاعراب وتوجيهه لا بيان المعاني . وأتى بأثنين وعشرين بيتاً كشواهد وحملها وعلمها . ثم جاء الى الفصل الثالث في الاشارات الخفية التي لا يعقلها الا العالمون ولا يتنبه لموقفها الا المخلصون .

ثم جاء الى الفصل الرابع في التصحيفات اللوذية فقال :
« أول من تكلم في ذلك علي رضي الله عنه فقال كل عيب الكرم تطيبه يريد كل عيب الكرم يفيطيه .

وقال أيضاً :

ذكر في مجلس التصحيف فادعى شاب حاضر معرفته ف قيل له ما تصحيف تختبني فقال تصحيف حسن فأتهم في سرعة جوابه . فقال شاعر من بلنسية ما تصحيف بلنسية فقال أربعة أشهر فقال الشاعر صدق ظني انك تنتحل ما تقول وأي نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقال الشاب :

علي نحت القواني من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر

فتنبهوا بعد انصرافه فاذا أربعة أشهر ثلث سنة (أي تصحيف بلنسية) فخرجوا منه .

وكتب الى المعتمد بن عباد شخص من الاخوات :

واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقنغ في الكتاب وأين ذاك الواحد : صحف تعرف : فلما قرأه طار سروراً لأن تصحيف أين ذاك أنت ذاك . .

ومن ملح ابن عباد هذا في التصحيف انه خرج مع وزرائه باشيلية فاجتازوا في الموضع الذي يباع فيه الخبز والجبن فالتقوا هناك جارية من أحسن الناس

وجهاً وأكثرهم بقاءً وفحشاً وتهرجاً فاجداً علي بن عمار وقال الخبازين فقالت نعم
والجبائين فلم يعرف الحاضرون ما أرادوا
فسألوا ابن عمار فقال « إنه قال الخبازين وقالت الخناشين فأين هذه الأذهان »

تعريف علم الألفاظ

أما علم الألفاظ فقد عرفه ملا كاتب جلبي الشير بجاجي خليفة أيضاً في
كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال في « ج ١ ص ١٣٨ »
طبعة الأستانة :

هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن
لا يبحث تنبؤ عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتفسر اليا بشرط ان يكون
المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج . وبهذا يفترق من المعنى . لأن
المراد من الألفاظ اسم شيء من الانسان وغيره وهو من فروع علم البيان .
لأن المعبر فيه وضوح الدلالة . والغرض فيها الاخفاء ومستر المراد .

ولما كان ارادة الاخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت اليها
البلغاء حتى لم يعدوا أيضاً من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العرّضي
ثم هذا المدلول الخفي ان لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتها على معان
أخر بل ذوات موجودة يسمى اللفظ وان كان الفاعلاً وحروفاً دالة على معان
مقصودة يسمى معنى . وبهذا يعلم ان اللفظ الواحد يمكن ان يكون معنىً ولفظاً
باعتبارين لأن المدلول اذا كان ألفاظاً فان قصد بها معان أخرى يكون معنىً
وان قصد ذوات الحروف على أنها من الذات يكون لفظاً وأكثر مبادي هذين
العلمين مأخوذ من تتبع كلام المفسرين وأصحاب المعنى وبعضها أمور تخيلية
تعبرها الأذواق ومائلها راجعة الى المناسبة الدوقية بين الدال والمدلول الخفي
على وجه يقبلها ذهن السليم . ومنفعتهما تقويم الأذهان وتشجيعها . اهـ .
يبد ان كشف الظنون لم يذكر كتاب موقد الأذهان وموقف الرسنان المبحوث عنه .

ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في دور الكتب بالقاهرة وباريز وبرلين .

نبذة في الألفاظ والأحاجي

ويظهر أن ناسخ الكتيب راقه الموضوع فألحق به نبذة في الألفاظ والأحاجي قال انه جمعها من كلام الفضلاء ونظام النبلاء .

وبدا هذه النبذة بنقل ما ذكره ابن رشيقي القيرواني في كتاب العمدة في صناعة الشعر وتقدمه تحت عنوان « ومن اللحن والمخاجة » :

حلوا عن النافذة الحمراء أرحلهم والبازل الأصهب المفعول^(١) فاصطنعوا
ان الذئب قد اخضرت برائتها والناس كلهم كبر^(٢) اذا شبعوا
ونقل عنه أيضاً هذا البيت :

أحاجيك عياد كزيب في الوري ولم تؤت الآ من صديق وصاحب
وجوابه :

سأكنتم حتى ما تحس مدامعي بما انهل منها من دموعي السواكب
وجاء ناسخ الكتاب الى المتأخرين فقال :

كتب الشيخ شمس الدين محمد بن داود المقدمي للشيخ حسن البوريني ملفزاً في ورتد وذلك سنة ٩٨٦ ونقل السؤال مع الجواب نظماً من الروي والثقافية نفسها وزاد البوريني في الجواب فكتب للمقدمي ملفزاً في عقد فأجابه الثاني على سؤاله هذا .

ثم قال الناسخ : كتب الشيخ الفاضل شمس الدين محمد المغربي المالكي نائب الحكم بدمشق الى الشيخ حسن البوريني المتقدم ذكره ملفزاً في شام ونقل القصيدة ونرى أن نشر الى ما قصد السائل بنقل بعض أياته :

ماذا تقول بلنظر عدة أحرفه ثلاثة يا اماماً حاز عرفانا
اسم لمدن بأفضال لقد شهرت . معروفة نزلت يا صاح قرآنا

(١) كذا في الأصل ورواية الأماي : المفعول ، بكر (المجمع)

وقلبها بعض قوت الأناج يرى وثلثها فعل أمر بعضه باننا
 وإن تزل به بقى ما للأناج غنى عنه وتلقاه بين الناس طوفانا
 وإن تصحف ترى أحلا لذي عدد وفرعا كيف ذا كنا (؟)
 ويظهر أنه سقطت كلمة من عجز البيت الأخير فإنه غير مستقيم الوزن .
 فأجابه البوريني بقصيدة جاء فيها :

وشام طر في بريق الغز متضجعا وأعلته زناد الفكر اعلانا
 هو اسم بلدنا أعتي دمشق وقد يحيى فعلا مينا الذي كنا
 وقال الناسخ أيضا :

كتب الشيخ شمس الدين بن المنقار الحنفي الى الشيخ شمس الدين محمد الصالحى
 الحلالي ملفزا في « أمس » فأجابه وكتب شمس الدين محمد الصالحى الى شمس الدين
 ابن المنقار الحنفي ملفزا في اسم زينب سنة ٩٧٧ هـ فأجابه وكتب بعضهم ملفزا
 في يراع ثم نقل جواب الحبيب المجهول ويظهر أن السائل يدعى محمدا فقد جاء
 في ختام القصيدة الجوابية هذه الأبيات :

محمد السامي الجناب ومن غدا له كرم الأخلاق دون التكرم
 همام لقد أضحيت مآثر فضله على جبهة الدنيا كفره أدهم
 ومولى إذا ضن السحاب بويله علينا سقانا مسجما بعد منجم
 له سؤدد حل السما كين رفعة وذلك إرث فيه من عهد آدم
 ثم أورد بعض الغار وقال فأجاب الطبراني ولم نعرف اسم هذا الطبراني الذي
 يجب أن يكون من طبرية بفلسطين لأن الطبراني ينسب اليه كما ينسب
 الطبري الى طبرستان . ثم قال :

وكتب الى الملا أسد بن معين الدين التبريزي المدرس في المدرسة الناصرية
 البرانية بدمشق المحمية ملفزا في أسد ولم نعرف من الذي كتب فأجابه التبريزي
 بما يجب . وقال أيضا :

وكتب بعضهم للعلامة عماد الدين ملفزاً في قدح فأجابه ولم يتسن لنا معرفة
عماد الدين هذا وأعله كان من معاصري الناسخ .

وقال بعضهم ملفزاً في مكوك الحائك ثم جوابه وقال بعضهم محاجياً في
عنقوان وأورد سؤالاً يتضمن الفرق بين (غداً وأمس) أرسل الى التبريزي المتقدم
ذكره فأجاب عليه شعراً كالسؤال ولكنه أردفه بهذه العبارة :

« الحمد لله وكفى وسلامه على عباده الذين اصطفى . وبعد فيقول الفقير الى
الله الغني أسد بن معين الدين الشافعي جعل الله غده خيراً من يومه وأمه
ورحمه عند مواراته في رسمه ان الذي سَنَح في خاطري في الجواب من غير
مراجعة رسالة ولا كتاب ان غداً ليس مثل أمس حتى يلزمه حكمه في البناء
لأن أمس كلمة على ثلاثة أحرف فبناء أهل الحجاز على الكسر اذا أريد به
اليوم الذي قبل يومك لتفخمه الألف واللام وليس كذلك (غداً) لأن غداً لامة
محذوفة والبدال عين الكلمة كيد ودم فلو بني لزمه العدول عن الأصل مرتين
مرة من جهة حذف لامة ومرة من جهة بنائه لأن البناء في الاصماء على خلاف
الأصل . والعدول عن الأصل مرتين في الكلمة الواحدة اجحاف لها . وهذا
قريب من قولهم في بعض الكلمات مثلاً حتى لا يتوالى في الكلمة الواحدة
إعلان وقولي ان لامة محذوفة نص عليه غير واحد من أعلام العلماء حتى ان
الشيخ الامام ابا عمرو عثمان الشهير بابن الحاجب يبنى عليه جوابه عن اللغز
المشهور وهو قوله :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لم وتلين
طاوَعْتَهُمْ عَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَصَتْهُمْ نُونٌ وَنُونٌ وَنُونٌ . ٥١٠

وبعد فقد قصدنا بنقل بعض هذه الأناز الاشارة الى بعض العلماء المعاصرين
لازمن الذي كتبت فيه المجموعة وربما كان بينهم من لم يترجم له أو يشتهر أمره
وبحبنا ذلك عذراً .

غفر الله لمخلص .

مخطوطات ومطبوعات

فلسفة التشريع في الإسلام

وضعه صبحي محمدي^(١)

«الدكتور في الحقوق ، ورئيس غرفة في محكمة الاستئناف ، والمدعي العام السابق لدى محكمة الاستئناف الشرعية ، وأستاذ المجلة والقانون الروماني في الجامعة الأميركية في بيروت» .

الكتاب من القطع الكبير يقع في ٣٥٠ صفحة ، حسن التثبيت والترتيب ، جيد الورق والطبع ، أخرجه مطبعة الكشاف في بيروت سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .
هد المؤلف لكتابه بمقدمة عرض فيها الغرض الذي من أجله وضع كتابه .
فكان مما قاله : «ومن الحقائق التاريخية الثابتة ، ان مظاهر الحياة الاجتماعية متغيرة بتغير الأزمنة والأمكنة ، ولما كانت الشرائع والأحكام مظهرًا من هذه المظاهر ، أدركنا سبب اختلاف الشرائع باختلاف العصور والبلدان ، وأدركنا سبب تلونها بصبغة الأمم والأجيال الخاصة ؛ تبعًا لعاداتها وتقاليدها وأماها وتزعاتها . . .
الى أن يقول :

« . . وأرجو ان أتوصل بذلك الى إيضاح وجهة النظر الإسلامية في التشريع ،

(١) هكذا أورد اسمه « محمدي » بالتكبير . وإذا لم يكن من حقنا أن ندخل عليه (ال) التعريف فيصح « المحمدي » كما هو الأصل ، وكما تنقي به القواعد العربية ، فإن من حقنا أن نقول عن السبب الذي جعل كثر آمن الرب ولا سيما في ساحل الزام ، وخاصة المسلمين ؛ يولعون بتجريد اسمهم من التعريف تجريدًا لا يثبت على الاستعمال . ذلك : انك اذا تكلمت عن هذا الكتاب القيم ، أو قلت عنه . قول : فلسفة التشريع للمحمدي ، ولا تقول : للمحمدي . وهذه « ساحة الدباس » في بيروت ، لا تقول فيها « ساحة دباس » على رغم ما كان من رغبة صاحبها في تجريد اسمه من التعريف ، متأثرة للأجنبي واتباعاً لآدابهم التي لا تفرق بين الأسماء العربية .

الى الأجانب ، والى المثقفين بثقافتهم ، ايضاحاً حقيقياً . وأرجو ان أتوصل الى ازالة ما تركه بعض الناس في الأدعان من التشويش والتدجيل . وقد كان من هؤلاء طائفة من المنشرقين ، عودونا الكتابة في مواضع لا يحسنون لفتها ، أو لا يعرفون مراجعها ...

وأرجو ان أتوصل أيضاً الى تقريب الأسلوب القانوني الغربي الى اللطعين على الشرع الاسلامي ...»

وهذا قول حسن ، وأحسن منه أن المؤلف وفق توفيقاً كبيراً ، الى تحقيق كثير مما قصد في تأليفه اليه .

جعل الأستاذ المؤلف كتابه أبواباً ، قسمها فصولاً .

ففي الباب الأول : « تعريف علم الفقه وتبسيطه » ، وفي الباب الثاني « ملحة تاريخية » بحث في فصوله عن المذاهب الإسلامية الحلية والباطنة ، وعن المذاهب الشيعية ، ثم عن الاشتراع في البلاد الشرقية وعن تاريخ القوانين الأوربية . وفي الباب الثالث « مصادر الشرع الإسلامي » ، ألم فيه بالأدلة الشرعية : الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاجتهاد .

وفي الباب الرابع : « مصادر التشريع الخارجية » : تغير الأحكام ، والحيل الشرعية ، والتشريع الرصني المباشر ، والعرف والعادة ، وعلاقة الشريعة الإسلامية بالشريعة الرومانية .

وفي الباب الخامس : « بعض القواعد الكلية » كالقصد في الأفعال ، والبيئات والإقرار واليمين وغيرها ...

وقية الكتاب في أن صاحبه ألفه تأليفاً ، لم ينقله نقلاً ، ولا ترجمه ترجمة ، ويخبر المؤلف مقروءة في حقائق كتابه من دراسة ، ومناقشة ، ومقابلة ، والحاجة بالمؤرخ ، وعرض واضح له ، ويان لائق به ، نوبتاً تاريخية ، يكاد يكون دافياً ، ثم ان المؤلف في كثير من المواضع يأتي بالأحكام

الشرعية ، فيوضحها بالأمثلة يضر بها عليها ، ليقربها الى الأذهان ، فتستقر فيها .
ونحب أن نقف قليلاً عند الفصل الخامس من الباب الرابع الذي تكلم فيه
عن «علاقة الشريعة الإسلامية بالشريعة الرومانية» فنقد أورد دعوى «فون
كرير» في كتابه : «تاريخ الثقافة الشرقية في أيام الخلفاء» بأن مواضع الشبه
بين القانون الروماني والشرع الإسلامي عديدة وأهمها :

١ - قاعدة البينة على المدعي

٢ - سن البلوغ

٣ - بعض أحكام المعاملات التجارية

وقد فند الأستاذ المؤلف دعوى «كرير» تفصيلاً وجيهاً فقال في : «البينة
على المدعي» انها قاعدة تستند في الشريعة الإسلامية الى الحديث الشريف :
«البينة على المدعي واليمين على من أنكر» ومعلوم ان الحديث أقدم تاريخاً من
الفتوحات الإسلامية في البلاد التي كانت خاضعة للشريعة الرومانية . ومن ثم
لا يمكن ان يكون مقتبساً عن هذه الشريعة « ١ » .

ونؤيد قول المؤلف ونزيد عليه ، ان هذه القاعدة عرفها العرب وعملوا بها
حتى قبل الاسلام ؛ فقد سمعت أول ما سمعت عن قس بن ساعدة الايادي :
«البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» وقد أقر صاحب الرسالة (ص)
هذه القاعدة فنسبت اليه وجعلت في جملة الحديث . وكونها جاهلية ، أنفي لها من
القانون الروماني ، وأبعد شبهة عن ان تتحل به بسبب .

ورد المؤلف على «كرير» في القضية الثانية وهي سن البلوغ رداً رقيقاً فقال :
«ليس في مسألة سن البلوغ والرشد في الشريعتين شبه جلي . فعند الرومان كان
البلوغ محدداً بنهاية السنة الثانية عشرة للفتاة ، وقام الرابعة عشرة للفتى . ولكن
الشريعة الإسلامية في - الرأي السائد - اعتبرت ان - انتهى من البلوغ هو خمس
عشرة سنة .»

ونعزّز قول المؤلف في هذه القضية بقولنا : ان الشريعة الاسلامية قائم جانب كبير منها في المعاملات ، على أسس من العبادات ، وهي الأحوال الشخصية ، والبلوغ شيء طبيعي له من معلومة ، فكان طبيعياً ان يكون هذا البلوغ الذي تبنى عليه أحكام دينية ، أساساً للبلوغ تقدم عليه أحكام زمنية .

وأما القضية الثالثة وهي الشبه في بعض أحكام المعاملات التجارية ، فقد دفع المؤلف قول « كريمة » دفعاً منجراً ليس لنا ما نزيد عليه ، إلاّ قولة عامة تتعلق بالشبه بين القوانين عامة وهي :

ان الناس لا يستطيعون ان يعيشوا من غير قانون ، فاذا لم يعرفوا قانوناً خلقوه خالقاً . اعتبر ذلك في ما يقع في القرى التي لم يدخلها قانون ولا علم ، فانهم يفصلون في كثير من دعاويهم فصلاً . موثقاً ينطبق على العدل ، ولا سيما في النزاع على الحدود . فان لهم في ذلك أصولاً وقواعد يعجز عنها ، أو عن يأتي بخير منها ، أكبر المشرعين . وهؤلاء البدو لهم عوارفهم (قضائهم) يحكمون بينهم بالنسفة والحق أيرى « كريمة » وأمثال كريمة : ان العرب الذين كانوا تجار الشرق منذ أقدم عهده ، يحملون بضاعته من أقصاه الى أقصاه : يشترون ويبيعون ويبادلون ويقايضون ، ويعصمون ويستصنعون ، عاشوا بلا أحكام ولا أصول ، الى ان جاء الاسلام ووضعت الشريعة ، فأخذت هذه الشريعة هذه الأحكام عن القانون الروماني ؟ ! . . ان لنا رأياً في ما قيل عن علاقة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني بسطناه في محاضرتنا : « القضاء في الاسلام » وقد أشار اليه المؤلف اشارة خاطفة . ونحن نوافق المؤلف في الخلاصة التي اجماعها وهي :

« . . وان العادات التي اقتبسها الفقهاء - يريد فقهاء المسلمين - في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني دخلت الى التشريع الاسلامي ان لم يكن ما يناقضها في نصوص الشرع أو في مبادئه الأساسية . وعلى كل فالعادات هذه لم تكن رومانية بحتة بل كانت عادات تجارية معروفة عند العرب وعند باقي شعوب البحر المتوسط . وقد تأثر بها الرومان وأدخلوها في شريعتهم قبل المسلمين .

وان الشريعة الاسلامية ، كما تأثرت ببعض العادات الأجنبية القليلة ، كذلك تركت هي آثارها في مدنيات جديدة ناشئة ٠٠٠»

بقي ان تقول : ان الشريعة متى كانت كذلك لا يجوز ان يقال فيها أنها شريعة الهية - كما قال المؤلف في غير موضع - بل يقال : إنها شريعة اسلامية في جملة مصادرها مصدر الهي .

كذلك كان يجب أن يكون هذا البحث (علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية) في غير باب : (مصادر التشريع الخارجية) لأن عامة المشرقيين ، وضعاف الايمان فينا ، يستمسكون بأوهى الأسباب لنفي كل مكرمة عنا ، وكل استقلال منا . فهم يجعلون من ذكر هذا الفصل في باب (المصادر) حجة علينا ، ويتركون كل ما فيه من حجة لنا ، ومن رأي شديد .
وما نساء لنا عنه :

- ١- قوله ان كلمة الشرع والشريعة في اللغة العربية مأخوذة من الشارع ؟ ..
- ٢- وقوله ان الحاكم معناه الشارع . وهو الله عز وجل .. وما أحسب أن مثل هذا ورد صراحة في كلام شيخ من شيوخ الفقه المتقدمين ؟ ..
- ٣- وقوله : ويعرف التقليد بأنه «اتباع رأي الغير دون فهم ولا حجة» ص ١٦٠ . وهو قول فيه نظر إلا اذا كان المؤلف يريد بذلك العوام ، وما أحسب اياهم يريد . وأفضل من هذا ما نقله في الصفحة ال ١٥٣ من تعريف الأمدى للتقليد بأنه «العمل بقول الغير دون حجة ملزمة» .

٤- ثم قد يكون ظلماً للعرب الجاهليين ، أن يقول فيهم المؤلف : إنهم حرموا النساء حق الارث ، فبذبح خديجة رضي الله عنها كانت صاحبة ثروة ، وكذلك خديجة أخت حاتم ، وكثيرات مثلها . فن أين جاءت هذه الثروة ، لو أن الجاهلية كانت حرمت النساء من الارث حرماناً مطلقاً ، كما زعم الأستاذ المؤلف ومن أخذ عنهم ؟ ..

وأسلوب المؤلف صحيح ، وتعبيره دقيق فصيح ، يليق بالموضوع الجليل الذي عالج . وقد أخذ على قانون العقوبات اللبناني بعض المصطلحات اللغوية ، فدل بذلك على عنايته بلفظه ، وحرصه عليها ، ففتح لنا بهذا باباً للتنبيه الى بعض الفاظ ، اذا رأى هو رأينا فيها ، استدركها في طبعة جديدة . من ذلك :

جمع « سند » على « سندات » والصواب « اسناد » وعدى قش بـ « على » وقد يكون الصحيح تعديتها بـ « عن » . وقال : « طيلة اربعة عشر قرناً » والطيلة العمر ، ولا محل لها هنا الا بتأويل بعيد لا حاجة اليه . فلو قيل : « اربعة عشر قرناً » لأغنت وأدت المعنى نفسه ، أو زيد عليها كلمة . وأكثر من استعمال « توجب » ، وهي لفظة وردت في كلام المتأخرين من الفقهاء ، أما في اللغة فقد وردت « توجب فلان » أي أكل في اليوم واليلة أكلة واحدة . وفي كلامه عن المصريين قال : « انهم حوالي سبعة عشر مليوناً » يريد قرابة . ولا يقال في مثل هذا الموضع « حوالي » ثم ان المصريين قاربوا - في السنة التي صدر فيها الكتاب - تسعة عشر مليوناً .

وجاءت في الكتاب « بما فيه » لادخال ما بعدها في حكم ما قبلها . كقوله : « ويقدر عدد الاسماعيليين في سوريا بما فيه العلويين بنحو عشرين ألفاً ونصف » والصواب : وفيها أو ومنها محافظة العلويين . : ونصف الألف . « وهو يحتوي على أكثر من سبعة آلاف حديث بما فيه المكرر » والصواب وفيه المكرر . أما قولهم « بما فيه » فتعبير عامي .

ومن الاستعمال التركي الشائع في إلجامكم الى يومنا هذا واستعماله المؤلف : « طرف » و « من طرف » فقال : « المهر يدفع للزوج من طرف الزوجة أو أحد ذويها » والأصوب : تدفعه الزوجة أو أحد ذويها . واذا كان لا بد من الاحتفاظ بثل التعبير السابق ، يقال : يدفع من قبل الزوجة .

ومما نلاحظه استعمال : « لا يجب » في محل : « يجب ان لا » وجباً بالاستقلال « بدلاً من » جباً للاستقلال . والنوسع في استعمال التشريع بمعنى الاشتراع . الى أمثال هذه المثلثات التي قل أن يلم احد منها ، ولو كانت من شيوخ الكتاب وأمراءه .

وما أشرنا الى هذا ، وأفضنا فيه ، إلا خدمة لهذا الكتاب القيم .

عارف النكدي



السلم الاجتماعي

تأليف الأستاذ عبد المجيد نافع المحامي

يقع هذا الكتاب في ست وستين صفحة ومشتين . أخرجته « دار الفكر العربي » والمؤلف من الكتاب القليلين الذين انتقت أقلامهم من عبودية أصحاب المال ، وأصحاب السلطان ؛ فهاجم الفريقين بقلم جريء صريح ، في غير جمجمة ولا موارد . رأى ان قد « طفت » موجة المادية خلال الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، فأغرقت العالم في طوفان من المفسد والشرور ، اذ أصبح جهد معظم الناس منصباً على أن ينصبوا من الذهب صنماً ليمدوه ، الى حد ان كثيراً من الكتاب والباحثين قد اصطالحوا على تسمية ذلك الفساد بأخلاق ما بعد الحرب . ورأي ما وراء ذلك من أخطار تهدد مصر ، فحمل « المصباح الأحمر » لدرء الخطر الأحمر .

ووجه رسالته الى المجتمع الرأسمالي يقول له :

« ويخجل لي ان المجتمع الرأسمالي يستحث اقتجار البركان ، فعوضاً عن ان يعتمد الى الإصلاح الاجتماعي ، تراء بلجاً الى وسائل التمتع ، وأساليب التهرب والدعابة ، والمسكنات الوقتية ، واختل السطحية ، ثم يشتري أقلام المرتزقة من دجاجة الأدب والسياسة . ويبيخر فخار المهرجين من أدعياء الدين والأخلاق ، جنالاً منه بأن الشعلة حين تبصر بزيادة اشتعالاً وان الدعوة لا تقاوم

الا بالدعوة .. وان الفكر الانساني كالهواء لا يدخل في قبضة احد .. وان كل من يعمل للحقيقة والحرية أو خدما يخدمها على السواء ، وان من المحال على دجاجة السياسة والأدب أن يطفئوا نور الحرية بأفواههم ، ومن المتعذر على أدياء الدين والأخلاق أن يجبروا ضوء الحقيقة بكفهم .. »

« .. وان تاريخ الإنسانية قد تخبثت صفحاته بالدماء في معارك النضال بين الظالمين والمظلومين ، والخناس والجائعين .. ونجد المظلومين في كل زمان ومكان . يتزعون الى رفع الظلم عنهم ، فالإنسان يرضى ان يكون ظالماً ، ولا يرضى أن يكون مظلوماً .. »

« .. والسلام الاجتماعي الذي نشده يتطلب حل المسئلة الاجتماعية ، على صورة تمحي معها : المظالم التي تفيض بها جوانب المجتمع الانساني .. فلا تكون سعادة طائفة منتزعة من شقاء الآخرين ، ولا يكون الرخاء المادي لقوم مشتقاً من بؤس أقوام ، ولا يكون جماعة وكأنهم ولدوا للتعمير ، وجماعات وكأنهم ولدوا للعباد .. »

واذا كان المؤلف - بهذا الأسلوب الحق والصراح - يخاطب القلة الرأسمالية التي تحكم بالكثرة البائسة ، فهو يخاطب الأسم المستعمرة بأسلوب لا يقل عن هذا الأسلوب جرأة وصراحة ، فيقول لهم : « .. وكان من آثار الحرب أن تبخر ايمان الناس بالمثل العليا ، وتلاشي اعتقادهم بالأخلاق . ففي خلال المجزرة البشرية ، كان ساسة الدول يملأون سمع العالم بأنهم ما خاضوا غمار الحرب إلا دفاعاً عن الحق والعدل ، وحرية الشعوب الصغيرة ، وأنه لا تلبث ان تضع الحرب أوزارها حتى يخلقوا عالماً جديداً تسود فيه المبادئ الصالحة . ثم هتفوا بالحرريات الأربع ، وفي طليعتها التحرر من العوز . »

... وطوبت صنعة الحرب الدامية ، وظن الناس ان ستنتج صنعة جديدة يفساء من غير سوء تنفش عليها المتبادي العادلة . وكانت خيبة أمل مريرة للعالم

بأسره فاذا الحق للقوة ، واذا العدل هو الظلم المنظم ، واذا الخريات الأربع هي
الفقائيع الأربع ، واذا اتحرر من العوز ينقلب الى مجاعة عالمية تهدد بالفناء تلك
سكان المعمورة أو يزيدون ، واذا العالم الجديد مهدد بحرب عالمية ثالثة ، تقضي
على الحضارة الانسانية القضاء الأخير .. »

الى أن يقول :

« وتقول أخلاق الكذب : الصراحة أولى وأجدي ، وتصبح الأخلاق السائدة
في المجتمع الانساني : الرياء فضيلة اجتماعية يابح من يكون محروماً منها .
وتجاهر أخلاق الكذب بأن الشرف قوام النجاح في الحياة ، وتدل اخلاق
المجتمع على أن الشرف عاة مستديمة .

وتصرح أخلاق الكذب بأن الكفاية شرط جوهرى في تولي مناصب
الدولة ، وتعلن أخلاق المجتمع : ان الكفاية جنابة تجر على صاحبها الحسد وتجعله
هدفاً للدسائس التي تمزقه تمزيقاً » .

فاذا انتهى المؤلف من هذا ، بعد حديث طويل في فصول عديدة ، التفت
الى الوزراء الذين يثرون على حساب وطنهم وعن طريق مناصبهم . فقال لهم :
« ان اعمال الشركات الأجنبية ذات رؤوس الأموال الضخمة في مصر
تتطلب جهوداً جبارة ، ونلاحظ ان بعض المستوردين فينا يتولون رئاسة وادارة
عشرات من تلك الشركات الهائلة ، فهل العقل يسبغ .. انهم يستطيعون ..
القيام بتعهداتهم الجسام في تلك الشركات ؟ ويسمي الوزراء الذين يعملون
في الشركات بل للشركات ويلقبهم بـ « الشركائين » ويمددهم فرداً فرداً من
اصحاب السعادة ، الى اصحاب المعالي ، فالدولة حتى اصحاب المقام الرفيع . ويكشف
عن المبالغ الضخمة التي تؤديها لهم هذه الشركات . لا للكفاية في المواهب ،
بل لشراء المناصب ، واصحاب المناصب .

وقد عالج المؤلف في جملة ما عجله : مشاكل الفقر ، والوقف ، والأرض البور ،

والصناعة ، والزراعة ، والاستعمار . . . انى غير ذلك من الموضوعات التي تتصل بالسلام
الاجتماعي . عالجها بجميع قاطعة ، ورقام ناطقة .

وحبذا لو قام في كل قطر عربي ، مؤلفون يتناولون وزراءهم بثقل ما تناول به
الأستاذ عبد المجيد وزراءه . فالوزير العربي في كل قطر — الأ — من عصم ربك
وقليل جداً ما هم — خاتل صيد ، وان اختلفت الشباك . وقد انتقلت بعض الأقطار
العربية بعوامل الحرب — لا بغيرها — من شيء قليل من الاستعمار ، الى شيء
كثير من الاستعمار ، بفضل رجال الوطنية الأبرار . . .

وبعد ، فكتاب « السلام الاجتماعي » كتاب ما استطيع وصفه ، بل هو الذي
يصف نفسه : بأبحاثه وبأرقامه وبوضوحه وبجرائده . جزى الله خيراً عبد المجيد نافع ،
على كتابه المفيد النافع .

ع . ن

ما الإنسان

كتاب في ست وعشرين صفحة ومئة . من القطع المتوسط . وهو احدى سلسلات
« الفكر الحديث » التي تخرجها « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر .
الله : مارك توين . ونقله الى العربية : أنور عمر . وليست قيمة الكتاب في
أنه الله مارك توين فحسب ، ولكن قيمته في أن الرجل صرح بحقائق لم يجرؤ
غيره ، أو لم يشأ أن يصرح بها . يقول المؤلف : « بدأت الدراسة من أجل
كتابة هذه الأوراق منذ خمس وعشرين أو سبع وعشرين سنة . وكتبتها منذ سبع
سنين . وقد راجعتها منذ ذلك الحين مرة أو مرتين كل عام ، وفي كل مرة
كنت أشعر فحواها بالرضى ، وما أنذا أرجع اليها مرة أخيرة ، ولا أزال راضياً
عما تعبر عنه من حقيقة » .

قال :

« وكل فكرة تحملها هذه الأوراق سبق ان فكر فيها (بل وقلها كحقيقة
لا جدال فيها) ، لا بين من البشر . ولكنهم كانوا دائماً يعمدون الى اخفائها مع

الاحتفاظ بها كعتائد شخصية ، ولماذا لم يصرحوا بها ؟ لأنهم كانوا يخافون فقد الناس حولهم ، ولا بقدرتون على احتمال ذلك النقد .

ولماذا لم أنشرها أنا من جانبي ؟

لقد منعتي نفس السبب على ما أظن . لا يمكنني أن أجد سبباً آخر .
بهذه الكلمات السهلة الواضحة والحقيقة العارية من كل زخرف ، قدم المؤلف « أوراقد » وما في هذه الأوراق ؟ فيها الحقيقة كل الحقيقة جعلها المؤلف حواراً بين شيخ وشاب فمن قول الشيخ : الرجال معادن . فهناك رجال من ذهب ، ورجال من صفيح ، ورجال من نحاس ، وآخرون من رصاص ، وغيرهم من صلب وهكذا والانسان يرجع قبل كل شيء الى « معدنه » والى المؤثرات التي تؤثر في هذا المعدن من بقايا وراثية وبيئة وروابط ، وليس هناك غير المؤثرات الخارجية وحدها تدفعه وتوجهه وتسيطر عليه .

واذا فرغ المؤلف من اقرار المبدأ ، ضرب عليه الأمثال من قصص وغيرها . ورأي المؤلف ، يقوم على ان الناس انما يعملون ما يعملون في حياتهم ، ارضاء لذاتهم ، في « الدافع الوحيد للانسان ضمان ارضاء الذات » .
حتى التضحية في سبيل الوطن ، والعمل في سبيل الانسانية ، بل عاطفة الأمومة نفسها ان هي الا « ارضاء للذات » .

- يقول الشاب للشيخ :

أنت لا تستثني من هذا حتى عاطفة الأمومة ، تلك العاطفة السامية النبيلة ؟
الشيخ : لا ! فهي أكثر العواطف خضوعاً لذلك القانون . فالأم قد تعرى لتكسو طفلها ، وتموت جوعاً لكي ينال غذاءه ، وتحمل العذاب لتنقذه من الألم ، بل وتقبل على الموت لتضمن له الحياة . هي تتلذذ لذة قصوى لقيامها بهذه التضحيات . تعمل ما تعمله لتنال في النهاية هذا الجزاء : تقدير الذات ، رضا النفس ، السلام ، الراحة . قد تعمل نفس الشيء من أجل طفلك أنت ، اذا أمكنك الحصول على نفس الثمن .

الشاب : يا لها من فلسفة ملعونة !

الشيخ : هي ليست فلسفة وإنما هي حقيقة »

قلنا : نعم هي حقيقة ، بل الحقيقة كل الحقيقة . ونحن من هؤلاء الملايين الذين

قال فيهم المؤلف : انهم فكروا في هذا الذي يقوله .

نعم فكروا في هذا ولا تزال تفكر فيه : كما رأينا رجلاً جعل من المبادي الوطنية ، سلاً للمنافع الشخصية ، وكما رأينا رجلاً يسلس نياده للسلطة الأجنبية ، استبقاءً للمناصب الحكومية .

بل كما رأينا موظفاً أطلق لنفسه العنان ، يأخذ الرشوات ، ويأتي المنكرات ، ويستحل المحرمات . وآخر وظيفته لا تكفيه ، فيعيش في الضيق والكفاف والحرمان . ولو شاء لعاش عيشة أصحابه ، واسعاً رزقه ، مقضية حاجاته — وموفرة مع مساوئه كرامته — فلا يفعل . يقولون : انه الوجدان . هذا رجل حي وجدانه ، وذلك رجل مات منه الوجدان . فنقول لهم :

لبنى الأمر أمر : « وجدان » ولكنهما : « شهوة النفس » .

هذا رجل صالح « يرضي شهوته » غير طالب جزاء ولا شكورا .

وذلك رجل طالح « يرضي شهوته » غير خائف تباعة ولا متجنب محذوراً ولا محظوراً

وبعد ، فانا نلفت النظر الى هذا الكتيب المفيد . ونشكر المترجم فضله .

وما نأخذ عليه إلا شيئاً في هذا الأسلوب ، الذي كان ينبغي أن يكون

عربياً أكثر مما كان .

ع . ن

مطبعة

روض البشر

في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ١٢٠١ هـ — ١٣٠٠ هـ

تأليف الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي . طبع بمطبعة دار النقطة العربية بدمشق

اعتمد المؤلف على ما دونه المدونون من أهل القرن الرابع عشر في تراجم رجال

القرن الثالث عشر بدمشق ، وعلى ما سمعه من أهلهم وأبنائهم وأحفادهم . واهتم

لترجمة للفقهاء والمحدثين خاصة وتساهل فأدخل في جملتهم المتوسطين وأقل من المتوسطين ، ومن يترجم للرجال لا يخلق صفات لأناس لم يحرزوها بل يكتب ما وقع عليه من المعلومات ، وهذا كل ما توجبه الذمة وكذلك كانت سيرة المؤلف . وما دنا بجمعين على ان هذا القرن الثالث عشر أحط قرون الاسلام فقد تغنفر الترجمة لبعض رجال ليس فيهم الا أفراد قليل جداً . من أمثال السيد محمد عابدين والشيخ عبد الفتى الغنيمي الميداني وهذان العظيمان مما يستغرب نبوغهما في هذا القرن . ولا يؤخذ على المؤلف الا انه جرى على طريقة من ترجموا لأهل العصور الماضية أمثال النجم الغزي في الكواكب السائرة فترجم في جملة من ترجم لم جماعة من المجاذيب أمثال ذيب الخلبوتي والشيخ طاهر باطن والشيخ محمد ابو تقالة والشيخ حسين نشاش . فالكتب تكتب في العادة للخاصة وللمن يترجى انتفاعه بها من العامة ، والخاصة لا تقيم وزناً لمن سلبه الله العقل وجعله والبيهة سواء . لا جرم ان المؤلف الأستاذ انما كتب بعقيلة القرن الذي ترجم لرجائه لا بعقيلة هذا القرن . وقد روى قليلاً من شعر ذاك العصر ولم يكتر من الاستشهاد به لعلمه بأسفاهه . والشكر لعنايته على كل حال لحرصه على معالجة بعض النواحي من سيرة أهل بلده بما وصل الى علمه وبلغه جهده .

محمد كرد علي

من المهر الى اللحد

انطون الياس شكور

ريودي جانيرو - برازيل

شبه كاتب هذه القصة السيد انطون الياس شكور الكتب بالاشخاص فالكتاب في نظره انما هو شبه شخص يشاهده القاري فيرى نواحيه ومزاياه . ولا تنيب عنه الا صورة اللحم والدم فاذا كان بين القاري والكتاب اتفاق في الفكر واختلاف في الدوق فالمبادلة بالمودة والاعجاب واقعة بينهما وعلى هذا الرأي

جرى في كتابة قصته وخطب الى القاري أن لا يحكم عليها إلا بعد مطالعتها
فانه قد يجد فيها مرآة تنعكس عليها طبائع القاري وأفكاراً تترجم أفكاره
ورغائب تحاكي رغائبه وسؤالات يرددها لسانه وهو لا يشك في أن قصته تسير
الأذواق وتماشي المشارب .

أما القصة نفسها فانها لا تخلو من كلام على القضاء والقدر وعلى ما وراء الطبيعة ومن
خطرات في الحياة والأدب والاجتماع والفلسفة ولا يخلو بعض هذه الخطرات من إصانة
الرأي وخاصة ما تعلق منها بالألم والسعادة والثروة والحرب والشباب وحب الحياة .
ولقد قن صاحب القصة بالمتنبى فتنة جعلته يستشهد بروائع حكمه في أكثر
قصته أما لغته فانها مجردة من اتخيلات الجائحة فهي سهلة وقد تبلغ بها السهولة
في بعض المواطن حداً الرخاوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سفيان صبري

عزاري

عزمي علي البغدادي

طبع المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق

يشتمل هذا الكتاب على قصص في موضوعات مختلفة ، يجد القاري فيها قدرة
على الوصف وصحة في بعض الحكم على التاريخ والأدب ولكن هذا كله يشوبه
في بعض المواطن خروج على اللغة والنحو فالكاتب يستعمل ألفاظاً لم يذكرها
الفيروزابادي في قاموسه المحيط منها قوله : مستوجلة بدلاً من وجلة وقوله :
القلب المألوم بدلاً من القلب الأليم أو المتألم أو المؤلم وقوله : استحسن الخطر بدلاً
من : حسه أو حس به وقوله : استهول الإقدام بدلاً من : هاله وقوله : ولهة بدلاً
من ولهى ووالهة وواله وميلاه وقوله : وأما بني العباس بدلاً من قوله : وأما بنو العباس .
ولو تحفظ بعض التحفظ في استعمال مفرداته لكانت محاسن وصفه أتم وأكثر .

س . ج

هـ - منروفوكس ، شخصية الحيوان

The Personality of Animals

نقله الى العربية الأستاذ أحمد مدحت عبد الهادي ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

بالقاهرة عام ١٩٤٦ - عدد صفحاته ٩٨ من القطع الصغير

جمع الأستاذ (هـ . منروفوكس) في هذا الكتاب آراء العلماء المتأخرين في غرائز الحيوان ، وحيوانه ، وذكائه ، ومنزله الاجتماعية ، ثم وصف لنا حياته ولعبه ولغته ، واحتداه الى موطنه ، وقدرته على الحساب ، بلغة سهلة وأسلوب واضح فجاء الكتاب خالياً من الاصطلاحات الجافة والاسهاب العلمي المحمل . . .

لقد كان القدماء اذا بحثوا في خصال الحيوان يذكرون مثلاً روغان الثعلب وحماقة الضبع ، وألفة الكلب ، ورأفة النمل ، وذكاء الفرس ، وبلادة الحمار ، وحنين الجاموس الى موطنه ، وعفة الطاووس ، وميله الى الزهو بنفسه والاعجاب بريث . أما العلماء المتأخرون فيتعاشون الكلام عن أحوال الحيوان الداخلية ، ويقصرون بحثهم على المشاهدات الخارجية والتجارب العلمية ، ولا فائدة من الكلام عن ميل الطاووس الى الزهو بنفسه لأن الانسان لا يستطيع أن يشعر بما يشعر به الطاووس الا اذا استحال هو نفسه الى طاووس . فخير لنا اذن ان نتلك في دراسة أفعال الحيوان طريقة موضوعية ، وأن نبين اقتران أفعاله بالحوادث الطبيعية الخارجية ، وننبذ كل الأحوال النفسية التي لا تقع تحت الحس ، والملاحظة .

هذا ما فعله الأستاذ (هـ - منروفوكس) . لقد نظر الى عالم الأحياء نظرة علمية خالية من التشبيه . الا أن ميله الى تبسيط البحث أضطره الى الاقتصار على المسائل البسيطة . فلم يتعمق في الكلام عن حقيقة الغريزة ، ولا بحث في ذاكرة الحيوان واتصالاته ولا في صور أفعاله المختلفة . والسبب في ذلك انه لم يجمع

هذا الكتاب إلا لعامة القراء . أما نخاسة من مزاويتي هذا العلم فلم يعطهم فيه إلا ما هو دون حاجتهم .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب سهل ، إلا ان ضعف مترجمه في اللغة أوقعه في كثير من الأغلاط المزربة . ومن العجيب أن تتولى لجنة الترجمة والتأليف نشر كتاب علمي كهذا وتتغاضي عن تصحيح أغلاطه ، فإن أغلاطه أكثر من أن تعد ، لو نسبت الى طلاب المدارس الثانوية لاستحيوا من ألقاب فيها .

فمن هذه الخنات قول المترجم : كي يتبعونها (ص ١٣) .

وقوله : يستطيع الكنب أن يميز اثنان وثلاثين صوتاً (ص ١٩) .

وقوله : ان تركيب عضو السمع دخل كبير (ص ٢١) .

وقوله : ان بعدي الورقتان كنا متساويين (ص ٢٤) .

وقوله : نرى الأحمر أحمرًا والأزرق أزرقاً (ص ٢٤) .

وقوله : وانه ليس مصاب بمعنى الألوان (ص ٣٥) .

وقوله : وفي اليوم التالي ازاد قوة الاضاءة (ص ٦٤) .

وقوله : ايكتر من عشرة مرات (ص ٨٣) .

وغير ذلك كثير .

فلو عنت لجنة الترجمة والتأليف بتصحيح أغلاط هذا الكتاب لأحسنتم الى المترجم وأنت في ذلك ما هو مأمول منها ومقدر فيها .

محميل صليبا

آراء وأنباء

تاريخ حكماء الاسلام

كتب البنا العلامة اغناطيوس افرام الأول برصوم الاستدراك الآتي على هذا الكتاب:

ص ١٦ : كان حنين من أهل الحيرة لا من بغداد ، وتعلم ببلاد الروم لا ببلاد الشام ، وكان ضيقاً للمتوكل ، وفي زمانه لمع نجمه وعاصر تسعة خلفاء لا المأمون والمعتصم فقط ، وتوفي في أيام انعتد في ١ كانون الأول سنة ٨٧٣ .

ص ١٩ : لم يذكر أحد شيئاً عن اسلام اسحق بن حنين على كثرة من ترجم له ، وابن النديم القريب العهد منه أولى بالتصديق من البيهقي ، فان اسحق توفي اخر سنة ٩١٠ م وابن النديم الذي يخمن مولده نحو سنة ٣٢٥ هـ وفاته سنة ٩٩٥ أو نحو سنة ١٠٠٠

ص ٢٦ : ان ابا الخير الخمار أو خمار ولد في آخر سنة ٩٤٢ ، وكان موجوداً سنة ٩٩٢ التي فيها ملك السلطان محمود بن سبكتكين الذي استولى على خوارزم سنة ٩٩٩ في رواية ابن الأثير وابن خلكان وأبي الفداء و١٠١٦ في رواية

ابي الفرج ابن العبري ، ويقول البيهقي انه لما استولى عليها حمل المترجم الى غزنة وعرض عليه الاسلام فأبى وعمره جاوز المائة ، ثم نسب اليه الاسلام ، ثم روى وفاته على أثر دعوة السلطان اياه ، أي قبل سنة ١٠٣٠ التي فيها توفي محمود

في سنة ٩٩٩ كان عمره ٥٧ سنة ١٠١٦ كان ٧٤ ، لا ١٠٠ ، والأرجح انه توفي بين السبعين والثمانين من عمره ، واذا كان معظماً عند السلطان حتى ان هذا قبل له الأرض على ما روى ابن أبي أصيبعة (ميج ١ : ٣٢٢) فكيف يعقل ان يكون

عرض عليه الاسلام ، فضلاً عن ان كل من ترجم له أو نوه به صرح بتصرانته ؟ ص ٤٣ : ابو الفرج عبد الله ابن الطيب كان قسيساً وكاتباً للباطليق ايليا الأول وعالمًا باللغة الآرامية لا الرومية أي اللاتينية كما ذكر ، وأراه تعحيفاً في

اللفظة ، فان الرومية كانت عصرئذ مبهولة في الشرق ، وكانت وفاته سنة ١٠٤٣ ص ١٣٧ : لم يذكر المؤرخون طبيباً حكيماً اسمه عبدشوع بن يوحنا ولم يرد في تاريخي الحكماء وطبقات الأطباء ذكر جاثليق اسمه عبدشوع من كبار الأطباء ، وكل ما جاء في هذا الأخير ص ٢٢٩ ان ابا علي بن مكيخا النصراني سأل عبدشوع الجاثليق عن أطباء بغداد سنة ٣٦٤ (٩٧٤ - ٩٧٥) . وهذا هو عبدشوع الأول 'نسب سنة ٩٦٣ وتوفي عام ٩٨٦ ، ونوهت تواريخ أصحابه الكلدان بوفور حفظه من العلم الديني ليس الا ، وكذلك كان الجاثليق عبدشوع الثاني المعروف بأبي الفضل ابن العارض (١٠٧٤ - ١٠٩٠) وقام عندهم أيضاً عبدشوع الثالث ابن الملقى (١١٣٨ - ١١٤٧) ولم يرد في تواريتهم جاثليق عارف بالطب على الاطلاق ، وعبدشوع بن بهريز ابو سعيد الذي كان موجوداً سنة ١٠٢٨ وصار مطراناً لاربيل والموصل كان أيضاً من ذوي العلم الديني ، وعده ابن أبي أصيبعة من نقلة الكتب ، ومؤرخا الكلدان القديمان اللذان يرجع اليهما : ماري بن سليمان وعمرو بن متى الطيرحاني - فترى ان الذي ذكره البيهقي هو بنختشوع بن يوحنا (لا عبدشوع) طبيب المقندر والراضي المتوفى سنة ٩٤١ (طبقات الأطباء : ص ٢٠٢ و ٢٠٣) وقد صحف اسمه في نسخة المؤلف .

(حصن) . . . اغناطيوس افرام

ملاحظات على ديوان ابن عنين

قرأتُ مقدمتكم لذلك الديوان المفيد بشوق وإنعام. نظر فأعجبني المذهب الذي ذهبتم فيه من إعطاء ابن عنين حقه ، ووزن أدبه بالقسطاس المستقيم ، لا كما يفعل المتهاقون في دراستهم الأدبية والتاريخية ، طلباً للجاه العلمي الذي هم محرومونه ، ومخادعة للنفس الضعيفة التي تستعيب لكل ناعق ، وذهاباً مع الأهواء التي لا يقر لها قرار . ولقد - والله - نصبتُ في المقابلة بين النسخ نصباً ظاهراً وأحسنتم الاشراف على الطبع ، وذكرتم أقوالاً ستكون ماثورة كقولكم في ص ٢٩ من المقدمة « وهو

في هجائه شرس عنيف وقع بذي متفنن في مباحة خصمه «...» . وهذا من الحق الذي لا ريب فيه ، فان ابن عتير ألتف أدبه بذلك الهجاء المتذع السافل !! وقد رأيتكم حفظكم الله تعترفون بأنكم لم تجدوا تراجم جماعة من الرجال الواردة أسماؤهم في الديوان ومن بدعي بأنه يستطيع الاحاطة بمثل هذا الموضوع الصعب ؟ أجل ورد في ص ١٠٧ من الديوان قول جاعله « ورعف القطب السرخسي فقال ... » وعلقت عليه أنكم لم تجدوا له ترجمة وأنه لعله « القطب النيسابوري شيخ ابن عتير » . قلت : قد ترجم ابن الفوطي في معجم الألقاب - وهو في الخزانة الظاهرية - قطب الدين السرخسي وقال « قطب الدين أبو المكارم محمد ابن محمد بن عثمان السرخسي النحوي ، كان أديباً فاضلاً دخل في المائة السابعة ، أنشدني له شيخنا يرهان الدين عبدالعزيز بن احمد الخنزي بمرأعة له في ترتيب مخارج الحروف ^(١) » . وذكر له آياتاً . فيكون رآه في ايران .

وجاء في ص ١٠٧ أيضاً « أخا الفضل شمس الدولة ابن جميل » وعلقت في الحاشية إن نسخة (ب) جمعت ذلك « لنا » والدحيح ما ذكرتم في المتن ولكنكم لم تشيروا الي ترجمة ذلك الرجل ، وكان من مشهوري رجال الدولة العباسية وقد ترجمته بتفصيل في « مجلة الغري » .

وجاء في ص ١٨٢ من الديوان :

« والعز عبد الرحيم سيدنا مطيلس للقضاء بالشرب »

فعلتم « لعله يريد بعبد الرحيم القاضي الفاضل » ولكن القاضي الفاضل لم يكن يلتقب بعز الدين بل بمحيي الدين ولا ولي القضاء ، وأنا أضنه « عز الدين عبد الرحمن ابن الحسين بن الخضر بن عبدان القرشي الدمشقي المعدل » ذكره الحسن بن صصري الدمشقي في معجم شيوخه وقال : قدم بغداد وسمع بها من القاضي أبي الفضل محمد

(١) المجلد الرابع « ص ٣٢٣ » من نسختي الخطية وله ترجمة في الجواهر المضية في طبقات الحنفية

وذكر فيها أنه مع الحديث بهراء وتوفي سنة [٦٠١] هـ

ابن عمر الأرموي ، توفي في شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ودفن بكشف جبرئيل^(١) . والشاهد المعدل من أرباب القضاء يومئذ .

وورد في ص ٢٠٢ اسم واعظ يعرف بالشمس الواسطي ولم تذكره من أمره شيئاً و « هو الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن أبي المكارم ابن الحسين الطائي الواسطي الواعظ المشهور بالشمس ، ولد بواسط العراق ونشأ بها ولحق جماعة وقدم مصر بعد سنة تسعين وخمسمائة وسمع بها وحدث ووعظ وسئل عن مولده فقال سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وخمسمائة بواسط ، وكان قد تقدم على أقرانه في الوعظ وحصل له قبول تام من العامة ، توفي بمصر في مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٢ بالموضع المعروف بسفح المقطم ودفن بقربه من الغد ، ذكر ذلك زكي الدين المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة^(٢) » وفي مكتبة البلدية بالاسكندرية مجلدان من التكملة المذكورة .

وجاء في ص ٢٢١ « وقال في ابن مازة » وفي الحاشية عن الوفيات « ابن مازة » وعن شرح لامية العجم « ابن مازة » . قلت : جاء في ترجمة ابن عنين من تاريخ ابن الديلمي أنه ابن مازة ، وترجمه في بابه بقوله « محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عمر ابن عبد العزيز بن عمر - وعمر هذا لقبه مازة - وأولاده يعرفون ببني مازة ٠٠٠ » وترجمه القرشي في الجواهر المضية « ج ٢ ص ٨٠ » وقال « وعمر الجد الأعلى يعرف بمازه وأولاده كل واحد منهم مذكور في بابه وعمر هذا لقبه مازة وأولاده يعرفون ببني مازة ٠٠٠ » ثم ذكر في باب الكنى « ابن مازة عمر بن عبد العزيز ابن عمر بن مازة يرهان الأئمة » .

وورد في ص ٢٢٨ قول ابن عنين « والحاكم المصري وابن التنبى » فذكرتم في الحاشية كلمة على « تنب » المنسوب إليها ، ولم تذكروا كلمة علي التنبى الذي أراده ابن عنين وهو « الرئيس الأجل أبو القاسم عبد المجيد بن صاعد بن سلامة الأنصاري

(١) معجم الألقاب « مج ٢ ص ١٦ » من نسختي

(٢) أصول التاريخ والأدب من مجموعات الخطبة « مج ٢٧ ص ٣٩٣ »

المعروف بابن التني ، سجع الحديث بدمشق من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر مؤرخ دمشق وغيره وصاحب الملك العادل أبا بكر ابن أيوب وترسل عنه الى بغداد وغيرها من البلاد وكانت له عنده الحرمة العظيمة والمنزلة الكريمة ، توفي بالقاهرة في ثامن شعبان سنة ٦١٣ ودفن من الغد بسفح المقطم ، ذكر ذلك الحافظ زكي الدين المنذري في التكملة لوفيات النقلة ، كما في مكتبة الاسكندرية ، ونقله عنه جمال الدين ابن الصابوني في « تكملة اكمال الكمال » في أنساب الرجال ^(١) .

هذا ما بدا لي في أثناء تقلب الديوان وعسى الله أن يوفيني لقراءته بالترتيب والتعقيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصطفى حور

~~~~~

### استدراك على ترجمة الأمير شكيب أرسلان

قرأت في آخر الجزء الثاني من المجلد ( ٢٢ ) تلك الترجمة الحافلة للمرحوم العلامة الكبير الأمير شكيب بquam الأستاذ عارف النكدي . وأعتقد أن هناك أعمالاً جليلة قام بها المرحوم هي مخبوءة في الزوايا . من جملتها كتابه الذي كان أرسله للسيد أسعد البنتاني أحد وجوه حلب من طبرق حينما أتى إليها ليُشاهد عن كُتب جهاد أهل طرابلس الغرب ومن حولها مع الإيطاليين بقيادة المرحوم آدم باشا قولي . والكتاب أعطي لمجلة الجامعة الإسلامية الحلبية وسينشر فيها عما قريب .

ورأيت في الترجمة أن من جملة مؤلفاته « حسن المساعي في تاريخ الامام الأوزاعي » والحال ليس كذلك فالكتاب مؤلف من قديم . ولكن المرحوم نشره وعلق عليه تعليقات جليلة مفيدة جداً . وقد قال في مقدمة النشر . وبعده فأنني منذ سنتين اطلعت في برلين اذ أنا أقب في خزانة الكتب الملوكية على كتيب

(١) للرجم المذكور « مج ٣ ص ٩٥ »

اسمه «محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي» لم يذكر فيه اسم مؤلفه .  
وانما ذكر في آخره اسم ناسخه الخ .

لما تلوت هذه العبارة عزمت على البحث عن المؤلف وأخذت في التنقيب الى  
أن ظفرت به في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (ج ٢ ص ٧٢) فاذا هو  
احمد بن محمد الموالي الدمشقي المتوفى سنة ٨٧٠ وقد قال في ترجمته ما نصه .  
وأفرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمي الأول تحفة الساري الى  
زيارة تميم الداري . والثاني محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي .

وعلى أثر ذلك كتبت للمرحوم الأمير بعثوري على المؤلف وأرسلت له جميع  
ترجمته وذلك بتاريخ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ و ٣١ أيار سنة ١٩٣٨ . وجاءني  
الجواب منه من برلين وقد كان وقتئذ هناك ونص كتابه :

أشكر لك جداً الهدية التي أهديتني واليها هديتني وهي ترجمة احمد بن محمد  
الموالي الحنبلي الذي ظهر انه هو صاحب محاسن المساعي في ترجمة الامام الأوزاعي .  
ولقد صرح حدس السيد علال الفامي الذي قرأ في فهرس خزانة الكتب المصرية  
أن صاحب هذا الكتاب هو ابن حجر العسقلاني فاستبعد ان يكون هو وكتب  
اليّ برأيه . ثم ان عندي من الأخ كرد علي كتابة ضمنها كتابة للمستشرق  
كرنكوي عن هذا الكتاب متى رجعت الى جنيف ان شاء الله أنسخها لك .  
على كل حال سنعيد طبع الكتاب ونضم اليه ما جدد عنه لدينا من المعلومات اه

محمد رافع الطباطبائي

م

مول قبر معاوية رضي الله عنه

كنت كتبت لاجلة ما عثرت عليه من التراجم التي قيل فيها أنه دفن بالقرب  
من قبر معاوية رضي الله عنه في الباب الصغير . وكتبت لها عما رأيت في تاريخ  
القرماني من ان الأمير احمد بن طولون عمر في سنة ٢٧٠ قبة عالية وعلق فيها  
قناديل وجعل هناك قراء .



والآن عثرت في الجزء الخامس من المنتظم للحافظ ابن الجوزي على ما يتعلق بقبر معاوية قال في ص ٧١ في حوادث سنة ٢٢٠ وفيها بنى احمد بن طولون أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان وأمر ان يسرج هناك وأجلس اقواماً معهم المصاحف يقرأون القرآن .

فالقرماني يقول لنا قبة عالية وابن الجوزي يقول لنا أربعة أروقة وهي تأخذ مساحة واسعة وهما متنفقان على ان البناء كان سنة ٢٢٠ فأيهما أصح ومنى خربت تلك القبة أو الأروقة . لعل هناك من يكشف لنا عن الحقيقة تقيلاً عن تواريخ دمشق أو غيرها .

### هدية ملكية

أهدى جلالة الملك فاروق حفظه الله الى المجمع العلمي العربي عدداً من المؤلفات التي طبعت على نفقة الخاصة الملكية . فالمجمع الذي يشكر لجلالة الملك المعظم هذه اليد البيضاء على العلم والأدب يرجو من الله أن يمد في عمر صاحب الجلالة ، ويتمنى لمصر اطراد التقدم والرفق في ظل ملكها الفاروق رعاه الله .

وهناك اسماءها :

- ١ - كتاب اعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي .
- ٢ - ترجمة كتاب اسماعيل « الخديو المظلوم » وضع الأستاذ كراينس لفؤاد صروف
- ٣ - تاريخ مصر سيف عهد الخديو اسماعيل باشا وضع الياس الأيوبي (الجزأين الاول والثاني)
- ٤ - المحفوظات الملكية « بيان بوثائق الشام » للأستاذ امدرستم (اربعة اجزاء)
- ٥ - كتاب « تاريخ المساجد الأثرية » للأستاذ حسن عبد الوهاب (الجزء الأول والثاني) خمس نسخ .

- ٦ — الرحلة السلطانية في الوجه القبلي (مديرية قنا)  
 ٧ — = = = = (مديرية المنيا)  
 ٨ — = = = = (مديرية بني سويف)  
 ٩ — = = في اقليم البحيرة  
 ١٠ — = = في اقليم المنوفية  
 ١١ — = = القليوبية  
 ١٢ — = = الدقهلية  
 ١٣ — = = الوجه البحري (مديرية الشرقية)  
 ١٤ — الرحلة الملكية في اقليم الفيوم  
 ١٥ — = = لارساء الحجر الأول في قناطر نجع حمادى  
 ١٦ — = = في الصحراء الغربية .

- 17 - L'Egypte sous le Règne de Fouad Ier ( Foulad Yéghen )  
 18 - L'Egypte Pittoresque (Paul Tremblay et Fredric Boissonas)  
 19 - The Art of Egypt through the ages  
 20 - L'Histoire des Campagnes Navales de Mohamed Ali  
 et d'Ibrahim ( Durand Viel )  
 21 - L'Histoire Militaire de Mohamed Ali et de Ses Fils  
 ( G. L. Weygand )  
 22 - Précis de l'Histoire de l'Égypte  
 23 - Il Corpe Epistolare Privato de Bernardino Drovelli  
 ( Pr. Giovanni Marro ) .

### المؤتمر الثقافي الأول

#### النشاط الثقافي في جامعة الدول العربية

قررت اللجنة الثقافية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عقد أول مؤتمر ثقافي عربي في لبنان في الثاني من شهر ايلول القادم للتداول في الأسس الواجب

اتباعها في تدريس الموضوعات التي لها علاقة مباشرة بالتربية القومية العربية كاللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية ، ودعت اليه عدداً كبيراً من الأساتذة الاختصاصيين في هذه الموضوعات وبعض رجال التربية والتعليم في الأقطار العربية ، كما دعت اليه وزارات المعارف والمعاهد العلمية وبعض الهيئات الثقافية في البلاد العربية لابتداء آرائهم في الطرق الفنية والتربوية الواجب اتباعها . وقد وجهت اليهم اسئلة في نقاط جوهرية في كل موضوع من الموضوعات السابقة ، وذلك تمهيداً لمباحث التي ستجري في المؤتمر .

وقد طبعت اللجنة الثقافية نشرة تبين غاية المؤتمر ووسائل اعداده مع التقارير الأولى للجنة التحضيرية وأسئلتها . فرأينا أن نلخص لقراء المجلة بعض ما جاء فيها . جاء في التمهيد « ان أول أمر تحسن البداية به لايجاد مستوى ثقافي رفيع موحد بين البلاد العربية ولتوحيد اتجاهات تلك الثقافة هو العناية بمواد الثقافة العربية وأسلوب تعليمها . . فاذا هي استوفت حقها من تلك العناية كانت ميسراً لوحدة العواطف القومية ولتقارب الاتجاهات العقلية بين البلاد العربية » . لذلك رأينا أن تكون مبة المؤتمر الثقافي الأول البحث في أمرين هما : الأول - وضع حد أدنى مشترك لمواد الثقافة العربية في مراحل التعليم الابتدائية والثانوية .

الثاني - تحسين طرق تدريس اللغة العربية .

ثم وصف التمهيد مراحل العمل في المؤتمر وبين وظائف لجته التحضيرية ووظائف اللجان الفرعية ووظائف الشعب المحلية في الحكومات العربية وواجبات أمانة سر المؤتمر . أما اللجان الفرعية التي انبثت من اللجنة التحضيرية العامة فهي لجنة اللغة العربية ، ولجنة جغرافية البلاد العربية ، ولجنة التاريخ العربي والتربية الوطنية . وقد حضرت هذه اللجان تقاريرها وأسئلتها . ثم عرضتها على اللجنة التحضيرية فأقرتها ودرجتها في النشرة المطبوعة . وهي أربعة تقارير :

الأول - تقرير لجنة اللغة العربية ويتضمن بحثاً في الهدف الذي نرمي إليه في تعليم اللغة العربية مع بحث مقتضب عن المناهج وأساليب التعليم والكتب وطبيعة اللغة والمعلم .

والثاني - تقرير لجنة التاريخ العربي ، وفيه ان الحد الأدنى الذي يجب توافره للمواطن العربي من التاريخ في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي هو تعريف المتعلم ماضي بلده على أنه بيئة لها مقوماتها ، ثم على أنه جزء من بيئة أوسع ، وهي العالم العربي ثم على أنه جزء من العالم الانساني بأجمعه .

والثالث - تقرير حول التربية الوطنية واعداد المواطن العربي ، جاء فيه ان لتعليم التربية الوطنية والمعلومات المدنية والأخلاقية ثلاثة اتجاهات يجب مراعاتها :  
١ - اهتمام المرء بالوطن الخاص ، وهو الوطن المحلي ، ٢ - اهتمامه بمجموعة خاصة من الأقطار ، وهو الوطن العربي ، ٣ - اهتمامه بالعالم كله ، وهو الوطن العالمي .  
والرابع - تقرير لجنة الجغرافية ويشتمل على أربعة اقسام : ١ - الأسس العامة التي تراها اللجنة صالحة لمناقشة الموضوع مناقشة تفصيلية بواسطة الشعب المحلية ، ٢ - اقتراحات مبدئية خاصة بتطبيق هذه المبادئ في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي أو ما يعادلها ، ٣ - اقتراحات مبدئية بالأساليب التي تراها اللجنة ضرورية لحسن تدريس جغرافية الأقطار العربية ، ٤ - أسئلة ترى اللجنة توجيهها الى الشعب المحلية لتبدي رأيها فيها الى جانب وجهة نظرها في الأسس والمبادئ التي اتجه اليها تفكير اللجنة .

وكما اشتمل تقرير لجنة الجغرافية على أسئلة موجهة الى الشعب المحلية فكذلك اشتملت التقارير الثلاثة الأولى على أسئلة أخرى لا يتسع المجال لدرجها كلها هنا . ولا شك أن هذا العمل الذي تقوم به اللجنة الثقافية للجامعة العربية حيوي ، جدير بالاهتمام اذ أن نتائجه ستؤدي الى اثارة نهضة تعليمية ثقافية مشتركة تكون دعامة الوحدة الروحية والعقلية بين العرب .



## مؤتمر آثار الشرق

تقوم ادارة الثقافة العامة بجامعة الدول العربية ، بتهيئة عقد مؤتمر لاختصاصي الآثار في البلاد العربية المختلفة باسم « مؤتمر آثار الشرق » غايته المحافظة على تراث الشرق العربي والاهتمام بالثقافة الاثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية وتقوية الصلات بين الشعوب العربية . وقد دعت الادارة المذكورة جميع دول الجامعة العربية لانتداب اختصاصيين في الآثار لهذا المؤتمر كما اشركت فيه بعض الاثريين في فلسطين .

وقد تقرر عقد هذا المؤتمر في ٢٣ أغسطس ( آب ) القادم في سورية .



## مسابقة

## لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية

تدعو ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية الأدباء والشعراء العرب اينما كانوا لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية بالشروط الآتية :

- ١ - أن يكون النشيد باللغة العربية النصحى .
- ٢ - أن يكون بلغة سهلة يشترك فيها الجمهور .
- ٣ - أن يكون وزنه وأسلوبه مما يحسن توقيعه وتلجينه .
- ٤ - أن يكون حجمه مناسباً لا مفرطاً في الطول ولا في القصر .
- ٥ - أن يكون باعثاً على تقوية الشعور بالعزة والوحدة القومية .
- ٦ - يحق لكل عربي أياً كان قطره ان يشترك في المسابقة .
- ٧ - تمنح مكافأة قدرها مائة جنيه للفائز .

آخر موعد للتقديم أول يوليو ( تموز ) سنة ١٩٤٧



## فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الثاني والعشرين

| الصفحة |                                                                           |
|--------|---------------------------------------------------------------------------|
| ١٩٣    | كتور الأجداد (٣) . . . . . للأستاذ محمد كرد علي . .                       |
| ٢٠٤    | اللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية (٣) للدكتور عبد الوهاب عزام |
| ٢١٠    | مكتبة المجلس النيابي في طهران . . . . . = امعد طلس . . .                  |
| ٢٢٣    | آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري (٥) للأستاذ عباس العزاوي .                  |
| ٢٣٢    | مدارس دمشق وحماة . . . . . = محمد احمد دهمان .                            |
| ٢٤٧    | العامي والفصح (٦) . . . . . = احمد رضا . . .                              |
| ٢٥٥    | كتاب موقد الأذهان وموقف الوستان . . . . . = عبد الله مخلص .               |

### مخطوطات ومطبوعات

|     |                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------|
| ٢٦١ | فلسفة التشريع في الإسلام . . . . . الأستاذ عارف النكدي . |
| ٢٦٧ | السلام الاجتماعي . . . . . = = = = =                     |
| ٢٧٠ | ما الانسان . . . . . = = = = =                           |
| ٢٧٢ | روض البشر . . . . . = محمد كرد علي . . .                 |
| ٢٧٣ | من المهد الى اللحد . . . . . = شفيق جبري . . .           |
| ٢٧٤ | عذارى . . . . . = = = = =                                |
| ٢٧٥ | شخصية الحيوان . . . . . للدكتور جميل مليا . . .          |

### آراء وأنباء

|     |                                                                 |
|-----|-----------------------------------------------------------------|
| ٢٧٧ | تاريخ حكماء الإسلام . . . . . للبطريرك مار اغناطيوس افرام       |
| ٢٧٨ | ملاحظات على ديوان ابن عني . . . . . للدكتور مصطفى جواد . . .    |
| ٢٨١ | استدراك على ترجمة الأمير شكيب ارسلان للأستاذ محمد راغب الطباخ . |
| ٢٨٢ | حول قبر معاوية رضي الله عنه . . . . . = = = = =                 |
| ٢٨٣ | هدية ملكية . . . . . = = = = =                                  |
| ٢٨٤ | المؤتمر الثقافي . . . . . = = = = =                             |
| ٢٨٧ | مؤتمر آثار الشرق . . . . . = = = = =                            |
| ٢٨٧ | مسابقة لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية . . . . . = = = = =      |













Bibliotheca Alexandrina



0652739